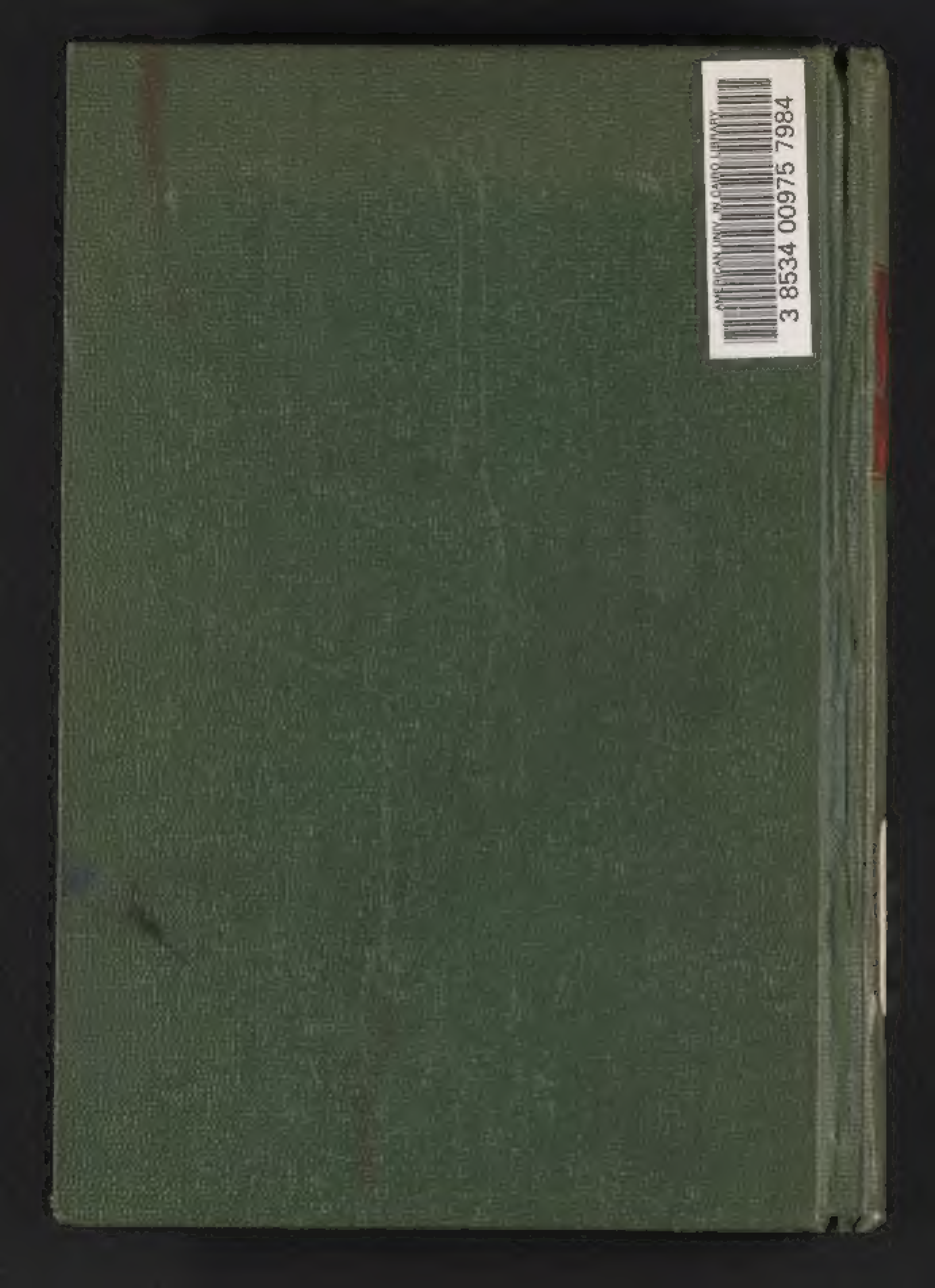
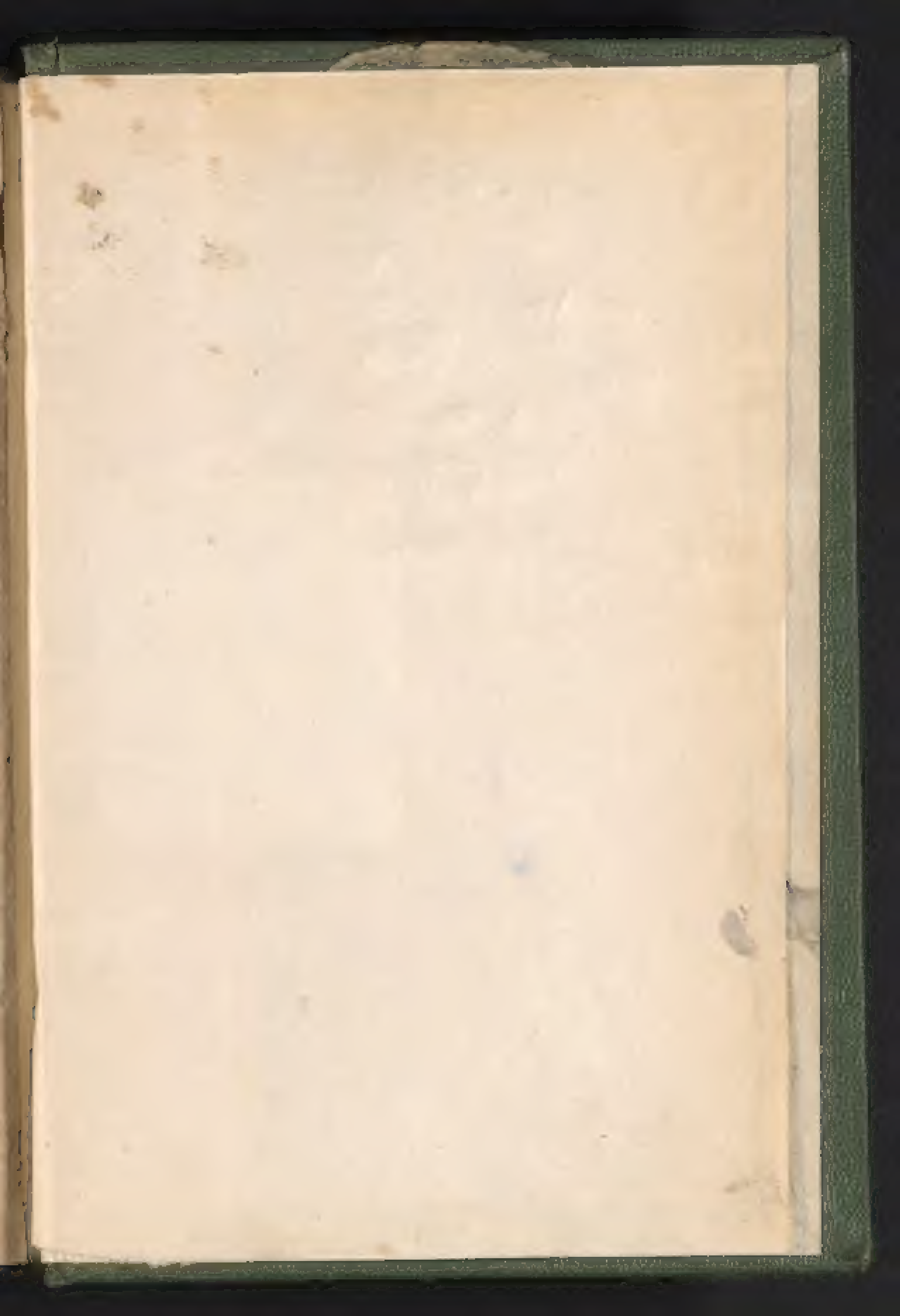
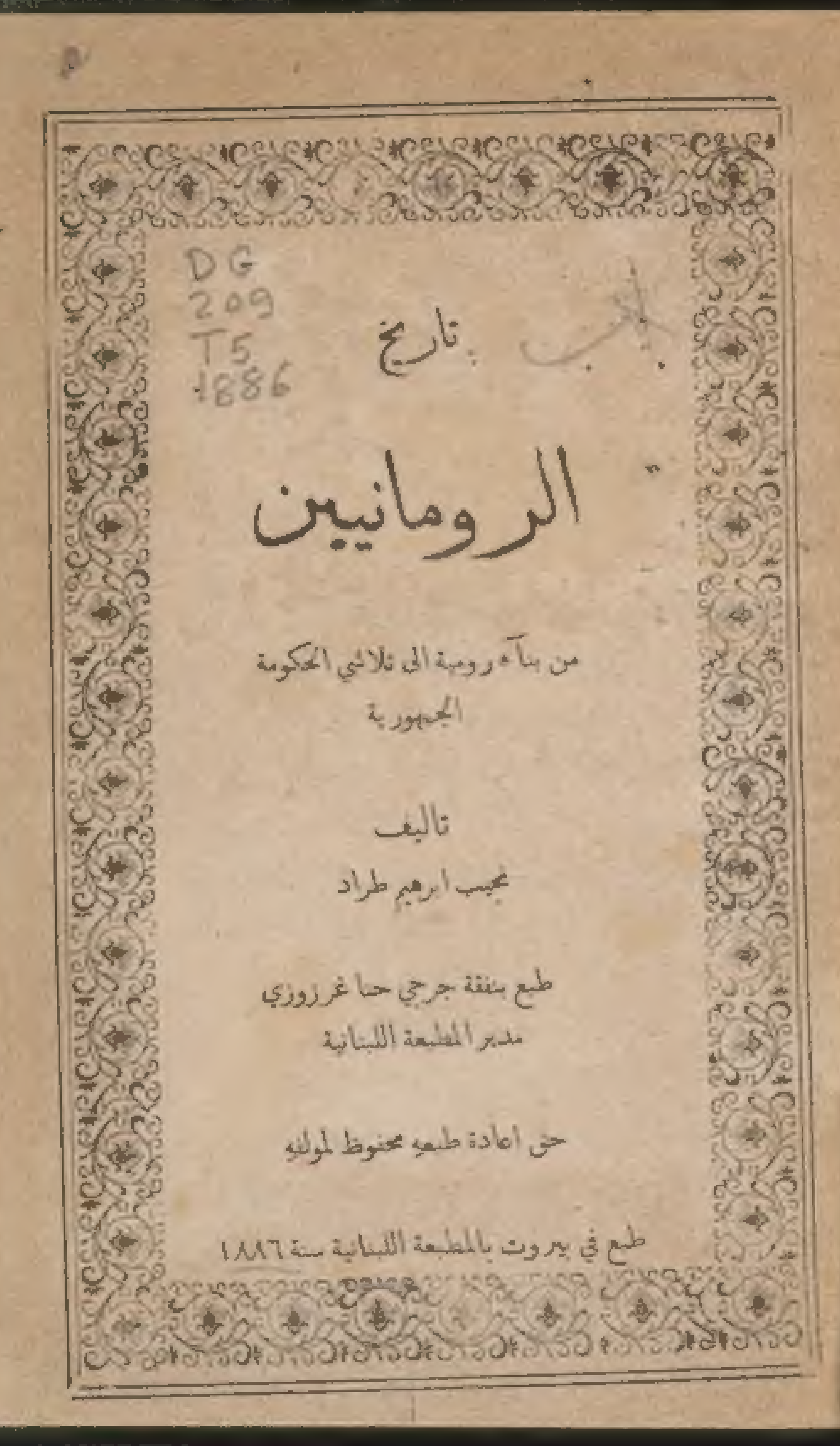

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00975 7984







تاريخ

الرومانيين

من بناء رومية الى تلاشي الحكومة
الجمهورية

تاليف
نجيب ابرهيم طراد

طبع بنفقة جرجي حنا غرزوزي
مدير المطبعة اللبنانية

طبع في بيروت بالمطبعة اللبنانية سنة ١٨٨٦

المقدمة

ان التاريخ هو شاهد الازمنة ونور الحقيقة وحيوة الذاكرة ومدرسة الحيوة ورسول القدم كما قال ذلك اشهر خطباء الرومانيين فاي شيء اذًا اعظم من التاريخ واي انسان لا يحتاج اليهِ اذا اراد ان يكون على بصيرة في احوال حياتهِ الدنيا نعم هو مشكاة هدى تنير عقولنا فتقيها من العثار في حنادس الجهل ناشرة لنا فعال الاولى طوتهم الارض فاصبحوا بعد العز والفخار هباء منثورًا لتكون اعمالهم للناس ما حيوا تبصرة وذكرى تحذرهم من ارتكاب المنكرات وتنذرهم بسوء العاقبة وشر العقاب وتحرضهم على فعل الخير لرفع شان الانسانية وتوفير اسباب التمدن العائد على المجتمع البشري بالراحة والسلام

ولما كان لكل شيء آفة كانت آفة التاريخ الاختلاق ولقد نطق بعضهم عن الهوى فسقط وما كتبهُ في زاوية الذل والنسيان فيجب على المورخ ان يكون عليمًا خبيرًا قد عرك الدهر وعرف طباع الانام ومكرهم حتى اذا ما اراد تدوين حادث محصهُ بفكر ثاقب ونشرهُ صحيحًا يعتمد عليهِ المعاصرون والخلف

ولا يخفى ما لتاريخ الرومانيين من الفائدة والشهرة في العالم فان الاوربيين يدرسونهُ في مدارسهم كعلم لا بد منهُ لذلك قد عنيت بجمعهِ

من عدة كتب الكليزية وفرنسوية وجعلتهُ تحفة لبني الوطن
اما لغتنا العربية فمحتاجة كل الاحتياج الى كتب كثيرة فليت
ابناءَها الكرام يقتدون بالغربيين ويقبلون على
تنشيط طلبة العلم واهلهِ فيرفعوا منارهُ ويخطوا
لهم على جبهة الدهر ذكرًا لا يمحى وليتهم
يقرأُون التواريخ بالغدوّ والآصال
فيدروا اسباب نجاح الامم وكيف
افلح اليونانيون وغيرهم في الازمنة
القديمة والحديثة ليجتنوا مطايا
الجهد والاقدام ويحاكوا
اعظم امم الارض
تمدنًا وفلاحًا







فاتحة الكتاب

في اصل الرومانيين وبناء رومية

لم يستول اليونانيون على ترواده الا بعد حروب طويلة سالت فيها على الارض فخضبتها دماء الابطال ومهج الرجال ولقد أظهر الفريقان في جميع المعامع التي حدثت من البسالة والباس ما يشهد لجبابرة تلك الاعصر بثبات الجنان والخبرة بالضرب والطعن عند احتدام نار الوغى على ان ما رونة عنهم الشعراء . وما اثبتتة في هذا الشان كتب المتقدمين مملوءٌ بالخرافات والمبالغات الشعرية التي لا يعول عليها المؤرخون ولا يعتدُّ بها المحققون عند فصّ اخبارهم القديمة العهد . ولما كان القصد من ذكر خراب ترواده معرفة تاريخ اسلاف الرومانيين الاولين او بالحري بيان نسب مؤسس رومية حسب راي الاكثرين لان ذلك كما لا يخفى بمثابة توطئة لتاريخ هذه الامة نقول بالاختصار ان أنياس وهو امير ترواديّ حينما كلَّ من العراك واصبح غير قادر على رد الاعداء الذين دخلوا المدينة عنوةً او بخيانة اولاد انتينور لجئ مع عائلتِهِ وقسم من الترواديين الى معاقل جبل ايدا وتحصن فيها آمناً لظنهِ ان اليونانيين سيتركونهم ويرحلون غير ان المحاصرين هدموا المدينة وجمعوا الاسلاب وقصدوا أنياس ليوقعوا بهِ وبمن تبعهُ فجزع جداً وارسل يسالهم السلام فاجابوا طلبهُ بشرط ان يغادر على الاثر وطنهُ ونلك الربوع فسافر بحراً الى شبه جزيرة بلّيني في مكدونيا وبنى فيها مدينة دعاها أنيا اسكن بها قسماً من جمهور الترواديين الذين تبعوهُ ورحل بعد ذلك الى سيسيليا (صقلية) فترك قسماً آخر من رجالهِ بدربانم وهي مدينة

استمر فيها فيل وصوطم أليمس واجنس فئة تروادية وظلت سفنة تمخر البحر حتى وصلت الى لاتيوم وهي ارض واقعة الى الجانب الشرقي من نهر التيبر وسكانها هم الأُبورجينْ (الوطنيون) المعروفون باللاتينيين نسبةً الى ملكهم لاتينس الذي كان مالكاً عليهم في ذلك الحين فعسكر الترواديون عند مصب النهر ودعوا معسكرهم هذا ترواده تذكاراً لوطنهم العزيز آملين نيل الراحة والسلام بعد تلك المحن والاخطار

وبلغ الملك لاتينس ان اقواماً غرباء قد احتلوا بلاده قصد الاقامة فيها وكانت الحرب وقتئذٍ ثائرة بينهُ وبين الرُتليين فقلق جداً واشفق على ملكهِ من حدثان الدهر وفي الحال نهض بعساكرهِ لمحاربتهم ولما دنا منهم نظر جيشاً مرتباً ومتاهباً للقتال فاخذته الرعدة وخاف الفشل فرام المحاورة قبل النزال فتقدم اليهِ اينياس وحدثهُ بحديث حروبهم مع اليونانيين وكيف انهم خاطروا بالنفس والنفيس دفاعاً عن ترواده مدينتهم المحبوبة الى ان قال

ايها الملك

قد اتينا هذه البلاد نطلب مكاناً نلجئ اليهِ ونسكن فيهِ بامان فما نحن ممن يرغب في ضررك انما الضرورة قد احوجتنا ان ناخذ جبراً ما هو لازم لنا فغضَّ الطرف عما حدث واعلم اننا نودُّ ان نعيضك مما اخذناهُ اضطراراً وسنجهد في صون ارضك من الاعداء وشنّ الغارة على من يناويك ولا تظننا نخشى قتالك ان أبيت محالفتنا اذ حربك ليست اول واعظم حرب خضنا عجاجها غير مبالين

فعجب لاتينس من شهامة وجسارة التروادين وعرف انهم يكونون له في الشدائد حصناً منيعاً لذلك رضى بما طلبوهُ فانتصروا له من اعدائهِ واذلوا من ناواه

وتَزَوَّجَ أينياسْ لافينيا بنة لاتينس واحبها جداً حتى انه دعا معسكرهُ

لافينيوم بدلاً من ترواده اسمها الاول وتزوج الترواديون بنات لاتينيات فاصبح الفريقان شعباً واحداً

وكان ترنس ابن اخ الملكة يرغب في زواج لافينيا املاً ان يتسلط على اللاتينيين بعد موت الملك لاتينس على انهُ لما راى خيبته ونجاح اينياس حنق جداً واراد الانتقام فحضّ الرتليين على قتال اللاتينيين فثارت بين الفريقين حرب شديدة مات فيها لاتينس وترنس فاستتب الامر لاينياس وملك بلا معارض على بلاد اللاتيوم وبعد ثلاثة اعوام مات هو ايضاً في حرب حدثت بينهُ وبين الرتليين والاترورين فحسبهُ قومهُ في عداد الآلهة واقاموا ملكاً عليهم ابنهُ اسكانيوس من كريوزا ابنة بريام ملك ترواده فاخذ اسكانيوس بثار ابيهِ وبدد شمل الاعداء ووطد شوكتهُ بما ابدى من الحمية والباس في ساحة القتال

واستبدّ اسكانيوس بالملك بعد هذا الانتصار واظهر من العظمة والجبروت ما دعا لافينيا الى الحسد والخوف على نفسها وعلى ولدها الذي كانت وقتئذٍ حبلى بهِ فعمدت الى الهرب سرّاً فراراً من دسائسهِ ومكرهِ واختفت في غابة عند رئيس رعاة ابيها لاتينس وولدت هناك ابناً دعتهُ سلفيوس ولما شاع خبر هرب الملكة اخذ الشعب يؤوّل الامر بما يعود على اسكانيوس بالشين والشنار ويحط رفعة شانهِ فوجب عليهِ اذ ذاك ارضاء للجميع ان يبحث عن لافينيا ويرجعها الى المدينة مع ابنها الذي لم ينظر اليهِ قط نظرة الاخاء . ولم يعاملهُ معاملة شقيق في سائر الاحوال وبنى اسكانيوس اخيراً مدينة جديدة دعاها ألبا لونغا وترك لافينيوم لسلفيوس وما ذلك الا لكون هذه المدينة ملكاً شرعياً للافينيا قد وهبها اياها اينياس اذ سماها باسمها

اما بناء البا لونغا فكان في السنة الثلثين بعد بناء لافينيوم وملك اسكانيوس اثني عشرة سنة على البا ومات مخلفاً ابنهُ ايلوس الا ان اللاتينيين

ابوا الانقياد الى ايلوس وكرهوا انقسام المملكة الى شطرين فملكوا سلفيوس على جميع البلاد زاعمين انه احق بالملك من غيره لانه حفيد لاتينس وارضوا ايلوس بجعله رئيساً على كهنتهم ومديرًا للمعابد والدين

وتمتع الشعب بالراحة والسلام نحو اربعمائة سنة فلم يحدث حينئذٍ حادث مهم يحملنا على بسط الكلام في تاريخ هذه المدة لذلك نجتزئ بذكر اسماء الملوك الذين ملكوا بعد اسكانيوس ومدة ملك كل منهم

ملك	سلفيوس	٢٩	سنة	وخلفه	ابنه	ابياس سلفيوس
«	ابياس سلفيوس	٣١	«	«	«	لاتينس سلفيوس
«	لاتينس سلفيوس	٥١	«	«	«	ألبا
	البا	٣٩		«		كابتس
«	كابتس	٢٦	«	«	«	كابس
	كابس	٢٨	«	«	«	كالبتس
	كالبتس	١٣	«	«	«	تيبرينس
«	تيبرينس	٨	«	«	«	اغريبا
«	اغريبا	٤١			«	ألاديوس
	الاديوس	١٩				اسبتس
	اسبتس	٢٧				بروكاس
	بروكاس	٢٣				

وكان لبروكاس ابنان اسم احدهما نومتور واسم الآخر اموليوس فلما مات اوصى بالملك لنوميتور لانه البكر

وبما ان اموليوس كان اشجع واقدر من نوميتور واكثر منه مكرًا واسمى فطنة وتدبيرًا لم يحفل بحقوق اخيه الشرعية ولم يبالِ بوصية ابيه بل جلس على سرير مملكته واستبد بعده بالملك طمعًا وحجر على اخيه بان يعيش بعيدًا عن السياسة وشؤونها ولكي يوطد سلطته ويامن كل منازع له عمد

لكي يحول دون ولادة نسل يخلفه بل احتبس [illegible] الوحيد ومنع ابنته ريا سلفيا من
الزواج بان جعلها نذر العفة وتنخرط في سلك العذارى الحافظات في هيكل
فستا لخدمة هذه الالهة وعند ذلك عبر [illegible] هذه [illegible] لان ريا سلفيا
لم تحافظ على العفة بل حبلت وولدت توأمين وحينما شاع خبر حبلها اذاعت
ان المريخ اله الحرب قد فض بكارتها لتنجو من القصاص الشديد المعد
لاولئك العذارى خادمات فستا عندما يرتكبن فاحشة ولما علم اميليوس
بما حدث غضب جداً وامر بقتل ابنة اخيه وقيل بل بنفيها بل بسجنها سجناً
مؤبداً واما ابناها التوأمان فوضعا في سفط والقيا الى نهر التيبر وظل
السفط عائماً الى ان صدمته صخرة بالقرب من ضفة النهر فقلبته وسقط الطفلان
على الارض وزعم الرومانيون ان ذئبة سمعت بكاءهما فاقبلت اليهما وبامر
الآلهة ارضعتهما فنجيا [illegible] ثم ان راعياً يدعى فوستولس راعي غنم الملك
سمع [illegible] فقد جدّهما [illegible] ان [illegible] واعتنى بهما عناية
الاعتناء وقد سمّاهما فوستولس رومولس وريموس وارسلهما الى مدينة غابي [illegible]
للاسوم ليتعلما علوم وآداب اليونانيين لانه على ما نص كان عالماً بامرهما
فاراد ان يربيهما تربية حسنة ويهذبهما تهذيباً يليق بهما فبرعا في كل ما تعلماه
وكانا محبوبين تلوح عليهما سمات العظمة والنبل يحبهما جميع سكان المدينة
واعدوا لهم [illegible] وحدثت مشاجرة بين رعاة اميليوس ورعاة نوميتور
فانتصر الاحوال رعاة نوميتور واذ فاز رعاة اميليوس اولاً والكل
نصر هؤلاء على الذل وفي قلوبهم من رومولس وريموس حزازات لا
يشفيها سوى الانتقام منهم فباتوا يرقبون الفرصة ويبحثون عن الوسائل التي
تبلغهم مآربهم

وفي احد الاعياد [illegible] تلك الاحوال [illegible] بعض امور دينية
احاط اللصوص بريموس من كل جهة وقدموه اسيراً الى نوميتور الذي كان
يشكو كثيراً عنايته في التربية وسكون [illegible] هذا الرجل [illegible] متعد

لا يرعى عبا حرمة ولا يحفظ له ذمامًا فعاملته ام الامير حسبما يأمر العدل
والانصاف و [illegible] جورة وفجوره [illegible] بوسيور [illegible] رمس بعد ما استأذن في
ذلك اخاه مبليوس الا انه ارتجا تنيد الحكم [illegible] فاعلى راع اظهر من
الشجاعة وامر [illegible] معهوده وابدى من الصفات الحميدة
ما ينزهها عن دناءة [illegible] وطنه واوبه فاجابه رمس
لا علم لي بذلك [illegible] رومس [illegible] بوأمان
وانه قد وجد [illegible] مصر [illegible] بيننا سفقة منذ عشا
وما سمع بوسيور [illegible] في عمره وهو ثاني
عشرة سنة بوافق [illegible] وبما صلات في نهر النيل
فحول [illegible] على [illegible] بالوداد
العصم و [illegible] مولدها واطلعه [illegible] وارجعه الى البرية ليدير
مع رومس [illegible] ذلك ان رومس [illegible]
[illegible] على [illegible] كل من عدو به وارد [illegible]
من هو [illegible] بوسيس واحره [illegible] ولادته وحياته
مبسوس [illegible] وكان عمه
[illegible] و عمر [illegible] رمس و عمه [illegible]
[illegible] من الرجال وقبلا
[illegible] مبسوس [illegible] وارجعا جده
بوسيور [illegible] بعضهم ومحمر
رومس [illegible] على [illegible] حيث صرعتهم
الامواج [illegible] وآثث [illegible]
[illegible]
[illegible] رومس ورمسر [illegible] مدسي
مسوم [illegible] واحد [illegible]

ستهين [illegible] وحسن [illegible] وما عزم على [illegible] المدينة وقع بين الشقيق
واحد على [illegible] في الامر الى نومبتور
[illegible] بوجوب [illegible] الذي ينظر قبل
الآخر [illegible] حكمت به وبكرا
في اليوم المعين [illegible] الذي [illegible] المدينة فيه واقام شهوداً
[illegible] فحدث ما روميس [illegible] ولكن بلهبة ارسل رسلاً
[illegible] وصول [illegible] نظر هذا حقيقة [illegible]
عقبان فركض الى اخيه ليتحقق صدقه ولما وصل الى هناك ابصر روملس
[illegible] عشرة [illegible] واشار اليه بيده قائلاً انظر يا اخي
واحكم [illegible] ما [illegible] خير [illegible] فكان
[illegible] واحد من [illegible]
[illegible] كل الامر [illegible] الى [illegible]
[illegible] تفاخر [illegible]
كاس الموت

و[illegible] في هذه المعركة و[illegible] البعض
الآخر [illegible] فوق سور المدينة احتقاراً
[illegible] رومس [illegible]

وقبل ان شرعوا في [illegible] مدينة على جبل بالاتين قدموا الذبائح
[illegible] واشعلوا [illegible] جميع [illegible] في تلك النيران
[illegible] واحدة حول مكان [illegible] بعد [illegible]
[illegible] من بلادهم [illegible] بلاد اخرى ودعوة
[illegible] حول المدينة وقرب
[illegible] واحد [illegible]
[illegible] السور [illegible]

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء رومية فقال فريق انها شيدت في السنة الثالثة من الالومبياد السادس اي سنة ٤٠١ بعد حرب ترواده و سنة ٧٥٢ ق م وبعض الرومانيين يحتفلون كل سنة في ٢١ نيسان بعيد باليس الهة الرعاة لانهم كانوا يعدون العيدين في يوم واحد

الباب الاول

في ملوك رومية وحكومتها
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٥٠٩ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٢٤٤ ب ر

الفصل الاول

في ملك رومولس
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧١٦ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٣٧ ب ر

لما تم رومولس بناء المدينة جمع الشعب وخاطبه بما معناه

لو كانت قوى المدن محصورة في علو اسوارها وعمق خنادقها لوجب علينا ان نخاف شديد الخوف على مدينتنا الآن اذ لا يعسر على المقاتل الجبار ان يتسوّر الاسوار ويهدمها مهما علت وما دامت تنفع الحصون لدى الفتن والحروب الاهلية ثم انها تحمي الشعب من عدو غريب يدهمه بغتة

ولكنهم لا تستطيع ردّه وقهره فتكل نتائكم على الشجاعة والفطنة والتدبير [illegible] ولا تضاروا وترموا لاحد وتعنى بمعونة سدّان بشري بيسكم وتعلموا من سنن الاعتبار لانكم تمس خمسة قد سقطت في يدي [illegible] حين [illegible] [illegible] وحضرتموا حكم ذا سعيكم محمود ومرعاة [illegible] ذمّة كل [illegible] [illegible] امر موقوف بعد على من حر مهم جدّاً وهو قدمة حكومة [illegible] وعلموا ما تروونه حتى [illegible] حاضع لكل ما ترومون حرّية وعدا تسميكم مدينة تسمي [illegible] حرمة في الابد

وحين [illegible] روملس من كلامه وعمر الشعب [illegible] وشهدوا به رضية ملكا على رومية وانقى به مدبر الامور

وحين روملس عدد [illegible] قومه فبلغ عددهم سبعة آلاف رجل [illegible] فرس [illegible] في سبعة فصار [illegible] واقام على كل قسم رئيسا وقسم ايضاً كل قسم الى عشر فرق واقام لكل فرقة [illegible]٣ وقسم ارض رومية الى ثلثة اقسام غير [illegible] وخصص قسم منها لخدمة الدين وجعل قسماً [illegible] [illegible] [illegible] وهو القسم الاكثر عدداً [illegible]

وقسم الشعب الى [illegible] و[illegible] وجعل [illegible] وبين كل [illegible] العدية [illegible] لكل واحد من [illegible] [illegible] من رده من [illegible] ووضع [illegible] هذا الامر [illegible] يجب على [illegible] [illegible] عمل [illegible] وان [illegible] في [illegible] وان يدافع عن [illegible] [illegible] [illegible] وعلى [illegible] كان الشريف [illegible] [illegible] يجرّ [illegible] [illegible] ان [illegible] و[illegible] [illegible] في الحرب ولا يسوغ لاحد منهم ان يشكو الاخر ولا ان يشهد عليه [illegible] في امر ولا [illegible] بعد [illegible] ويكون [illegible]٣ وشكر روملس [illegible] [illegible] من [illegible] عضو ليعسة على السياسة [illegible] و[illegible] امور الشعب [illegible] [illegible] [illegible] ووضع في شرائعه النساء عن شرب الخمر على الاطلاق و[illegible] عن الزوج [illegible] من مرأة واحده

وجعل المرأة ترث زوجها اذا مات ولم يكن لها اولاد واذا مات عن اولاد
فلها من الميراث كواحد منهم وفرض على البنين خضوع التام للآباء لانهم
واعطى الآباء حق ان يتصرفوا فيهم كما يشاؤون وان يبيعوهم عبيداً اذا
ارادوا ومنع الوطنيين من مباشرة الاشغال التي لا يلزمها حركة عضلية
وخص هذه الاعمال بالغرباء والعبيد وفرض على الرومانيين جميعاً ان
يجندوا لحماية الوطن وخدمته وحرث الارض وجعل مدينته ملجأ للمذنبين
وحتى لمن اثقلته الديون كافة فتقاطرت اليها اللصوص والقتلة من كل
فج واتخذوا من مثم الحياة في وطنه ولم يكن لاكثر الرومانيين نساء . فسأل
امراء الساسبيين والامم المجاورة ان يرضوا ان يتزوجوا بناتهم فرفض
الساسبيون طلبه وردوا رسله خائبين لو جعل رومليس مدينته ملجأ للعواهر
والجواري لجعلهن حتى للصوص وللقتلة وكفى ذل السؤال وحصل على ما
يروم ولم يسع رومليس هذا الجواب وعز صدره عليهم واراد الانتقام منهم
على خطف بناتهم وتزويج رجاله بهن غصباً وحدث بعد ذلك انه بينما كان
قوم يحفرون بالقرب من رومية وجدوا مذبحاً تحت الارض للاله كونسس
اله المشورة فعزم رومليس على الاحتفال بعيد هذا الاله واجرى ألعاباً
عمومية واعلن ذلك للساسبيين فهرعوا الى رومية رجالاً ونساءً فبالغ
الرومانيون في اكرامهم وعمل كل ما يرضيهم مدة ايام العيد الا انه في اليوم
الاخير من الالعاب كانت جارية وصار المتفرجين شاخصة اليها هجم
الرومانيون على البنات الساسبيات وخطفوهن قوةً واقتداراً ولم يستطع
الساسبيون مدافعة عن بناتهم لانهم كانوا عزلاً لذلك ولوا منهزمين

وفي الغد جمع رومليس البنات الساسبيات وكلمهن قائلاً

لم يخطفكن الرومانيون امس سراً وخوفاً سفاحاً بل لتكنّ لهم حلائل
طاهرات وان هذه الطريقة مألوفة في بلاد اليونانيين وهي تعود بالفخر
على النساء اكثر من غيرها فخففن عنكن والاحزان ولو فرض ذلك ذنباً

فان شئتن رجعتن بلا ريب الى آبائكن الذين رفضوا طلبنا باحتقار وما
عليكن الآن سوى محبة رجال يعدون ازواجهم بكل سعادة عظيمة ومعلوم
ان العطف والالفة في شخص قد يكون سبباً في زيادة وداده فستشاهدن
من بعولتكن حباً ينسيكن آباءكن والاوطان

وارسل الصابيون رسلاً الى روملس يسألونه رد بناتهم لانهم لم يريدوا
خوض عجاج حرب قبل استعمال الوسائل السلمية فابى روملس اجابة ما
سألوه به وطلب اليهم ان يعطوا رضاهم الدائم بهذا الزواج وبينما مخابرات
كانت جارية في هذا الشأن نهض كرونين ملك سابينا واغار على
الرومانيين وكان كرونين فارساً مغواراً وقرماً شجاعاً وسبب حربه انه لما
رأى تقدم الرومانيين وما ظهروا من الجسارة في خطف بنات الصابيين
خاف على مملكته منهم واراد ان يذلهم قبل ان تقوى شوكتهم فخرج اليه روملس
بجنوده ونشب القتال بين الفريقين ودام برهة الى ان التقى الملكان وطلبا البراز
وتفرق الجيشان ينظران ما يكون ونذر روملس على نفسه انه ان غلب
خصمه يقدم اسلابه غنيمة لجوبيتر فنشط حينئذ لاتكاله على الالهة وطعن
كرونين طعنة تحت نحره ورأى الصابيون رئيسهم قتيلاً ولوا منهزمين
فلحق بهم الرومانيون ودخلوا مدينتهم ظافرين واعتقد روملس الأمن
غير انه هدم سابينا ونقل سكانها الى رومية ومنحهم حقوق الكابوطيين ووفى
نذره لجوبيتر وبنى له هيكلاً صغيراً ووضع فيه اسلاب كرونين واجتمع
بعد ذلك الامتين ونقلهم الى رومية وارسل قسماً من شعبه يسكن بلدهم
واشتهر روملس في شجاعته والحكم فتسابق الاتروريون في الخضوع له
جبراً

واضاف روملس الى المدينة رابية ساتربيوس المدعوة بالكابيتوليس
وبنى على قمتها قلعة حصينة واحاطها بالاسوار والابراج المنيعة وكل هذه
الحصون كانت عالية تشرف على المدينة وعلى الاراضي المجاورة ما الصابيون

فلم ترهبهم قوى رومس المتكاثرة ولم ترعبهم جنوده ولا حصونه بل زحفوا الى
رومية بجيش عرمرم جرار يقدمه ملكهم طيطس طاطيوس بين الاحد [illegible]
وارد . الاولى [illegible] فجمع ملك رومية العسكر
ورتب الجنود في [illegible] جنده بومبتور والانزرجون وصف جيوشه
هذه على رابيتي سكيتوس وكورنيلس واقام بسور الصابيين ليوقع بهم
وعسكر الصابيون عند سفح رابية سارسوس ولم يجسروا على مقاتلة
الرومانيين لان مركز هؤلاء كانت جيدة فباتوا يطوفون حول تلك
الرابيه لعلهم يجدون بها ثغرة وكانت طاربايا ابنة حاكم الحصون قد نظرت
الى الصابيين ورات في سواعدهم واصابعهم سوارة وخواتم فاذهلها ذلك
المنظر ورغبت في حصول على تلك الحلى فارسلت احدى جواريها تسال
قائد الصابيين مقابلتها في مكان عينته له ولما دخل الليل قبل طاطيس الى
مكان المعهود واتى معها على انه يجيبها الى ما رغبت فيه بشرط ان تفتح لجنوده
احد ابواب [illegible] بعد ذلك [illegible] وارادت
[illegible] بل حسبها في شرك توقع فيه الاعداء . فسالت رومولس ارسال فرقة من
العسكر [illegible] طاطيس [illegible] من الدخول الى القلعة من باب متفقة
معه على ان يرسل [illegible] لابلاغ رومولس ما [illegible]
ملك الصابيين بما دبرت [illegible] في الوقت المعين بعدد عديد من العسكر
والفرسان واستولى على قلعة وحصون رابية سارسوس اما طاربايا فقد
قتلها الجنود لانهم رموا بمجانهم عليها [illegible] كما وعدهم زعموا لذلك دعا الشعب
تلك الرابية [illegible] وقد عرفت بهذا الاسم الى ان سموها كابيتوليس
كما ستعلم

ولما [illegible] الصابيون باستيلائهم على حصون عوامل الحرب [illegible] مدة
[illegible]
[illegible]

موقعة ثانية فاز الرومانيون بادئ بدء وكسروا جناحي عدوهم ولما رأى مانيوس كورنتوس القائد الصابي انهزام قومه هجم على وسط جيش الروماني ليمكن جناحي جيشه من الاجتماع فكسره ولحق منهزمين الى ابواب رومة وحينما نظر رومس ذلك رجع وهجم على كورنتوس و [illegible] وصدمه واشغله بالقتال حتى سهل لاصحابه الانضمام والرجوع الى معسكرهم ودامت رحى الحرب دائرة حتى سار القائد وخرج كورنتوس جريحاً فوثب فوق [illegible] وهو محاط بالاعداء من كل جانب فرمى نفسه في بحيرة [illegible] معركة رومس وانصرف لقتال الصابيين ظاناً انه يغرق فيها [illegible] كورنتوس فتخلص من الموت [illegible] ودعي ذلك المكان بحيرة كورنتوس

وساق رومولس [illegible] وهجم عليهم هجمة الاسد [illegible] فلم يقدروا [illegible] هاربين ولجأوا الى القلعة وسعى الرومانيون [illegible] استرجاعها [illegible] الصابيون يدحرجون عليهم الاحجار من [illegible] الرمية [illegible] رومس [illegible] كاد يذهب [illegible] موقع [illegible] ولما رأى قومه ما [illegible] ورجعوا [illegible] المدينة منهزمين امام الصابيين وحينئذ [illegible] جمع الجنود وخرج للقاء الاعداء وقبل ان [illegible] النساء الصابيات ناشرات شعورهن وحاملات اولادهن واعترضن بين [illegible] يسألن [illegible] [illegible] عنهن [illegible]

وقد روى ديونيسيس ما حدث قال ان [illegible] لم [illegible] طاقة لقتال [illegible] [illegible] الصابيون [illegible] مترددين في هل يرحلون بعدما يجربون [illegible] الرومانيين او [illegible] [illegible] يدرون ماذا يعملون لانهم يعلمون [illegible] على تعويض [illegible] [illegible]

بالملك واعجبن وأذن لهنّ في ذلك بشرط ان يغادرن في المدينة اولادهن
فلبسن المسوح ونزعن الزينة والحلى وخرجن الى معسكر الصابيين ولما وصلن
الى الروميين مشين على رجل [illegible] واقفات [illegible] واخذن في البكاء والعويل
فحركت الشفقة في صدور الجميع وعقد الملك تاطيوس مجلساً من قواده
وعظمائه للنظر في هذا الامر فوقفت احدى النساء [illegible] هرسليا وخطبت
قائلة

ان [illegible] قد فتحتم هذه الحرب [illegible] لكم [illegible] تكونوا شفقة
علينا ورحمة [illegible] ولا [illegible] قد خطفن من [illegible] لكن اننا الذين
خطفونا [illegible] الا ازواجنا وقد [illegible] مدة طويلة فعدونا مرتبطات
مع الاولى [illegible] من عرى الود [illegible] فما تحرف عنهم الا ان عرض
لهم خطر [illegible] فصرنا [illegible] لو انكم لم تاتوا لتاخذوا
بثار [illegible] من رجالهن وحصف
امهات من اولادهن [illegible] لا بعد [illegible] شد ويلاً
علينا من [illegible] الاول

ولما كان الصابيون قد [illegible] رضوا بكف
الحرب واجتمع [illegible] بموجب عهدة مآلها ان
[illegible] في رومية ويكونون متساويين في السلطة وانه يسكن
فيها [illegible] موطنين فرق [illegible]
حقوق [illegible] مدينة رومية الا [illegible] يدعون كورتس وهو اسم
[illegible] مائة عضو
[illegible] حقوق وامتياز مجلس مؤسس رومية [illegible] عشيرة بادن
[illegible] من [illegible] فولكانس
وقد دعى ذلك المكان [illegible] كوميتيوم اي محل الاجتماع

وما بين الروماويين [illegible] النساء الصابيات بينهم كيف ولا وهن

سواني حصصهم من ورثه حرب وسعى لعقد مملكة بالعهدة [illegible] بنت
على بعلهن [illegible] سرموش [illegible] ورفعوا [illegible] روماني [illegible]
يكلم كلاماً غير [illegible] في [illegible] وان [illegible] يعلق في اعناق
اولادهن كرات ذهبية [illegible] في الاولاد [illegible] لبست لا يمكن
غيرهم لبسة

وعاش [illegible] خمسة عشر [illegible] وكان رومولس ساكناً على
رابية بالاتين وطاطيس على رابية طاربيس وسكن [illegible] الذين
هاجروا الى رومية على الرابية [illegible] دعوها [illegible] كورس [illegible]
كورس او تبركاً باسم الههم كورنس واتسعت الارض [illegible] بين [illegible]
[illegible] عموم [illegible] وكانوا
[illegible] الى [illegible]

و[illegible] عن [illegible] رومية [illegible] وكسرهم ونقلا
من مدينتهم [illegible] وارسلا [illegible] رومية [illegible]
[illegible] الاوقيس
[illegible]
[illegible] رفض ذلك وقال
[illegible] الى الغرباء وانه من الواجب
على [illegible] فقعوا خصومهم [illegible] وحدث [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] الى اوطانهم غدر بهم اللصوص المشار
[illegible] جدد اللاوقيون شكواهم فبض
[illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
وخلص رجاله من ايديهم .

وكان ملكا رومية يدهبان [illegible] الى لاوينيوم [illegible] لبعض

آلهة تروادية برعمه انها تحمي مملكتهم. واذ كان يقدمان الذبائح في هذه السنة كما جرت العادة ثار بعض ذوي قرابة واحد من الرسل اللاقيين المقتولين على طاطيوس وقتلوه عند المذبح فاحضر روملس جثته الى رومية ودفنها بكل اكرام على جبل افنتينس

واستتب حينئذ الامر لروملس وملك وحده بلا معارض فنفى من المدينة قتلة الرسل اللاقيين ودعا الى رومية قاتلي طاطيوس وبعد ما فحص دعواهم صرفهم بلا قصاص لانهم حسبوا ان قتلهم اياه كان انتقاماً عادلاً لا يوجب عليهم عقاباً

وجاهر الكمريون بالعصيان فحاصرهم روملس بعد قتل عدد منهم ونقلهم الى رومية وارسل الى كمريوم عدداً منهم من رومانية وجعل المدينة واحدة مدينتهم واسكن فيها قوماً من الرومانيين وتصدق له في هذه الفيدنيون فقهرهم واستولى عليهم واسر منهم بما عبرة ولما رأوا ما آل امرهم به ارسلوا رسلاً يسألونه السلام فصالحهم على ما سألوه وعقد معهم صلحاً مائة سنة فسلموا اليه بعضاً من مدنهم الصغيرة وقطعة على شاطئ نهر التبر

ومن العجب ان روملس الذي كان شديد الهمة في توسيع نطاق مملكته وبذل جهده في اخضاع الامم المجاورة لمدينته لم يستول على البا حين موت جده نوميتور وهو وارثه لم يرغب ان يجعلها من تركها ممتنعة بالحرية والاستقلال مكتفياً بان يكون له ان ينتخب كل سنة حاكماً يسوس شعبها ويدبر احكامها ويظهر ان روملس بعد نصرته لعدة وقوع العصيان احتقر [illegible] وتحكم مستبداً وعير مسلكاً بعضاً. والآباء (هذا لقب اعضاء المجلس العدلي) نفروا من اعماله هذه ووغرت صدورهم عليه وعمدوا الى الانتقام منه باية وسيلة كانت

وفي اليوم السابع من شهر تموز في سنة السابعة والثلثين من تأسيس رومية والسنين وقبل الخامسة والخمسين من عمر روملس عرض ملك

جيشه خارج المدينة في سهل هناك وحضرت الآباء هذا العرض وبعد
الملك يخطب العساكر وبينما هو يخاطبهم هبت الريح وعصفت وهطلت
الامطار فمرقت الرعود وبرقت البروق [illegible] فخاف الناس وحاطوا به
من كل جانب وفسوة واحتوا [illegible] وادعوا ان الآلهة قد نقلته الى السماء
في مركبة نارية فسرت خيالات [illegible] وصدقه [illegible] العاقلون فتوهموا
بوجود خديعة وكيد. وكان يوليوس بروكيلوس احد الآباء رجلاً معتبراً
مشهوداً له بالصدق ومعروفاً بالتدين [illegible] خشيم [illegible] له عسى
ان يرى خديعة فعل وبما كان الشعب محبه قال انه راى ان
رومولس قد ظهر له بغتة خارج المدينة وإذا هو لابس سلاحه
يخطف الابصار بريقه وصورته صورة الآلهة فجمع عند رؤيته وخاطبه
بهذه الكلمات

- [illegible] ولأي ذنب قد تركت هذا [illegible] مرحبين الاوفى
رومولس [illegible] وجئتك [illegible] غادرت مدينتك وجعلت [illegible] لنوح
والاشجار فجاءه رومولس [illegible] قد ارادت الآلهة يا بروكيلوس ان اعيش
بين الناس لارفع شأن رومية [illegible] على درجات [illegible] ثم [illegible] قد
رجعت الى السماء من حيث [illegible] فاذهب وحرّض الرومانيين على محبة
الشجاعة والممارسات الحربية لانهم [illegible] الامر سيملكون يوما جميع
الارض

ولما سمع الشعب هذا الكلام ابتهج جداً وقرر عبادة رومولس كاله
ودعاه كويرينس وهكذا [illegible] في مصاف الآلهة من [illegible]
ملكاً على رومية

الفصل الثاني

[illegible] لشعب واجمع على انتخاب [illegible] على [illegible] [illegible] الآراء وكان [illegible] [illegible] وفشوا على [illegible] الاحكام [illegible] حكم على [illegible] الشبهة [illegible] الرومانيين [illegible] يكون [illegible]

وكان في [illegible] سنة روما [illegible] مشهور [illegible] ومحب [illegible] على [illegible] على [illegible] والاكرام في قصور ملوك [illegible] ولما [illegible] فغادر مدينة وعاش

في المدينة منفرداً يأوي الكهوف ويتردد الى المسابح والعيون المقدسة

فهذا انتخبهُ الرومانيون لينتصب عليهم وارسلوا اليهِ الاثنين بوليوس روكيوس الاسني وفاريوس فولسس الصابيني ليخبراهُ بذلك ويبتغيا قبول ما عرضاه واجاب الرسولين قائلاً حيث ان لنجح في التعبير غير كيد من لحوق اذا كان المرء موسراً وحاصلاً على كل ما هو ضروري لهُ ان ينتصب نغيير حالتهِ الحاضرة او ان يرضى بذلك المقدر لانهُ يكون قد آثر امنيةً على راحتهِ متقرزة ومن سكر ما دون انتصب على الرومانيين من ابعاد ويعذب ترابا كيف انهم طوا رومس قد قتل طاطيس رفيقهُ وكيف انهم اتهموا مجلس بقتل امنك مع ٢٠٠ بحسون رومليس سليل الهٍ قد حفظهُ في طفوليتهِ من الاخطار بطريقة عجيبة ما ان عاش قد اشتهر بصفات لا توهنهُ ان يسوس الناس ولا ان يدفع عن رومية ويصونها من اعدائها الكثيرين فهي تحتاج شدة الاحتياج الى ميرمعوار شجاع واي مسامعة يأتي باسمه الشعب من ملك يصرف همهُ في توطيد السلام والعدل وحث الناس على التقوى ولا ريب ان مثل هكذا يكون محتقراً من رعاياه الذين دابهم الطمع وشن الغارة على السوى

ورغب اليهِ الرسولان الا يرفض طلب الرومانيين كي يتقدم من الراع الدائم والتدقيق والحّ عليهِ ابوهُ وصديقهُ مارسيوس في قبول ما قدم لهُ قائلين هب انك راضٍ بحالتك الحاضرة ولا تود السلطة والاموال الست تحفل بامر الآلهة التي عينتك ملكاً ولعلك تظن انها قد أثارت فيك محبة العدل لتقيم في برية بلا فائدة فسر براسك هو المقام العالي الذي تتلألأ منهُ انوار الفضيلة جاهدة في جذب قلوب الناس اليها واخضاعهم لسلطتها ثم تنظر الى كرام الرومانيين للملك طاطيس وحبهم لرومليس الذي عبدوهُ بعد موتهِ ولربما تغتور رومية اذا تركت تخمص جماح كبريائها وتنزع منها محبة الحرب والغارات عاكفة على التقوى والعبادة فاقتنع هذا

الفيلسوف بما قيل له ورضي ء طيب اليه وبعد ما قدم القرابين للآلهة مشى في المدينة فسمعهُ في الطريق عصاة غضبى وهم يرجّون به متهمون لانتخابه

ولما وصل الى رومية لم يرد ان يبدي شيئاً للناس الملك بل ذهب توّاً الى رابية طاربيس لستشير الآلهة وجلس على حجر هناك متجهاً الى الجنوب ومغطياً راسهُ فرفع ووقف رئيس العرافة ورأى ماداً يدهُ اليمنى فوق راسهِ ومصلياً ثم نظر الى السماء متيمناً فرأى بعض طيور تفاءل بها الحاضرون وعدّوها دليلاً على قبول الآلهة بهذا الانتخاب فنزل نوما حينئذ من الرابية وذهب الى السنة لمعدنه واحد من ذلك الوقت في تهذيب الشعب وتوطيد السلام وزرع الالفة بين الجميع ووسع المدينة بمد اسوارها حول اربعة كور بالنس

قال سباركوس ان نوما كان يعتقد بالله واحد واجب الوجود غير متغير وغير منظور ولذلك منع الرومانيين من تمثيل الهتهم بصورة رجل او بهيمة ومنعهم ايضاً من ذبح الذبائح وفرض عليهم فقط تقديم قرابين للآلهة من خبز وعسل وخمر ولبن

ورتب المعابد وصنع الكهنة وكثّر الاحتفالات الدينية ليسرّ الشعب ويشغله عن الحروب والاضرع وبنى هيكلاً للاله جانس رب النطقة والتدبير واله مبدإ كل عمل ونهايته وامران يغلق هذا الهيكل في ايام السلم ويفتح في زمن الحرب وحرم الآباء حق المصادقة على اولادهم بعد الارشاد او بالحري بعد زواجهم لانهُ ليس من العدل ان ذوج رجل حرّة فتصبح امرأته عن دليل بزم بوءة معه وجته عبد رقّ ووضع قوانين قسمه ما لها صيانة الصحة وحصنها من الخوف الا انهُ سمح للرجل ان يقرض امرأته لصديقه متى ولدت له بنين فكان ذلك بمنزلة طلاق وفي الاحيان نسل من كسب مرة عن ا وكان له حق ان يرجعها الى بيته متى

الفصل الثالث

في ملك طلس هوستيليوس

من سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٤١ ق م

او من سنة ٨ الى سنة ١١٢ ب ر

كان طلس هوستيليوس الذي خلف نوما شيخًا عزيزًا وغنيًا كريمًا فوزّع على المحتاجين من الرومانيين العقارات والاموال التي حبسها نوما على نفقة الملك والكهنة وضمن تقديم ما يلزم لذلك من ماله وقد اشتهر بكونه بطلاً صنديدًا يحب الحرب والكفاح وهمامًا مغوارًا لا تقعده المصاعب عن نيل ما يبتغيه فبات يرقب الفرصة ليقاتل من الامم المجاورة من يجاهر بالعدوان لان شرائع نوما كانت تحظر الغزو والغارات وبدء الاعداء على احد

ونصر كلّيوس رئيس الالبانيين رعية شبان الرومانيين تحرّك فيه الحسد ورأى نجاحهم ورونقهم فزاد به الحسد واراد قتالهم فلم يرَ الى ذلك داعيًا فعمد الى تدبير حيلة تثير الفتنة وتحمل الرومانيين على خوض الحرب كمهاجمين لينال ما يبتغيه ولا يكون مسؤولاً بنزع السلام ونقض العهود فارسل سرًّا بعض رجالٍ فقرآء وامرهم ان يغيروا على ارض رومية وينهبوا ما يمكنهم نهبه فعملوا بما امروا به ولما رأى الرومانيون ما جرى بعثوا جيشًا يتأثرهم لينتقم منهم فادرك جيش الروماني تلك الشرذمة وقتل منها من قتله واثخن بعضًا بالجراح واسر الباقين حينئذٍ جمع كليوس الالبانيين واخبرهم باعتداء الرومانيين عليهم واراهم الرجال المجروحين وحرضهم على مقاتلتهم

فثارت الحمية بالالبانيين وارسلوا رسلاً الى رومية يطلبون ارضاء وتعويضاً
مهددين الرومانيين بالحرب ان لم يعطوهم ما يرومون. ولما راى طلس
الرسل عرف حاجتهم واراد رد كيد الالبانيين في نحرهم وبرئة قومه فارجأ
مقابلتهم متعذراً واحلهم محلاً جميلاً واكرمهم غاية الاكرام وارسل رسلاً الى
الالبانيين بالحاح تعويض فقابلهم كبيرهم وقال لهم لكم بددتم حقوقنا ونكثتم
العهود وقد وجهت الى معسكركم رسلاً واظنكم لم تصغوا اليهم وساله على
ذلك عذركم اعدته لنا واطلب فاكم فعل الصارم النار بعضنا فاعلمت
الرسل رجعة واحضرت الملك [illegible] طلس رسل الالبانيين وحادثهم
بلطف مستخبراً عن بغيتهم فاخبروه طبع مرامهم واعلموه ان كبيرهم يود الحرب
اذا لم تعط تعويضاً فاجابهم طلس اذهبوا وقولوا له ان ملك رومية يطلب
الى الآلهة ان تذل الامة التي رفضت ولا التسوية والصلح راغبة في
العدوان

واخذ الفريقان في الاستعداد للحرب ولما انقضى الاجل المضروب
زحف الجيشان وابتدأ القتال ومات في اثناء ذلك كبيرهم وخلفه في الرئاسة
على الالبانيين ماتيوس فوفتيوس ورأى الاميران المتحاربان ان العدوين
والعيون يرومون الايقاع بهما جميعاً [illegible] قد ضعفتا من جرى الحروب
فاشفق الرئيس الالباني على [illegible] الاعداء [illegible] طلس يأمر بالصلح
والاتحاد فقبل طلس بذلك واتفق على ان يبرز من كل فريق ثلثة رجال
والفريق الذي تنتصر رجاله على [illegible] له حق التسلط على
الفريق الآخر

فبرز من معسكر الالبانيين ثلثة اخوة اسمهم الكورياسيون وخرج من
صفوف الرومانيين ثلثة اخوة يقال لهم الاوراسيون ومن غريب الاتفاق
ان الاوراسيين كانوا ابناء خالة الكورياسيين وكان كل واحد منهم
مساوياً قرنه في العمر والشجاعة فهؤلاء هم الذين اقدموا على سفك دمائهم

فدى الامنيين ووسيلة للاتحاد بابسين صلات القرابة وحقوق النسب
ومجردين الصوارم ليسلك بعضهم بعض خدمة للوطن فتقدموا جميعاً للبدء
بسبب لا بجامرة الحرع الا أنهم لما دنوا وابصر كلٌّ من قريبه خصماً وقريباً
تعانقوا بكي وافترقوا للكرّ والكفاح ود يتمادى بهم الامر حتى حرّ ثنان من
الاوراسيين مجدلين فعلت في معسكر الالبانيين صيحة الفرح واصوات
السرور وحزن الرومانيون وايقنوا بالذل بعد الانتحار ونظر الاوراسي
الى خصومه فوجدهم مثخنين بالجراح ورى نفسه سالماً غير مجروح فعمد الى
الهرب ليفرقهم ولما نظره الكور يانسيون منهزماً تبعوهُ فالتفت اليهم وكانوا
قد تفرقوا فهجم على الاول وذبحهُ وبادر الى الثاني فقتلهُ ولحق بالثالث
مجدلة وجمع اسلاب الثلثة ورجع ظافراً غانماً وهكذا انتهت هذه المعمعة
الشهيرة التي حوّلت رومية التسلط على ألبا

وكلل الملك طلس الاوراسيّ بكليل الظفر فدخل هذا الفتى رومية
مسروراً بما فعل وكانت اخته تحب احد الكور يانسيين ورأت بين الاسلاب
ثوب من نجته متضخاً بالدم وكانت هي نسجها قد خاطت ذلك الثوب فنشرت
شعرها وضربت صدرها ومزّقت ثيابها وقالت لاخيها ايها الوحش الشرير
كيف تسلك دم اقربائك الذين كنت تودهم كاخوتك وتقتل بقساوة
خطيب شقيقتك فحنق الاوراسي من كلامها واجابها اذهبي الى حبيبك مع
شهواتك الوحشية يامن نسيت اخوتها والوطن ثم استل سيفهُ وضربها قائلاً
فليهلك هكذا من يحب عدوّ الرومية

وقبض على الاوراسي لحالٍ وجيء به الى الملك لينظر في دعواهُ
ويحكم عليه فرام طلس خلاصهُ فلم يقدر لان دمهُ كان عصياً فوكل امرهُ
الى حكميين حاسبا ما اقترفهُ ذنباً سياسياً فقضى الحكمان عليه بالقتل ولما همّ
الجلاد بقتله قام ابوهُ واشار الى الشعب قائلاً ايها الرومانيون كيف
تسمحون ان يقتل اليوم مخلص رومية وانت ايها الجلاد كيف تربط يديهِ

الذين ساقهما الظفر وابن تقتلة دخل المدينة امام الاسلاب التي غنمها شجاعوا خارج الاسوار بين قبور الكور ياسيين ثم اسارى في كل مكان آثار مجده الذي يجب ان يصونه من هذا اقتل الشيع

ونظر الجمهور الى دموع الاب وبنات الابن فشفق عليهما وفك رباط ذلك الفتى الشجاع صفحًا عن ذنبه

وتذكر طلس حياته القديمين وما يوقه من الشر حينما كانت الحرب ثائرة بينه وبين اللاتينيين فامر رؤساءهم ان ياتوا رومية ليرثوا انفسهم لدى المجلس العالي فهم يرجع القديمون لما امروا به بل اتحدوا مع الفيين وجمعوا العساكر والابطال ورجعوا للقتال وكان موسيتوس رئيس اللاتينيين قد واطأهم على ذلك املاً ان يضعف شوكة الرومانيين ليتسنى له الاستقلال غير انه لم يجسر على اعلان هذا الامر بل كتمه خيفة ان تدور عليه الدوائر وخرج بعسكره اجابة لطلب طلس الذي نهض في الحال لمحاربة اعدائه وأخر موسيتوس جنوده عما نوى فاتخذوا رابية وعولوا على حفظ الحيادة حتى اذا ما تبين لهم الظافر من الفريقين هجموا على المغلوب واعانوا القوم الغالبين وعلم طلس بخدع اللاتينيين فتربص في مكانه قليلاً صابرًا على الاهوال ثم اقتحم مع جيوشه صفوف الاعداء فاذاقهم حربًا لا تبقي ولا تذر فتشتتوا في تلك البيداء ولحق بهم اللاتينيون وقتلوا منهم جمًا غفيرًا

وفي الغد ارسل طلس كتيبة من جنوده لتخريب البا وأمر الجيوش اللاتينية والرومانية ان تحضر اليه بلا سلاح ففعلت ذلك الا ان الرومانيين تقلدوا حسامًا واعز اليهم سرًّا سيوفهم تحت ثيابهم ولما انتظمت الصفوف اخذ طلس يتكلم عن خيانة وخدع موسيتوس ولما فرغ امر بقتله مع الرؤساء الذين وافقوه في تلك الدسيسة ونقل الى رومية من نجي من عسكر وسكان البا ومنحهم حقوق كاتوليين واسكنهم على رابية كيليوس التي اضمها الى المدينة

وظلَّ المدنيون مجاهرين بالعصيان فاغار عليهم طلس واستولى على مدينتهم قسرًا وقتل رعاةَ العصاة وسمح للباقين منهم ان يسكنوا في بلادهم كما كانوا مقرّين فقط بسيادة الرومانيين وحارب الصابيين وقهرهم بعد وقائع عظيمة ثم أبت المدن اللاتينية التي كانت تابعة لالبا الخضوع له فرجعت اليها رجاله وقاتلها الا انه لم يخضع منها سوى مدينة مادلِيا فارتدَّ عنها راجعًا الى رومية بعد ما أضرَّ زرعها وأتلف اعلالها في ذلك العام

ولما شاخ طلس داخلهُ الوسواس وزادت اوهامهُ وقوي اعتقادهُ بخرافات الرومانيين الدينية فصار لا يكذب خبرًا بموهومةٍ عليه و يصدق كل ما كانوا يقصونهُ من سماع اصوات من السماءِ وهو يامر بتقديم الذبائح للآلهة كفارة عن خطاياهُ وذنوب الشعب قيل ان نارًا سقطت من السماءِ على قصرهِ فحرقتهُ مع بنيهِ وامرأتهِ وقيل ان انكس مارسيوس قد قتلهُ وتبوأ بعدهُ سرير المملكة

الفصل الرابع

في ملك انكس مارسيوس

من سنة ٦٤١ الى سنة ٦١٦ ق . م

او من سنة ١١٢ الى سنة ١٣٧ ب . ر

واراد الملك الجديد انكس اصلاح ما فسد من عوائد الشعب بعد موت جدّهِ نوما واحياءَ محبة الفلاحة والزراعة في قلوب الجميع ماشيًا على سنن الخير والتقوى وراغبًا في اجتناب الحروب ما امكن ونظرت الامم المجاورة الى اعمالهِ هذه واميالهِ السلمية فاحتقرتهُ وخالت الاوان قد آن

للانتقام من الرومانيين وتعويض ما فقدته في السنين الماضية فنهض اللاتينيون وجاهروا بالعدوان فانتقم انكس بجوده وكرمه ونقل سكان بعض مدنهم الى رومية واسكنهم على رابية افنتينس التي اضافها الى المدينة ومدّ ايضاً الاسوار حول رابية جانيكولم وبنى هناك قلعة وجسراً فوق النهر وحفر خندقاً عظيماً حول الاماكن الواطية لصونها من الاعداء اذا هجموا بغتة وحارب بعد ذلك الصابين والفديين واخضعهم ووسع هيكل جوبتر فرتريوس وبنى مدينة ومرفأ اوستيا عند مصب نهر التيبر على بعد ستة عشر ميلاً من رومية وكان بين رجاله فارس اتروري اسمه طاركوينس قد اشتهر بشجاعته وذكائه وخبرته بالفنون الحربية فاحبه انكس جداً ورفع مقامه وادخله عضواً في المجلس العالي . ومات انكس بعدما ملك اربعة وعشرين عاماً تاركاً ولدين اقام عليهما وصياً وناظراً صديقه طاركوينس المذكور

الفصل الخامس

في ملك طاركوينس برسكس او طاركوينس الاول

من سنة ٦١٦ الى سنة ٥٧٨ ق . م

او سنة ١٣٧ الى سنة ١٧٥ ب . ر

كان بكرنثوث في عهد سيبسلس الظالم ملك تلك المدينة رجلٌ غنيٌ جداً اسمه دامارتس من العائلة الشريفة التي اصطلب سيبسلس الملك منها فهذا الرجل لما راى جور الامير الجديد أشفق على نفسه وامواله فجمع ما عنده من السلع والمال ورحل في الحال الى طاركويني احدى مدن

أترورياالعظيمة وسكن فيها مستوطناً وتزوج هناك امرأة شريفة ولدت له ابنين اسم احدهما ارنكس واسم الآخر لوكومو ومات ارنكس قبل ابيه تاركاً امرأته حبلى ومات دمارتس ايضاً في ذلك الحين جاهلاً امر حبل كنته وتاركاً كل ثروته للوكومو ابنه الاصغر وهكذا حرم ابن أرنكس قبل ان يولد حصته من ميراث جده فدعوهُ لذلك اجاريوس اي الفقير

اما لوكومو فشرع يبحث عن الوسائل التي تخوله العظمة والفخار في مدينة طاركوبي راغباً في الارتقاء الى المناصب العالية و باذلاً جهدهُ في استمالة الجمهور توصلاً الى ما يبتغيه الا انه خاب مسعاه ولم يدر بطائل لكونه عدَّ عن ياغير اهل لنيل ما هو ساع لنيله فرحل لذلك الى رومية واقام فيها فمنحه ملكها حقوقاً كالوطنيين و كرمه غاية الاكرام واعلى مقامه ودعا لوكومو ذاته طاركوينس بدلاً من دامارتس واحبه الشعب الروماني ومال اليه لشجاعته وفطنته وسخائه ولما مات انكس صعدت الصارة الى الملك وصمم على اختلاسه من ابن انكس القاصر فجمع الرومانيين وحضهم على اتخاذه ملكاً عليهم مظهراً لهم فضائله وذكر الاعمال الخيرية والاعمال العجيبة التي اجراها لهم فرضي الرومانيون به ملكاً وانقادوا له طائعين

وزاد طاركوينس الآباء . اعضاء . المجلس العالي مائه عضو لموجبه حربية ويزيد عدد المنتصرين له وكان اولئك الاعضاء . الحديثون من العوام فاعطاهم حقوقاً وامتيازات كالاعضاء . الباقين واعتبرت اولادهم من القوم المشرفاء .

وادعت الامم المجاورة التي اخضعها الرومانيون قبلاً ان خضوعها كان واجباً مدة حيوة الملك الذي حاربها وعقد معها صلحاً وانها قد امست الآن مستقلة اذ تلك العهود قد ماتت بموت الملك واشهر بعض اللاتينيين الحرب فتقدم طاركوينس بعساكره وحاصر مدينة ايبولي واستولى عليها بخدعة وباع سكانها عبيداً وهدم انكرسميون على عصيانهم فصفح عنهم

واسكن بينهم جماعة من الرومانيين واستولى بعد ذلك على كولاسيا وملك عليها اجاريوس ابن اخيه الذي دُعي كولاتينس نسبة الى المدينة المذكورة ورجع الى كوربكوم وأذاق اهلها مر العصيان وحارب اللاتينيين والصابيين وبعضًا من الاتروريين وغلبهم فدان له الجميع صاغرين ولما رجع الى رومية دخلها بالفخار عظيم محتفلاً بنصراته العديدة وأنفق الاموال التي جمعها من المدن المغلوبة في بناء ملعب لاجل الالعاب الرومانية العمومية

وكانت اتروريا بلادًا واسعة جدًا مقسومة الى اثني عشر قسمًا فلما رأى امرآؤها ان طاركوينس قد غلب بعضًا منهم تهيأوا جميعًا لمحاربته واستولوا على بلاد الفديين بخيانة بعض سكانها ومن هناك اغاروا على اراضي رومية فصبر طاركوينس مدة الى ان جهز جنودًا وفرسانًا كافية وخرج لقتالهم فجرى بين الفريقين موقعتان نال الرومانيون في كلتيهما الظفر على اعدائهم ولما كانت فدينا مدينة الفديين متاخمة اراضي رومية عوّل طاركوينس على اخذها وبعد ما كسر الاتروريين في موقعة ثالثة حاصرها واستولى عليها وقتل بعض سكانها الذين خانوه وسلموها الى الاعداء ووهب اراضيهم لعساكره ثم اسرع وقاتل الاتروريين لانهم كانوا عازمين على جمع جنود جديدة وانتصر عليهم فارسلوا اليه رسلاً يسالونه السلام ويعلنون خضوعهم له فرضي بما طلبوه اليه وامر بكف العدوان

وبعث الاتروريون الى طاركوينس دلالة على خضوعهم له تاج ذهب وعرش عاج وصولجانًا وثوبًا موشى وثوبًا آخر ارجوانيًا فلبس طاركوينس هذه الثياب الفاخرة واحتفل بنصرته راكبًا في مركبة مذهبة تجرها اربعة افراس

وصرف همته بعد هذه النصرات في اصلاح المدينة فبنى سورها من حجارة منحوتة وأزال المستنقعات التي كانت في الاماكن الواطئة حول الفورم

وبنى قنوات عظيمة حسب البناء الاوروبية وطرح الاقذار الى الخارج
واصلح الطرق وشاد فيه حوانيت للباعة والصيارفة وفتح مدارس للصبيان
والبنات وبنى هيكل للآلهة [illegible] ثم نهض لمحاربة الصابنيين
محققاً انهم [illegible] الاترور [illegible] بحارهم وورد في ذلك الحين
فرسانه وجعل عددهم سبع [illegible] فارس وامدّ الاترور الصابنيين
بفرقة من جنودهم [illegible] وعسكرت عند مصب نهر ابو [illegible]
النيم [illegible] صدر كونس فعسكر على نهر ابو ونظر حركة
المياه [illegible] في [illegible] يحرق [illegible] الذي سنة [illegible] فعمل قوارب
وملأها حطباً يابساً [illegible] ومواد [illegible] سريعة الاحتراق وقذف هذه
القوارب ليلاً [illegible] من جهة وفي نهر النيم من جهة
اخرى فسارت مسرعة لان الريح كانت موافقة لها ولهب الحسر حالاً
واخذت [illegible] تاركين معسكرهم بلا حراس
فتقدم صدر كونس بعسكره تحت جنح الظلام واستولى عليه قبل بزوغ
الشمس [illegible] الاعداء [illegible] وانهزموا [illegible] بعضهم حرقاً
وبعضهم بسيف الروماسيين والبعض الآخر غرقاً ورجع بعد ذلك الى
[illegible] وكسرهم ثم [illegible] ولما [illegible] امام المدينة
جمع الصابنيون جنوداً جديدة [illegible] نهر ابو [illegible] على [illegible]
[illegible] كونس [illegible] وسائر جنوده وظن الصابنيون
[illegible] من [illegible] ونضعف [illegible] وانتخبوا قائداً آخر وهموا
بالهجوم على [illegible] كونس واغار عليهم فارتدوا الى الوراء
[illegible] في معسكرهم [illegible] الى ان كانت ليلة حالكة الادم
[illegible] معسكرهم [illegible] وساروا الى بلادهم تحت
جنح الظلام [illegible] من سيف طاركونس لانه كسرهم في السنة
[illegible] الاركان و [illegible] على [illegible] لمحبة

ليسلموا من شرّ ودان يعقدوا معهُ صلحاً مقرين بسيادة الرومانيين وخضوعهم التام لهم

وحقد اما نكس ماربوس على طركوينوس لانهُ خانها وسلب منها الملك فكانا يجهدان دائماً في حياط اعماله وتسويد سيرته في اعين الشعب وهو يزداد مع ذلك عظمة وباساً غير مبال بتهم الحاسدين المرجفين ولا يكترث بمكائدهم وحيلهم ساعياً لادراك ما يبتغيه من توسيع نطاق المملكة وزيادة مجده ومجدها كيف لا وهو اول ملك روماني جلس على عرش ولبس تاجاً ودون مزركشاً وجولاناً ومارأى تانا اكيل ان كل اجتهادها لم يجدها نفعاً استاجرا شابين لئيمين يأتيا بزي فلاحين وحملا فاسين وذهبا الى امام قصر الملك واخذا يتشاجران هناك ويتصايحان فخرج اليهما بعض الشرط وقدموهما الى الملك فشرع كل منهما يقص قصة ويعرض شكواه بحدة وصخب وهما يتقاطعان الكلام ويزيدان الصراخ فطلب الملك منهما وامرهما ان يشكيا بهدوء واذ كان مصغياً الى احدهما يحكي شكواه رفع الآخر فاسهُ وضربهُ بها فشق راسهُ وافلت مع رفيقهِ وانهزما

وشاع هذا الخبر حالاً فتراكض الرومانيون ليعلموا جلية الامر ووصدت طنكويل زوجة طاركوينوس باب القصر محتجة بان الملك مجروح يحتاج الى الراحة والسكون ثم خاطبت الشعب من كوّة قائلةً ان جرح الملك ليست سيئة كما ظُنّ ولا بد ان سيشفى عن قليل وانهُ يامرهم لذلك ان يطيعوا في كل الامور سرفيوس طليوس صهرهُ وفي الغد جلس سرفيوس على العرش ولبس ثياب الملوكية ونوى القضاء وامر باحضار بني نكس فلم يوجد لانهما هربا من المدينة فحجر عقارهم وما يملكان وحكم عليهما بانهما مذنبان خائنان

ودام الحال هكذا بعض ايام الى ان استتب الامر لسرفيوس طليوس فاشهر موت الملك فكان عويل وبكاء وشيع جنازته باحتفال عظيم ثم قصر

على زمام الاحكام من غير ان يتحة الشعب وانحس انحاد قانونيًا

الفصل السادس

في ملك سرفيوس طليوس
من سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٣٤ ق ٠ م
او
او من سنة ١٧٥ الى سنة ٢١٩ ب ٠ ر

كان سرفيوس ابن اسيرة جلبها طركوينس الى رومية من احدى المدن التي حربها ولم يعرف له اب شرعي (١) والحري م يتفق المورخون في هذا الامر غير انهم اجمعوا على كونه ولد في قصر الملك قبل تحرير امه التي كانت بديعة الجمال فاحبها الملك والملكة حبًّا شديدًا واعتقاها واحبا لاجلها ابنها سرفيوس وربياه تربية حسنة وزوجاه ابنتهما وفوض اليه طركوينيس مرارًا عديدة فصل مسائل عمومية وحسم مشاكل سياسية فكان يتصرف في كل ذلك تصرف عاقل فطين فعرف الشعب فضله وسجاياه الحسنة وقدره حق قدره لذلك م يمنعه من القضاء والتسلط بعد موت الملك كما تقدم المقال

وأنف الشرفآء واعضآء المجلس من فعل سرفيوس وارتقائه سرير الملك بلا انتخاب قانوني فاجتمعوا في مساورتهم وتذاكروا في الامر مليًا وصمموا على ان يخلعوه ويحكموا عليه بذلك في اول مرة يلتئم مجلسهم اما سرفيوس فشرع يستميل العوام اليه ليقاوم بهم سطة الشرفاء ثم جمعهم واخذ يبين

بدءه حفيدي طاركوس وخطب الجمهور قائلاً ايها الرومانيون
هذا هو حفيد ملككم العظيم الذي قتله كما علم القوم الطامعون وقد اوصى
الملك لي به وهو على فراش الموت فلا اعمل بموجب وصيته ذكراً لاحسانه
العظيم لي وانعامه العظيم علي واني لاحكم على مشاركتي في هذه خدمة
الحق وارغب اليكم ان تساعدوني في هذا الامر مناسبة لما بذلته في خدمة
الوطن واني لمسكف بها الرومانيون ان اكثركم عبيد دائنيكم فانهم قد
فتحتم بذراعكم ودمائكم الاراضي التي استولى عليها العظماء. ولا اراكم تملكون
سوى قطعة ارض صغيرة لا تكفيكم عيشة فانتم محرومون لذلك ان تحرثوا
ارض اولئك العداة لتعيشوا فلا ريب انكم قد حصلتم كثيراً وحصلتم زمناً
طويلاً حور اشرف الذين يكدون بحسوبكم اجراً بسبب فقركم ولكن
اعلموا بالآ فسوف احكم كل مدينكم

ووفى بعد ذلك سرفيوس من ماله دين الفقراء. واصدر منشوراً بامر
بان الذين احتلوا الاراضي العمومية يخلوها في وقت عينه لهم ووزع تلك
الاراضي على من ليس له ملك

ووضع قوانين جديدة افضل بها بعض منازعات للسرقة. وحارب
الذين الذين جاهروا بالعصيان واخضعهم. ووهب ارضيهم من كان فقيراً
بين الرومانيين ودخل المدينة باحتفال عظيم على رغم انف العظماء.
ووسع رومية باضافته اليها رابيتي اسكويلنس وفيمينالس وزوج حفيدي
طاركوس بابنتيه ليجاريه وامن شره واحصى الشعب وقسمه الى ستة
اقسام حسب ثروة كل واحد منه وفرض على كل قسم مكوساً يدفعها وقت
الحرب وذلك بالنظر الى عدد رجاله في كان فيلاً وقسم
الاقسام الى فرق وكثّر الفرق العب وقلّل القلية من غير ان ينظر في
هذا الامر الى عدد انفس القسم بل الى ثروته كل شرما لان القسم الاول
كان يشتمل على ثمانين فرقة والقسم الاخير وهو اكثر الاقسام انفساً كان

يستميل على فرقة واحدة وجعل حقوق الانتخاب واصوات الاقتراع حسب عدد الفرق ونظم الحدية وقسم رجاله الى عسكر عاملين وهم الذين لم يتجاوز عمرهم الخامسة والاربعين والى محافظين وهم الذين تجاوزوا هذا الحد وبلغ عدد الاحرار القادرين على الحرب اربعة وثمانين الفا وسبعمئة رجل وامر ان يجدد احصاء الشعب وتقسيمه على النمط المذكور كل خمسة اعوام لان الدنيا كالدولاب تحدث في احوال سيرها تغيرًا مستمرًا

وعوّل هذا الملك الحكيم على زيادة عدد الوطنيين بوسيلة لم تخطر قط على بال احد من اسلافه وذلك انه تذكر من عوديو ماشيق على حالة اولئك الذين حكم سوء الحظ عبيدًا وامر بان كل عبد قد اعتقه مولاه واراد السكنى في رومية بعدُ وطنيًّا وان الآباء اعضاء المجلس بادىء بدء التصديق على هذا الامر بحجة وقال لهم لو كانت الطبيعة قد وضعت حدًا فاصلاً او فرقًا بينًا بين من ولد حرًا ومن ولد عبدًا لوجب علينا ان نراعي هذا الاختلاف ونفرز من الناس الذين يخالفونهم بالطبع والطبيعة غير انه لما كان هذا الفرق في احوال الانام نتيجة الحظ فقط وجب عليكم ايها الآباء ان تصغوا بحكمكم الدنيئة حكام الهة عمياء . وهل تظنون هذه الالهة الحظ التي تحكم على جبابرة ورجال شجعان أسروا في الحرب تعدكم نعيمًا دائمًا فكم امة قد اشتهرت بالشجاعة والباس قد خانها الدهر وأذلها بعد الافتخار مع ذلك لِمَ لا تحسبون عبيدكم لعتقهم وطنيين وانتم قد حررتموهم لانه لما كان العبد شريرًا فلماذا تعتقونه واذ كان صادقًا وامينًا فاي مانع يمنعكم من اعتباره رومانيًا او كيف تحسب في عداد الوطنيين الذين ياتون من المدن المجاورة ليستوطنوا في مدينتنا غير باحثين عن اصلهم ونحرم هذا الحق من عاش معنا وتخلق باخلاقنا وعدّ اهلاً لان يعتق ويكون حرًا أتغفلون عن المنفعة العمومية التي تتطلب هذا الامر وتجهلون منفعتكم ايضًا ألستم تعلمون ان وجود الذين اعتقتموهم في عداد الوطنيين

مما يزيد سلطتكم وسؤددكم وعدد المنتصرين لكم

فاستحسنت الآباء كلامه وصدّقت على امره بشأن المستقيين واقام سرفيوس قضاة من اعضاء المجلس لينظروا في الدعاوي المدنية والجنائية ويفصلوا الخصومات ووضع لهم شرائع وقوانين يحكمون بموجبها

واراد الملك توطيد السلام وتقوية صلات الاتحاد بين شعبه وبعض الامم المجاورة مجاراة اللاتينيين والصابيين في بناء هيكل برومية للإلهة ديانا يحضرون اليه مرّة في كل سنة ليقدموا مع الرومانيين الذبائح والقرابين لهذه المعبودة وينظروا بعد انقضاء ايام العيد في المشاكل التي تعرض لهم ففعل اللاتينيون والصابيون بما اشار به وبنوا الهيكل المذكور على رابية افنتينس وعقدوا معهُ عهدًا ووضعوا قوانين لترتيب الجلسات وفصل الدعاوي ونقشوا العهد والقوانين على عمود حفظ في هيكل ديانا الى ايام اغسطس قيصر

وقد روي عن هذا الملك الفاضل انهُ اراد في اخر حياته ان يعتزل عن السياسة والملك ويقيم في رومية حكومة جمهورية الا انه لم يستطع اجراء ذلك الامر كيف لا وصهرهُ طاركوينس الذكر الملقب بالثاني كان واقفًا له بالمرصاد وكانت زوجة طاركوينس هذ تجهد في ان تضعف عوائد بعلها بلطفها وادبها وهو يزداد على مرّ الزمان قسوة وجورًا وكانت امرأة اخيه شرسة متكبرة تلح على زوجها العاقل ان يستخدم وسائل دنية بربرية لسلب الملك من ابيها وهو لا يرجع الا الى ميله الحسنة ولا يحب غير السلم والعدل فاخذت هذه الفاجرة تشكو سوء حظها لتزوجها رجلاً على زعمها سخيف العقل بليدًا وشرعت تتزلف من سلفها الذي احبها وتواطأ معها على سمّ بعلها وامرأته ليقترن بها وبدرا ما ينجبان ففعلا هذ الفعل الشنيع ثم عمد طاركوينس الى اهلاك سرفيوس فاستمال اليه السواد الاعظم من الآباء الذين كرهوا الملك لحنوّه على العوام وشكوه على الرومانيين بلا اتعاب

فانولي

وعلم سرفيوس بما كان صهره وابنته يدبران فاراد ان ينصح لهما لعلهما يرجعان عن غيهما و يعتلان فاحتقراه وصمم لذلك طاركوينس على عرض دعواه للمجلس العالي وشكاية حماه انه لم يبالِ بالآباء. اذ ملك بالرغم عنهم وانه قد ادعى كونه وصياً عليه بمجلس الملك سنة فاجابه سرفيوس قائلاً اني لم املك كوكيل عنك او عن اخيك ولكني اقدمت فقط على صيانة حياتكما من ايدي اكثر الذين بلا ريب احق منكما بالملك لو كان الملك كما يزعم بالوراثة ثم قال والآن ايها الآباء لماذا انتم جاحدون مع هذا الرجل في املاكي هل رأيتموني طالما ورمتم الانتقام مني او خلتموني متكبراً وحسبتم اذلالي من من ملوككم السابقين عمل ما عملته لكم وسار السيرة التي سرتها أم احب الوطنيين جميعاً كما يحب الاب الحنون اولاده وهلا فهمت منكم قضاة ينظرون في امور الشعب ولكنكم قد كرهتموني لمحبتي العوام مع هذا. ان رأيتم طاركوينس افضل مني وصممتم على تمليكه فانا لا استنكف من ذلك بل اعرض الامر للشعب الذي ولاني

وفض المجلس بعد ذلك وامر باجتماع الشعب في الفورم او الساحة العمومية ولما ازدحمت الاقدام هناك وقف بين القوم خطيباً واسترعاهم السمع ذكر حروبه والنصرات التي حازها بشجاعته وتدبيره ثم احمل كلامه عن القوانين التي وضعها والمنافع الكثيرة التي انالها الامة الى ان قال قد ظهر لي مشارع شارعي المشيخة التي يقيدنها لاسعى في سبيل سعادتكم ايها الرومانيون و يزعم ان جده قد اورثه الملك بعد موته وانه لا حق لكم في تولية من تودون توليته فترضون بذلك ولا تغضبون او تدعونه يسلب حقوقكم وانتم صابرون واذا كنتم قد مللتم ملكي وسئمتم مني وفضلتم طاركوينس عليَّ فانا اطلب اليكم ان تسردوا قضيب الملك الذي

غصبتموه

نحو الشعب عند سماعه هذه الكلمات وهمّ بقتل طاركوينس الذي اسرع الى منزله فراراً من القتل وهيجان العموم اما سرفيوس فرجع الى قصره ظافراً فرحاً

وقد كانت ايام الحصاد وكان اكثر الشعب خارج المدينة متفرقاً في الحقول فجمع اعلاليه لبس طاركوينس ثياباً ملوكية ورتب خدامه واصدقاءه على هيئة جند واعوان وذهب معهم الى الهيكل حيث كان الآباء عاملين على الالتئام وارسل يأمرهم باسم الملك طاركوينس بان يأتوا في الحال ثم تقدم بهدوء ورصانة وجلس على العرش وكان بعض الاعضاء عالماً بالخديعة فجاء مسرعاً ليرى ما يكون واما الاكثرون فظنوا سرفيوس قد مات فبادروا الى الحضور لئلا يحسب غيابهم في مثل هذه الاحوال ذنباً ولما التأمت الجلسة خطب طاركوينس يطعن في خصمه قائلاً انه عبدٌ وابن امة وانه قد ملك بالمكر والخداع لا بانتخاب الشعب والآباء كما جرت العادة وانه قد سلب املاك الشرفاء ووهبها للادنياء نصرة وقد حمّل العظماء الاثقال التي كانت مفروضة على العموم وقد قسم الرومانيين الى اقسام وفرق حسب ثروة كل واحد منهم ليجعل اموالهم معرضةً للانظار وعرضة للحسد او بالحري ليوزعها بين الشحاذين متى اراد

وما اتم طاركوينس خطابه الا ورأى سرفيوس مقبلاً فنهض اليه وامسكه بيده وجرّه الى الباب ومن هناك طرحه الى اسفل ثم ارسل بعض رجاله فاجهزوا عليه وسمعت طوليا زوجة طاركوينس ما حدث فاتت مسرورة لتهنئ بعلها وقيل ان مركبتها مرت على جثة ابيها وتلطخت بدمه وقد دعيت تلك الطريق فيكوس سيليراتس اي الطريق الشريرة

وهكذا مات هذا الملك الحكيم الذي عاش اربعة وسبعين عاماً وملك اربعة واربعين وبقيت جثته مطروحة الى ان دفنها البعض واحدها امرأته ودفنتها سراً فحزن الشعب عليه جداً وكان العبيد تحتفل به كل سنة

تعبد في هيكل ديانا تذكاراً لمحبتو ايام واحسانو اليهم

الفصل السابع

في ملك طاركوينس العاتي او طاركوينس الثاني
وهو آخر ملوك رومية
من سنة ٥٣٤ الى سنة ٥١٠ ق م
او
او من سنة ٢١٩ الى سنة ٢٤٣ ب . ر

وخلا الجو لطاركوينس ونال ما كان يبتغيهِ فاستبد بالملك وغدا غير خاشٍ لاعمالهِ رقيباً ولا راحمٍ في ظلمهِ غريباً او قريباً يجري ما يروم اجراءهُ من غير استشارة المجلس والشعب ولقد تسنى لهُ ذلك وأمّن كل عائلة بعظيمهِ فرقة عسكرية وقاية لشخصهِ وتنفيذ اوامرهِ وزاد هذا الظلم جورةً محوراً بان منع الخصوم من التشكي وعزل القضاة الذين اقامهم سرفيوس واعلن نفسهُ الحاكم الوحيد الذي ترفع اليهِ الشكوى والقادر على فصل كل قضية ودعوى وكان ينظر في سائر الاحوال الى الاغنياء كمذنبين ليلتهم اموالهم ويرديهم اذ امكنهُ ذلك. وقد قتل شيخاً جليلاً سمهُ يونيوس سليل عائلة شريفة وابا يونيوس بروتوس الشهير الذي الغى الحكومة الملكية وكان طاركوينس الاول قد زوّج يونيوس هذا باختهِ لسبب ثروتهِ العظيمة وعمد الملك الجديد بقتلهِ مع ابنهِ ليستولي على املاكهِ واموالهِ الكثيرة اما بروتوس فنجا من القتل بتبالهِ

ولم يراعِ طاركوينس في جورهِ غنياً او فقيراً بل كان الجميع لديهِ سواءً. فابطل قوانين سرفيوس وقسمة الشعب الى اقسام وفرق وجعل جباية المكوس حسب عدد الانفس لا حسب الثروة كما رتب سلفهُ

وعلم طاركوينس ملل الرومانيين منهُ وصممهم عليهِ فسعى في محالفة الامم الغريبة لتكون لهُ عوناً في الشدائد ونصيرة على قومهِ اذا مست الحاجة وزوج لذلك اوكتافيوس ماميليوس اسطل اللاتيني ابنتهُ واكتسب بوساطتهِ صداقة كثيرين من رؤساء وعظماء اللاتينيين

وسأل اللاتينيين ان يرسلوا الى رومية رسلاً ليحاورهم في امور جليلة فاتت الرسل واجتمعت في اليوم المعين بهيكل فلورا واقامت فيهِ تنتظر طاركوينس الذي لم يحضر في ذلك النهار ولم يبعث احداً يخبر المجتمعين بما يثنيهِ عن الحضور ولما عيل صبر الجماعة وملّت الانتظار قام ترنس هردونيوس الذي كان يبغض ماميليوس صهر الملك وقال لا تعجبوا اني لا اعجب من تلقيب الرومانيين طاركوينس بالعاتي كيف لا وهو قد اراد الآن ان يسخر من الامة اللاتينية فدعا رؤساءها الى الاجتماع وحينما اجتمعوا رفض مقابلتهم فلا ريب انهُ رام سبر غورنا ليرى صبرنا ويعلم كيف يطلنا متى خضعنا لهُ فلنرجع اذاً الى بلادنا غير مبالين بهِ وبعتوهِ اما ماميليوس فاعتذر عن الملك ورغب الى السفراء ان يلتئموا في الغد ففعلوا ولما انتظمت الجمعية في اليوم الثاني اتى طاركوينس واعلم الرسل ان مرادهُ تولي قيادة جيوشهم قائلاً ان ذلك حقٌ قد ورثهُ من جدهِ وانهُ قد جمعهم ليلتمس منهم التصديق على هذا الامر فاعترضهُ هردونيوس اعتراضاً قوياً ودحض دعواهُ بحجج دامغة وبراهين ناصعة واستنهض همة رفقائهِ وحثهم على ان لا يقبلوا هذا الامر المنكر الحذر ما سعيه لئلا يقعوا في فخاخ ظلمهِ ولات حين مناص

فذهل طاركوينس من جسارة هردونيوس ولم يستطع ان يجيبهُ ببنت

ثمة عبر انه سأل الرسل الاجتماع مرة حتى تم سعي في استمالة خدام هردونيوس اليه وأغرام بتخبئة اسلحة بين امتعة سيدهم ففعلوا وقابل بعد ذلك اللاتينيين وقال لهم ان هردونيوس قد كلمنا تكلمة عن بغض وضغينة لانه رام الاقتران بابنتي فابيت مصاهرته مع ذلك ما لنا ولهذا الكلام فالمهم المهم ايها اللاتينيون ان تنظروا الى وقاية انفسكم وحريتكم وتمنعوا غدر هذا الخبيث الماكر الذي نصب لكم احبولة ويريد اهلاككم جميعاً ليتسنى له التسلط المطلق على سائر المدن اللاتينية وقد خبأ اسلحة بين امتعته ليغدر بكم وينال مآربه فرعب الحاضرون جداً وبادروا في الحال الى فحص الامتعة وتفتيشها ولما وجدوا الاسلحة بين امتعته كما ذكر الملك قاموا عليه وقتلوه وجددوا مع طاركوينيوس الاتحاد ورسموه قائد جيوشهم العام وحالفه ايضاً في ذلك الحين الاربيون والاعسيون وبعض من الفولسكيين ثم حارب الفولسكيين الذين لم يحالفوه واستولى على مدينتهم وترك اسلابها غنيمة لعساكره ورجع الى صابينا وقاتل الصابينيين وقهرهم وارتد راجعاً الى رومية ودخلها باحتفال عظيم وأخذ في تتميم بناء الملعب والقنوات التي شرع بها جده·

وكره الشرفاء اعماله الوحشية وسئموا مظالمه الكثيرة فغادروا وطنهم والتجأوا الى غابي وهي مدينة في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فالتقاها سكانها بالترحاب واحلوهم عندهم محلاً عليًا وبادروا الى محاربة طاركوينيوس انتصاراً لاولئك الشرفاء. ودامت الحرب بين الفريقين سبعة اعوام واضرتهما ضرراً بليغاً لان الغارات كانت متتابعة ومانعة الفلاحين من زرع اراضيهم فقلت الحنطة في رومية وغلت اثمانها وبات جميع الرومانيين في ضنك عظيم فهاجوا وطلبوا الى الملك بالحاح اما ان يعقد صلحاً مع الاعداء او يعطيهم قوتاً حينئذٍ دبر طاركوينيوس حيلة املتها عليه شراسة اخلاقه وخباثته وأتمها دناءة ورداءة ابنه سكستس طاركوينيوس

الذي تظاهر انه مغتاظ من ابيه وخرج من المدينة مهرمًا ولجىء الى غابي
ن كرمة الغابيون وقدموهُ قيادة فرقة من جنودهم وكان سكستس يعبر بفرقته
على راضي رومية ويرجع ظافرًا عدة وتطر الغابيون الى شجاعته واخلاصه
لهم فاغتروا به وائتمنوهُ وجعلوهُ قائدًا عامًا لجيشهم فاستتب له الامر واصبح
الآمر الناهي ثم ارسل عبدًا يسأل اباهُ عما يلزم ان يفعل فقاد طاركوينس
العبد الى بستان واخذ يحطم بعصاه رؤوس سوق الخشخاش الطويلة
وصرفه من غير ان يكلمه اما سكستس فهم مغزى هذا الرمز وقتل رؤساء
الغابيين وكبراءهم وفتح ابواب المدينة للرومانيين فدخلها طاركوينس
منتصرًا ولم يود اهلها بل عامل الجميع بالرفق والاحسان وملّك عليهم ابنه
سكستس المذكور

واتت طاركوينس يومًا امرأة معها تسعة اسفار تريد بيعها بثمن فاحش
جدًا فرفض الملك اشتراءها فذهبت وحرقت ثلثة منها ثم رجعت وطلبت
الثمن الاول فطردوها باحتقار وحسبوها مختلة الشعور فمضت وحرقت
ثلثة كتب ايضًا وجاءت تطلب بالباقي ما طلبته اولاً ثمن التسعة فعجب
طاركوينس من فعلها ورام معرفة محتوى هذه الاسفار فدفعها الى العائفين
ففحصوها وعرفوا انها كتب ساحرة كوميّ فنقد الملك للمرأة الثمن واخذ
الكتب وحفظها باعتناء . ولما بني هيكل جوبتير كابيتوليس وضعت فيه
محل افرد لها لانها اعتبرت مقدسة ومشتملة على معرفة طالع الرومانيين
واسرار المستقبل

واتم طاركوينس بناء هيكل جوبتير على رابية طاربيس التي دعيت
حينئذٍ كابيتوليس لانه بينما الفعلة كانت تحفر في الارض وجدت راس
انسان (في اللاتينية كابوت) غائصًا بالدم كانه مذبوح حديثًا فاعلن
المصريون ان هذا الامر رمز يشير الى كون رومية ستصبح راس او عاصمة
العالم .

وفشا الطاعون في رومية وظهرت علامات مخيفة رعبت طاركوينس
وحملته على ارسال ابنيه مع يونيوس بروتوس الى بلاد اليونان ليستشيروا
وحي دلفي عن اسباب الوباء والوسائل اللازمة لازالته فقدم ابنا الملك
هدايا فاخرة وقرابين ثمينة للاله ابولون وقدم بروتوس عصا ضخمة مجوفة
ملأها من داخل بالذهب الابريز كناية عن قصده وسجاياه الحسنة
المستترة تحت برقع البلاهة ولم يعلم رفيقاه ما حوت العصا فاستغربا في الضحك
سخراً منه ثم اوحى اليهم الاله ما اوحى واخبرهم انه سيطرأ على الحكومة تغيير
وسيكون في رومية ملك جديد وان الرجل الذي سيتسلط على الرومانيين
هو واحدٌ من الحاضرين الذي يسبق صاحبيه الى تقبيل امه فادرك
بروتوس مغزى الوحي وسقط على الارض وقبلها لانها ام كل حي ولما رجعوا
الى رومية رأوا الحرب مستعرة بين الرومانيين والرتليين وكان الملك
طاركوينس قد زحف بجيشه لمحاصرة أرديا ولم يكن القتال حينئذٍ عنيفاً بل
كانت القواد تقضي اكثر الاوقات باللهو والمسرات وحدث يوماً ان
سكستس طاركوينس ادب مادبة دعا اليها اخويه وقريبه كولاتينوس
واخذ الداعي والمدعوون يتكلمون عن النساء وفضلهن وكان كلٌ يعظم
شان امرأته ويفضلها على سواها حتى افضى بهم الامر الى اللجاج فعمدوا الى
امتطاء صهوات الخيل والذهاب تواً الى منازلهم ليبصروا ما تعمل نساؤهم
فاتوا اولاً رومية ووجدوا حلائل الطاركوينيين مشتغلات بالمرح والافراح
ومنهمكات في احياء ليلتهن مع اترابهن وارتشاف كؤوس الصبوة والانشراح
ثم مضوا الى كولاسيا فرأوا لوكريسيا مرأة كولاتينس قائمة مع خادماتها
بغزل الصوف والاشغال وكانت لوكريسيا هذه بديعة الحسن والجمال فافتتن
سكستس بها وتيمه حبها

وبعد بضعة ايام رجع سكستس سراً الى كولاسيا ونزل في بيت نسيبه
كولاتينس فالتقته لوكريسيا بالترحاب واكرمته غاية الاكرام وافردت له

غرفة لينام فيها ولما ادلهم الليل وقد رقد كل من في المنزل انسلّ سكستس من غرفتهِ ودخل خدر لوكريسيا مجرداً حسامهُ ودنا من سريرها ووضع يدهُ اليسرى على صدرها وايقظها وقال لها لوكريسيا انا سكستس طاركوينس اياكِ والصراخ والا قتلتك بحد هذا القرضاب ثم طفق يبث لها شكواه ويظهر غرامهُ وجواه متلطفاً تارة ومتهدداً اخرى وهي تدفعهُ عنها وتزداد منهُ نفوراً وبعد ذلك قال لها انهُ عازم على قتلها وقتل احد عبيدها واتهامها بالزنى معهُ واذاعة فجورها بين الملا فخافت لوكريسيا من هذه التهم وان تكن باطلة واشفقت على صيتها وطهارتها وانالت سكستس كرهاً ما كان يتمناه

وفي الغد نهض سكستس باكراً ورجع الى المعسكر اما لوكريسيا فلبست لباس الحداد ووضعت تحت ثوبها مدية وكتبت الى زوجها وابيها لوكريسيوس ان يحضرا بالعجل فاتيا حالاً مع بروتوس والاب فالريوس ولما استقرّ بهم القرار حدثتهم بحديثها وحثتهم على الانتقام من ذلك الوحش الضاري ثم استلت مديتها وطعنت بها صدرها وسقطت على الارض لا حراك لها فعلا صراخ ونواح زوجها وابيها وبكاها كل من حضر وتقدم بروتوس واخذ المدية وهي تقطر دماً ورفعها قائلاً اقسم بالالهة اني آخذ ثار لوكريسيا وابي ابيد طاركوينس ونسلهُ العاشق الشرير ودفع المدية الى الباقين الذين اقسموا كذلك ثم اخبر بروتوس الجماعة بسبب تباله وحرّضهم الا يضيعوا الوقت بالبكاء على لوكريسيا وان يحصروا في الامر كابطال روما بين ساعين فقط للانتقام واشار عليهم ان يوصدوا ابواب المدينة ويضعوا عليها حراساً امناء كيلا يصل خبر مكيدتهم الى الملك فاجروا ما ارتأوهُ بسرعة عظيمة لان لوكريسيوس كان حاكم رومية من قبل طاركوينس وقادراً ان يعمل فيها ما يشاء بلا مانع او معارض

وجمع بروتوس الشعب واراه جثة لوكريسيا واخبرهُ بما حدث وبسبب تباله . ثم خطب خطاباً طويلاً اظهر فيهِ رداءة طاركوينس

وطلبهُ وختم كلامهُ بوجوب خلعهِ وطردهِ من رومية لاراحة الناس منهُ ومن اولادهِ الفاجر بن العتاة فهاج القوم جدًّا عند سماعهم ذلك ورضوا بما ارتآه روتوس وصدقوا على امر المجلس بهذا الشان

وابطل الرومانيون الحكومة الملكية ونادوا بالحكومة الجمهورية وبلغ الخبر الجيش الذي كان خارج المدينة يحارب الرتليين فسر بهِ وانضم الى المجلس ورجع الى رومية بعد ما عقد الصلح مع سكان ارديا لخمسة عشر عاماً اما طاركوينس فذهب مع بنيهِ الى بلاد أتروريا وطن عائلة امهِ آملاً وجود اصدقاء ونصراء يعينونهُ على ابادة خصومهِ واسترجاع ما فقدهُ

الباب الثاني

من ابتداء الحكومة الجمهورية سنة ٥٠٩ الى حين
تجديد بناء رومية سنة ٣٨٨ ق.م بعد ما حرقها الغاليون
او
من سنة ٢٤٤ الى سنة ٣٦٥ ب ر

الفصل الاول

في القنصلية الاولى

وانتخب الرومانيون لرئاسة الجمهورية روتوس وكولاتينس زوج

لوكربسيا ودعوهما فصلين ومنحوهما حق التسلط على الشعب وادارة الاعمال كلها كما كانت تفعل الملوك الا ان انتخابهما كان لسنة واحدة

وقدم القنصلان ذبائح وقرابين للآلهة كفارة عن آثامها وحلفا امام الشعب يميناً الا يدعا طاركوينس ولا اولاده ولا احداً من الناس يملك على رومية فيما بعد وهكذا حلف الشعب ايضاً بأسره . ثم اختار القوم رئيساً للكهنة وانصرف الجميع مسرورين

وكان الطاركوينيون لا يألون جهداً في تهييج اعداء رومية عليها واغرائهم بقتالها وكانوا يطوفون المدن ولاجل هذه الغاية واقام طاركوينس الشيخ في طاركوينيا واستمال اهلها بخداعه وحملهم بان يرسلوا رسلاً الى مجلس رومية يعرضون له وجوب مراجعة الملك عن قبل طرده و يهددون الرومانيين ان أبوا اجابة ما يشتهون بان الامم المجاورة ستنهض بدءاً واحدة لمحاربتهم وتكرههم على الاذعان وعرف الآباء حيث وراء ة طاركوينس وما وراء طلبه من الاخطار العظيمة فردوا الرسل خائبين لانهم لم يخشوا قتالاً او وعيداً بل جهدوا في تقوية سلطتهم وتوطيد الجمهورية

وكان اكثر الشبان الشرفاء في عهد الملك السابق قد اعتادوا اللهو والمسرات وارتكاب الفواحش لا يحسبون للقوانين حساباً ولا يجاهرون لرفعة شأنهم عدواً وكانوا جميعهم مولعين بزخرفة الملابس و بهجة الاجتماعات والاحتفالات الملوكية فنظروا الى سلطة الحكومة الجديدة وعدلها وقساوة شرائعها نظرة البائس والاحتقار وباتوا يأسفون على ايامهم وافراحهم المنصرمة و يشتهون عود طاركوينس وجوره لتعود اليهم اوقات الصفو والهناء ورأى اولاد الملك تلك الامور فرضوا امكان استخدام هؤلاء الشبان لنيل مآربهم فسعوا ولاسيما في استرجاع امتعتهم واملاكهم وجعلوا اهل طاركوينيا يرسلون لهذه الغاية رسلاً الى رومية واعطوهم اوامر سرية لاثارة الفتن وقتل القنصلين ان امكنهم فيها

ونال الرسل ما طلبوهُ على رغم بروتوس لان كولاتيس رضي مع الشعب باالهم سؤلهم وبينما القوم كانوا منهمكين في ارجاع امتعة الملك وبيع املاكو قدر الرسل المذكورون على اثارة الفتنة واغرآء بعض فتيان من جملتهم ابنا بروتوس بقتل القنصلين وضم هولآء الفتيان على بدل النفوس توصلاً الى نصبهم وحلفوا يميناً بربة وهي كما زعموا عظيمة وذلك انهم اتوا برجل وذبحوهُ وشربوا من دمه وأقسموا على الثبات والتعاون وكانوا يجتمعون في محل للذكر ثم كتبوا كتباً الى الملك المنفي وأعطوها للرسل غير ان احد عبيدهم عرف مكيدتهم واطلع عليها فاليريوس الذي سعى مع اخيه واصدقائه لتخليق النصبة فتسنى له الحصول على اوراق وكتب هولاء الماكرين والقبض عليهم جميعاً

وفي اليوم التالي أُحضر الاسرآء الى محل الاجتماع وجلس القنصلان امام الشعب لينظرا في دعواهم فنادى بروتوس اولاً ابنيهِ وتلا الاوراق التي كتباها الى طاركوينوس وامرهما بصوت جهير ان يجيبا عن ذلك ويتبرأا من هذه التهم البينة ان امكنهما الاحتجاج فاصفرّ الفتيان وتلعثما وبكيا حتى كادا يشرقان بالدموع ورأت الآباء اعضاء المجلس بكآءهما وعبراتهما المتساقطة من عيونهما كالديمة المدرار فاشفقت عليهما ووددت خلاصهما ولو بالنفي من المدينة وترك الديار وبكى كولاتيس ايضاً اما بروتوس فنهض ودعا الشرط وقال لهم خذوهما وعملوا باجلهما فقبض عليهما الشرط وبعد ان جلدوهما ضربوا عنقيهما وكان بروتوس ينظر الى كل ذلك بقلب ثابت ووجه عبوس ولما شرب ابناهُ كاس الحمام وجرّا صريعين مضى الى منزله تاركاً لرفيقه النظر في دعوى الباقين

وكان كولاتيس يرغب في خلاص المذنبين الباقين لانهم اقرباؤهُ فسمح لهم بيوم يستعدون فيه للمدافعة عن انفسهم وامر ان يسلم اليهم العبد الذي وشى بهم فعارضهُ فاليريوس والشعب ولم يرضَ احدٌ سواه بتسليمه

واستفتى الجميع بروتوس في هذا الامر فاجاب اني قد فعلت ما فعلته بموجب حقوقي الابوية وانه على الشعب الان ان يحكم على هؤلاء المذنبين فحينئذ اصدر الجميع امرًا بقتلهم كلهم ما خلا الرسل الذين طردوا من المدينة وحرر العبد الذي كشف المكيدة واعطي [illegible] على ذلك خمسة وعشرين الف فلس نحاسي ، نحو ثمانين ليرة انكليزية ونصف ، ثم اتصل المجلس امر ردّ املاك طاركوينيس عليه وهدم قصرهُ ووزع عقاراته على الوطنيين [illegible]

وقويت شوكة بروتوس بعد [illegible] من القساوة في حكمه على بنيه وتوطدت حكومته لما ابدى من همة والنشاط [illegible] جميع عيونه الى كولاتينس فاحتقرهُ الرومانيون واتهموه لسلوكه مسلك الضعف والجبن وظنوهُ خائنًا لكونه قريب الطاركوينيين وكان بروتوس يبغض رفيقه لما يوجه الى الملك السابق او نسابتها في مشرب وانتهاز فاغتنم هذه الفرصة وكلم الشعب قائلاً يا بني الوطن لو عرفتم طبع كل من القنصلين عند انتخابها واقدمتم على اختيار رجلين متوافقين في الطبع [illegible] لا ابدل لكانت حكومتكم جديدة بلا عيب غير انه يوجد بيني وبين رفيقي فرق عظيم كالفرق بين مبغض الظلم ومحب الصالحين لان خروج كولاتينس من فرقة الاشرار يجعله يميل كل من هو آلٌ لرجعتهم [illegible] متروي [illegible] [illegible] حرسكم حتى كان كولاتينس جاهدًا في رغبته [illegible] خوف منه خلاف ذلك وهو الذي قد سعى في ردّ املاك الخائنين واحتج في خلاص المذنبين فيا كولاتينس كف عنا عنك وان الذي [illegible] يبعد عن [illegible] دم ولدينا نعم انك رجل حاضر معنا ولكن قلبك غائب مع [illegible] [illegible] تود [illegible] الوطن وترغب في ارداء [illegible] [illegible] اعلمك بانك معزول عن منصبك وانتم ايها الرومانيون ستنتخبون فرقًا لمصادقه على ما فيه ولكم خيار في تعب كولاتينس وبروتوس لكنكم لا تقدرون على انتخابها معًا

واراد كولاتيس ان يجيب رفيقه ويبرأ ذمته فلم يستطع لان هيجان الشعب كان عظيماً فرضخ لما مرّ به وعدل عن منصبه ومضى الى مدينة لافينوم وسكن فيها

وانتخب الجمهور قنصلاً ورفيقاً لبروتوس بوبليوس فالريوس وكان بوبليوس هذا مشهوراً بمروته وحذقه وفصاحته يحب الزهد والقناعة ويتمسك في كل الامور بسنن الحكم النصيب وبعد انفصال عن الدين خارجاً طاركوينيس بشرط ان يرجعوا الى مدينة عدى عشرين يوماً فارتد الى رومية عددٌ عديد من كبرائها

وبلغ الملك المنفي من كان مقعده بالحدود حتى جهزها انيون واهل طاركوينيي واغار على اراضي رومية فسدد القنصلان بالجيوش الرومانية وكان بروتوس يقود فرقة الفرسان وفالريوس فرقة المشاة واقصر احد ولاد طاركوينيس القنصل بروتوس يتقدم فرقته محاطاً بالجند والاعوان فصرخ ها هوذا عدونا الالد الذي ... من وطننا واستلب السلطنة منا ثم عس جواده وهجم على بروتوس فبدر اليه هذا بقلب قصي من الحجر وطعن كل منهما قرنه طعنة ذهبت به وخرّا مجندلين يخضبان بدماهما بعد ذلك حملت العساكر على العسكر واشتد القتال بين الفريقين ودام الى المساء ولم يعلم ايهما الظافر حتى شاع خبر انه سمع صوت من غابة هناك يعلن النصر للرومانيين فرعب الاعداء من تلك الاشاعة وتركوا معسكرهم وولوا منهزمين

وبكى الجميع بروتوس وحزنوا عليه لانه هو البطل الذي سفك دم ابنيه وبذل مهجته فدى الوطن وحريته ونقلت جثته الى رومية ودُفنت في الفورم وأبّنه فالريوس وهو اول روماني أُبّن ميتاً وحدّت النساء عاماً كاملاً حزناً على من انتصر للجمهور حتى عرضهن من القوم الطغام

ووضع فالريوس قوانين عادلة وخفف سلطة القناصل ومع الجمهور

حقوقاً جديدة فدعاهُ الرومانيون بوبيكولا اي المحبوب من الشعب وانتخبوا له رفيقاً بدلاً من بروتوس لوكريتيوس ابا لوكريتيا الذي مات بعد انتخابهِ بايام قليلة فانتقل لهذا المنصب العالي أُوراسيوس بلفيلوس

الفصل الثاني

وفي سنة ٥٠٦ ق. م اراد بورسينا ملك مدينة كلوسيوم في بلاد أتروريا الانتصار لطاركويس فزحف الى رومية بجيش جرّار وحاصر قلعة جانكولم واستولى عليها واخرج منها الرومانيين الذين رجعوا الى الوراء ليدافعوا عن الجسر فتأثرهم بورسينا ونشبت الحرب بين الفريقين وقاتل الرومانيون في ذلك اليوم قتال الابطال وصبروا على الاهوال الى ان جرح قائدان من قوادهم العظام فذعروا وولوا منهزمين وكاد الاتروريون يدخلون المدينة لولا شجاعة أُورانيوس كوكلس الذي ردّ وحدهُ هجمات الاعدآء. ومكّن الفصليين بعمله هذا من هدم الجسر فوقع بالنهر وهو مدجج بالسلاح وكانت النبال تسقط عليهِ كالمطر الاّ انهُ نجا منها سابحاً وعمل لهُ الشعب تمثالاً نحاسياً وُضع في هيكل فولكانس تذكاراً لبسالتهِ وجهادهِ بحماية الجمهورية ومنحهُ اراضي كثيرة ودراهم وافرة جزآء لهُ على اعمالهِ هذه التي خلدها التاريخ

واشتدّ الجوع في المدينة ولما علم بورسينا بذلك أرسل يخبر الرومانيين انهُ يعطيهم قوتاً كافياً ان كانوا يقبلون بتمليك طاركوينس عليهم فجاءوهُ ان الجوع اقل ضرراً من العبودية والظلم

وكان في رومية فتى شريف اسمه ميسيوس كوردوس فهذا لما رأى الحالة التعيسة التي آل امرهم اليها تزيا بزي الاترورييين ووضع مدية تحت ثيابه وخرج من المدينة وعالمًا كان يتكلم جيدًا اللغة الاتروريه لم يجد مانعًا من دخوله الى معسكر الاعداء فانسل بين العساكر والقواد وتخلل الخيام الى ان وصل الى سرادق الملك فولجه وكان بورسينا في ذلك النهار جالسًا مع وزيره يعرض الجيش فظن ميسيوس الوزير انه الملك فوثب عليه وطعنه طعنة كانت القاضية ثم هم بالهرب فامسكه الحاضرون اما بورسينا فتعجب من شجاعة هذا البطل الذي كانت تلوح عليه سمات الحنق والقهر لانه لم يقتل من كان متعمدًا قتله وكانه اراد ان يقاص نفسه على خطائه فوضع يده في النار التي اعدت لاهلاكه وكان ينظر اليها وهي تحترق من غير اظهار ألم او ضجر حينئذٍ تحول عجب الملك الى اندهال عظيم وخاف خوفًا شديدًا لما اعلمه ميسيوس ان ثلث مئة فتى روماني قد تعاهدوا باقسام عظيمة ان يقتلوه فعفا عنه واطلقه بعد ما اعطاه المدية التي كان عازمًا على ارداءه بها ثم عقد مجلسًا للائتمار بالوسائل التي يلزم اتخاذها لصيانة نفسه من الاخطار المحيطة به وكان انه أروس يحب الرومانيين لبأسهم وجسارتهم فقال له ان احسن الوسائل الوافية هي ابرام صلح مع هذه الامة فانتصح الملك بهذا الكلام وكف عن الحرب والعدوان

وارسل الرومانيون الى بورسينا رهائن عشر بنات عذارى وعشرة صبيان من احسن العائلات وحدث انه بينما كانت اولئك البنات يغتسلن في النهر نظرت احداهن المسماة كليليا الى رومية فشاقها منظرها وتذكرت وطنها فاخذت تسبح والبنات يتبعنها حتى وصلن جميعًا الى الضفة المقابلة ودخلن المدينة سالمات وشاع هذا الخبر حالًا وبلغ بورسينا فزاد عجبه من جسارة الرومانيين واعتبارهم لهم ولما رُدّت البنات عليه أطلق كليليا ورفيقاتها قائلًا ان صدق الامة الرومانية هو خير كفيل للمحافظة على المعاهدة ثم

رحل الى بلاده تاركًا خيام عسكره مملوءة بالمؤونة والزاد

وقد روى بعض المؤرخين ان بورسينا قد استولى على رومية واذلها حتى انه منع اهلها من استعمال الحديد بغير اشغال الزراعة اما الرواية الاولى فحكاها تيتوس الذي دأبه مدح الرومانيين

وفي هذه الاعصر الخشنة لم يتقن الرومانيون او بالحري لم يعرفوا سوى فنّي الزراعة والحرب وكانوا يتقوّتون بغلال حقولهم او بما كانوا ينهبونه في غزواتهم الامم المجاورة وغاراتهم عليها وكل الاعمال اليدوية ما خلا هذين الفنين كانت مجهولة في رومية او مخصوصة بالعبيد والغرباء لانهم كانوا جميعًا فلاحين وكان جميع الفلاحين عسكرًا ولنا دليل على ذلك ما نراه في هذا التاريخ من ان بعض مشاهير قوادهم الذين فتحوا المدائن وحازوا النصرات العظيمة كانوا يأتون بهم من حقولهم وهم يلتفعون بجرثهم الى ساحات القتال ومواقف الضرب والطعان وكان القضاة يعوّدون اولادهم الاعمال المتعبة والمعيشة الخشنة لتقوى ابدانهم ويكونوا اقدر على احتمال اتعاب الحروب

ومن عوائد الرومانيين في ايام ملوكهم انهم كانوا يبيعون نصف الاراضي التي يغتنمونها قيامًا بالنفقات اللازمة للحرب ويعطون النصف الباقي للفقراء او باجرة هي باجرة طفيفة غير ان الاغنياء والشرفاء القابضين في ايام الجمهورية على عنان الاحكام هملوا هذه العوائد الحسنة وشرعوا يسنون لانفسهم ما مكنهم سنّه من تلك الاراضي فزادت ثروتهم وكثر دخلهم وقست اموال الحربية وحرم الجندي الذي خاطر بحياته لتوسيع نطاق بلاده قطعة ارض صغيرة يأخذها اجرة له وجزاء على بسالته

ولما كان الجندي غير مأجور على اتعابه وخدماته كان يحتاج احيانًا الى استقراض مال من الشرفاء ورهن قطعة ارضه الصغيرة حتى اذا ما تكاثر الدين لسبب الربا الفاحش بادر الدائن الى القبض عليه واستعباده

او بعده

وفي ذلك الحين أشفق المديونون على انفسهم من جور دائنيهم فعرضوا امرهم للمجلس وشكوا عسرهم متطلبين بقولهم انهم بعد ما ذاقوا غمرات الموت في محاربة الطاركوينيين والذب عن حرية عموم قد اصبحوا عبيدًا لمواطنيهم فلم يجب المجلس نداهم ولم يصغ الى صوت شكواهم وكان اللاتينيون قد نهضوا سنة ٤٩٢ ق م لقتال الرومانيين انتصارًا لطاركوينس فابى حينئذ العوام ولا سيما المديونون لتجند محتجين بهم قد سئموا الحياة بخدمة موالٍ صعبين وقساة وانهم غير مجبرين على الدفاع عن وطن لا يسكنون من رضوه قيد باع بل قد صمموا ادام يسامحوا باعيهم من الديون ان يغادروا المدينة فرارًا من ظلم دائنيهم

ورأى الحكماء والشرفاء الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فادركوا ضرورة تسليم زمام السياسة لرجل واحد يكون مطلق السلطة ليقمع نار المفسدين ويمنع الشقاق ان يسري بين الوطنيين ويكون وسيلة الى انضمامهم واجتماع كلمتهم في ازمنة الحرب والشدة ثم انتخبوا لهذا الامر طيطس لارتيوس احد القنصلين ولقبوه بالدكتاتور

وكان لهذا الحاكم سلطة مطلقة على حياة واموال جميع الرومانيين وكان اذا مشى يتقدمه اربعة وعشرون شرطيًا حاملين الفؤوس ما عدا ذلك وكان في الاوقات العسرة جدًا ومدة ستة اشهر فقط وعدل لارتيوس في حكمه واظهر شدة عظيمة في اجرآء كل اعماله حتى ذهب العصاة واخمد نار الفتنة واحصى الشعب حسب قوانين الملك سرفيوس طليوس وجهز جنودًا قسمها الى ثلاث فرق وخرج لقتال اللاتينيين فاستظهر عليهم في الوقعات القليلة التي حدثت ثم هادنهم ورجع بالعسكر راجعًا الى رومية واستعفى من منصبه قبل انقضاء الاجل المسمى

وأغرى طاركوينس اللاتينيين سنة ٤٩٥ ق.م بقتال الرومانيين

تصافهصوا بعدد عديد من الاصل والفرسان واغاروا على ارض الجمهورية فزحف الدكتاتور بوستيموس لمحاربتهم وعسكر على رابية بالقرب من بحيرة رجلس واقام القصل فرجينوس على رابية حرى محاذية واتى اللاتينيون وعسكروا بين الرابيتين وأمر بوستيموس قائد الفرسان ان يذهب في الليل سرًّا ويتحصن على رابية ثالثة واقعة في الجهة التي يرد منها المدد الى الاعدآء. ثم هجم الرومانيون على جيوش اللاتينيين فاندفع هؤلآء اليهم بعزم ثابت وأمل وطيد بالظفر لكونهم أكثر عددًا منهم اما الرومانيون فلم يبالوا بالاهوال ولم ترعهم كثرة الاعدآء. بل انقضوا عليهم انقضاض الصواعق واقتحموا صفوفهم كالضراغم فهوت مهج الرجال وجندلوا الفرسان والابطال وانجلت تلك المعمعة عن قتل ابني طاركوينس واردآء كثير من قواد الفريقين وأنصر اللاتينيون من سيوف خصومهم الموت الزؤام فاركنوا الى الهزيمة ناجين بانفسهم ودعيت هذه الحرب حرب رجلس نسبة الى البحيرة المذكورة آنفًا وهي شهيرة بالتاريخ لانها أضعفت اللاتينيين وفوضت صرح مجدهم فذلوا وخضعوا لرومية وطردوا طاركوينس من بلادهم فذهب هذا الملك وسكن بكومي ومات فيها

ودخل الدكتاتور الى المدينة بهيئة عظيمة محملًا بنصرته وأجرى العاب عمومية وبنى هيكلًا لكستور وبولكس نظير تذكار لانهما نظرا على ما قيل راكبين فرسين ابيضين وخائضين عجاج الحرب لاعانة الرومانيين وقد روى احد المؤرخين ان بوستيموس وارفقة نظروا في المعمعة فارسين عظيمين كانهما من الجبابرة يتقدمان فرقة الفرسان ويبثان الرعب في قلوب الاعدآء وفي مسآء بعدما انهزم اللاتينيون ظهر ذانك الفارسان في رومية وبشرا الشعب بانتصار الرومانيين وتواريا عن الانظار فتاكد القوم انهما كستور وبوليكس اللذان حضرا لنصرتهم

الفصل الثالث

وظن الشرفاء انهم أمنوا بموت طاركوينس حدثان الدهر واصبحوا في غنى عن الشعب لذلك عادوا الى جورهم القديم في معاملة المديونين ناسين شرائع الانسانية والعدل الآمرة بالمعروف والاحسان فنال العوام من الضيم والعذاب ووقعوا في ضيق عصيب وبينما كانوا ملتئمين في محل الاجتماع اقبل عليهم رجلٌ مكبّلٌ بالسلاسل ورمى نفسه بينهم مستجيرًا وكان هذا الرجل طويل القامة مهزولاً وثيابه كاسفة ولحيته نابتة وشعرهُ شعث وطويلاً فعرفه الحاضرون لانهم رأوهُ مرارًا عديدة يخوض عجاج الحرب كالاسد الرئبال غير مبالٍ بالصوارم والموت الزؤام الا انهم جهلوا أمرهُ وعجبوا من تحوّل حالهِ فقال لهم ذلك الشيخ يا قوم اني قد خدمت حروبي وكنت محنكًا في سبيل الدفاع عن حرية الوطن وقد وقعت الآن في يد دائني الذي ابى ان تأخذهُ شفقة عليَّ بل قد اودعني وابنيَّ السجن واسلمني الى عبده ليوسعني ضربًا ثم خلع ثيابه ورأى الجمهور ظهرهُ داميًا من الجلد وصدرهُ مخدّشًا بطعنات رماح الاعداء وضربات سيوفهم فلم يتمالك احدٌ عن البكاء بل علا ضجيج وزمجرة الغضب وتراكض الشعب من كل جهة وهو يشتم الشرفاء وبعضهم كأن روح الثورة قد دبت في جميع الصدور الا ان القنصل سرفيليوس قدر على ازالة هذه الفتنة وصرف المجتمعين واعدًا اياهم بمنع الدائنين عن اذية مديونيهم ومطالبتهم الى ان يصدر مجلس امرًا بهذا الشأن

وبعد اعتداء الرومانيين كالفولسيين والصابيين انقسامهم وثورة

العوام فنهضوا مراراً لمحاربتهم غير انهم كانوا يرتدون عنهم بالخيبة والفشل لان الشرفاء كانوا عند اقتراب عدو ذي خطر منهم يتملقون الشعب ويعدونه وعوداً كاذبة ليحملوه على الحرب والدفاع حتى اذا ما انجلى الخطب وانقشعت سحب الاخطار وزال خوفهم من ساعة الضيق نكثوا عهودهم ونقضوا وعدهم وعادوا الى ما كانوا عليه من اهانة مديونيهم وظلمهم

اما الآن (سنة ٤٩٢ ق م) وقد تفاقم الخطب وعظم المصاب وعرف العوام دهاء الشرفاء ومكرهم فاجتمعوا خارج المدينة وجاهروا بالعصيان ثم ذهبوا الى رابية دعوها فيما بعد بالجبل المقدس وهي على بعد ثلثة اميال من رومية واقاموا عليها مدة سنتين وهم فرحون من الضيق وخلاص من العذاب

ورأى المجلس ما كان من خطر جديد وخشي وقوع الحروب الاهلية وحدوث ما ينجم عن هذه الحروب من الضرار فانتدب في الحال عشرة رسل ليرضوا القوم المتظلمين ويرجعوهم الى المدينة ولما وصل الرسل نهض احدهم وهو مينينيوس واخبر الحاضرين بان المجلس قد قرر الصفح عن ذنوبهم واعفاء المديونين المفلسين من ديونهم واطلاق سبيل من كان منهم مسجوناً وانه سيجاريهم في وضع قانون جديد بشان القرض والاستقراض وحرضهم جميعاً على الخضوع للمجلس والسير بموجب احكامه مظهراً ضرورة ذلك فشبه المجلس بالمعدة التي تغتذي اجسد من القوت الذي تأخذه في نفسها مقدمة لكل عضو منه الغذاء الذي يلائمه وستحيا بقية الجسد وقوته متوقفان على حيوة المعدة ثم قال لهم الى م تنفرون الآن ايها الرومانيون ان آباءهم قد طردوكم من وطنكم وكيف يجوز فيكم هذا الفكر وهم يعهدون ذاته في معيتكم ويسالونكم الآن الرجوع الى مدينتكم ليلاقوكم فيها بالترحاب والاكرام

فسرّ الجمهور الحاضر من كلامه الا انه لم يرجع الى المدينة قبل ان

يسمح له بالاقامة وكيلين عن الشعب ينتخبان منه في كل سنة ويكون لهما الحق في حماية المظلوم ونقض احكام المجلس متى رأيا ها غير عادلة فانقسمت الامة الرومانية الى حزبين متباينين احدهما حزب العوام المنقاد لآراء وسياسة وكيليه والآخر حزب الشرفاء التابع للمجلس والقنصلين

وجمع القنصل كومينيوس عسكر سنة ٤٩٢ وزحف لمحاربة الفولسكيين فكسرهم في واقعتين واستولى على مدينتين من مدنهم ثم تقدم لمحاصرة كوريولي عاصمة بلادهم فالتقاه الكوريوليون وصدوا جنوده عن سور الاسوار وكادوا يفتكون به فتكاً ذريعاً لولا الفتى الشريف كايوس مارسيوس الذي بادر اليهم كالنسر واذاقهم بضرباته المتتابعة وهجمات اعوانه حرباً لا تبقي ولا تذر فارتدوا الى الوراء خاسرين وملك الرومانيون مدينتهم وضربوا عليهم الذلة وفي الغد جلس القنصل على سريره ودعا مرسيوس امام الجند واثنى على اعماله ثناء جميلاً ثم كافأه باكليل الانتصار واعطاه عشر الاسلاب وجواداً مطهماً واذن له ان يختار من الاسراء عشرة عبيد فأبى هذا البطل الصنديد قبول ما قدم له ولم يأخذ سوى الحصان وعبد واحد اعتقه في الحال لانه كان صديقه ولقب مارسيوس في ذلك الحين بكوريولانس نسبة الى مدينة كوريولي التي استولى عليها بشجاعته وتدبيره وكان هذا الفتى جافي الخلق عنيداً لا يثنيه عما يروم خطر او وعيد وكان اذا خطر في باله امر يسعى لادراكه بهمة ونشاط مستسهلاً الصعب وباذلاً اذا اقتضت الحال النفس والنفيس فابغضه العوام باخلاقه هذه وحملهم على كرهه لانه في المجاعة التي حدثت سنة ٤٩١ ق.م حارب الشرفاء مانعاً الفقراء ان يأخذوا مجاناً الحنطة المجلوبة من الخارج لاعالتهم وراغباً في احباط اعمال وكيلي الشعب وابطال سلطتهم لتبقى للشرفاء السيادة المطلقة فهاج العوام هيجاناً عظيماً وطردوه من المدينة فخرج منها سنة ٤٩٠ ق.م حاقداً غضوباً ومصمماً على الانتقام وبعد ان مكث مدة في أراضيه ذهب الى

انتيوم سنة ٤٨٨ ق . م وهي مدينة كبيرة في بلاد الفولسيين ودخل منزل انيوس طلس قائد جيوشهم وجلس بالقرب من مسح الآلهة دون بعرفة احد لانه كان متقنعاً ولما اتى طلس صاحب المنزل وحاطه مستفهماً عن امره راح اللثام واجابه بهذه الكلمات

انا كايوس مارسيوس الملقب بكوريولانس قد طردت من رومية لان الشعب كرهني طلماً والشرفاء لم يستطيعوا حمايتي لسبب حسدهم العظيم فاليك قد اتيت الان طالباً نصرتك للانتقام من اعدائي واعدائكم واسالك اذ كانت الحكومة لا ترضى عني ولا تقبلني خادماً لها ان تسلب بيدك حيوة عدوك القديم القادر على اضرار بلادك اذا لم تاخذ ناصره او تعهد الى ارداه فتعجب طلس من ساتوه وقال له لا تخف يا مرسيوس فقد امنت البلاد بقدومك بالامان وانا لنقدرك حق قدرك ونعد وجودك بيننا نعمة كبرى وسننتفع بخدماتك لان قائداً مثلك شهيراً نجوبه كل اكرام ثم خلا معه للبحث عن الوسائل اللازمة لتجديد الحرب مع الرومانيين

وكان الرومانيون يستعدون وقتئذ لاجراء العاب عمومية عقيب اهداء هيكل لجوبيتر فهرع الى رومية لتفرج على تلك الالعاب جموع كثيرة من الامم المجاورة لا سيما من الفولسيين الذين انتشروا في جميع احياء المدينة وضواحيها وكان عدد المتفرجين وافراً جداً حتى ان القنصلين خشيا من حدوث حادث يعبث براحة الاهلين فاغتنم طلس وكوريولانس هذه الفرصة واذاعا ان الفولسيين عازمون على حرق المدينة فصدق الرومانيون هذا الخبر واصدر مجلس امراً يحظر عليهم البقاء في رومية و يامرهم بالرحيل حالاً فانصرفوا جميعاً الى مدنهم صاغرين ولما علم طلس بذلك قال لهم أتصبرون يا قوم على هذه الاهانة ولا تشكون وتنصرون الى صلف الرومانيين وانعام الحكومة ولا تغضبون فقد نقضوا العهود ونكثوا الوعود وجاهروا بالعدوان غير مبالين ولعمري انهم سيشنون الغارة علينا و يغزون

ارضنا ويتركون ديارنا طلالاً بالية ينعق فيها البوم والرخم فاتذروا اذاً سلاحكم بها الانصال واتكلوا على كور يولانس الفارس المغوار الذي شهدتم معاركه واحسنتم به لانه قد لجيء الينا الآن لينتصر لامته التي لم تقدره حق قدره ثم نزل عن مقدمة ثم دعا كور يولانس فتقدم هذا امام الحضور وحدثهم بحديثه واعرب لهم عن رغبته في احد الثار وحثهم على القتال بعبارات حماسية وحجج قوية الى ان ثارت الحمية بالجميع وسرت فيهم روح الانتقام وعولوا على حرب الا انهم ارسلوا بادىء بدء رسلاً الى رومية يسالون مجلسها رد الاراضي التي اخذها الرومانيون في غاراتهم السابقة على الفولسيين ويعقدون معهم الاحلاف بينهم لئلا تشب القتال ويكونوا هم المسؤولين بولاتهم رفضوا الصلح والتسوية حسب امر العدل والانصاف فاجابهم المجلس بكلام وجيز قائلاً ان الخوف لا يحمل الرومانيين على تسليم ما ملكوهُ بقوتهم وعظمتهم وانه اذا كان الفولسيون يبتدرون السلاح اولاً فالرومانيون لا يستبقونهم الى تركه ولما رجعت الرسل حمل طلس على اللاتينيين ليمنعهم من امداد الرومانيين واغار كور يولانس على اراضي رومية فاسر من رجالها عدداً عديداً لانهم كانوا متفرقين في الحقول غير مستعدين للقتال واستاق غنماً وبقراً واخذ حنطة وافرة وانكفأ للتاني طلس ظافراً غانماً وانضم الفولسيون انضمامهُ فاقسموا على التحد آملين الكسب والنصر تحت لواء قائد شهير شجاع وعاد كور يولانس الى ساحة الضرب والطعان واستولى على عدة مدن رومانية ولاتينية ثم زحف الى رومية وحاصرها ولما نظر الشعب تقدمهُ وكثرة عسكره ورأى جيوشه في تلك البطاح تموج كالبحر الزاخر رعب وخارت قواهُ واقبل الى الفوروم يستجير رؤسائه ويصب اليهم بالحاح ان يمضوا امر نفي كور يولانس ويسألوهُ كف العدوان فدعتهم المجلس مليا وارسل اليه رسلاً يستعطفونه ويعرضون له رغبة الرومانيين في السلام وندمهم على ما جرى فردهم كور يولانس خائبين

لانه طلب لابرام الصلح شروطاً قاسية لا يمكن الشعب الروماني قبولها فارسل اليه المجلس رسلاً آخرين من اصدقائه واقربائه فلم يحفل بهم ولم يصغ اليهم بل صرفهم بالخيبة والفشل كالاولين فضاق الجميع ذرعاً وبعثوا اليه بالكهنة لابسين الملابس الاحتفالية ليسترضوه ويحملوه على تلطيف الشروط فلم يستنجع هولاء ايضاً تغيير شيء مما صمم عليه ولم يكن حظهم منه باسعد من حظ السابقين حينئذٍ قامت فاتوريا امه وفولومينيا امرأته واخذتا ابنيه وخرجتا من المدينة مع عدة نساء شريفات وتوجهن جميعاً الى معسكر الفولسكيين وحينما ابصر كوريولانس امه وامرأته باكيتين تسألانه السلام وصيانة بلاده من الخراب بعبارات تفتت الاكباد حن وبكى وقال وقال لامه يا اماه قد غلبتني واسبيتني بكلامك اساءة وطني الي وقد خلصت رومية بعطفك هذا الا انك اهلكت ابنك وفي الغد جمع جنوده ورحل بهم الى ارض الفولسكيين حيث مات قتلاً كمجرم خائن لانه ارتد عن رومية بعد ما كاد يستولي عليها وقال ليفيوس ان الفولسكيين لم يقتلوهُ بل عاش بينهم زمناً طويلاً بالحزن والكدر لانه اضاع حياته بلا فائدة او لانه بذل جهدهُ في اذلال امته مع انه كان قادراً على نفعها اكثر من غيره

الفصل الرابع

ومرت على رومية بعد حرب كوريولانس مدة ثلثين سنة لم يسمع فيها سوى صليل السلاح وصهيل الجياد في قتال الامم المجاورة لا سيما الفولسكيين والاكويين والفيين والصابيين ولم يرَ في اثنائها ايام مهادنة هولاء الاعداء

سوى اضطراب داخلي ناشئ عن نزاع وكلاء الشعب الدائم للشرفاء وطمعهم في توسيع نطاق سلطتهم وتخصيص سيادة الفضلاء وثروتهم وكانوا يتدرعون الى نيل ما يتخوفه بوسائل تستميل الجمهور من ذلك القانون العقاري الذي اشتدت لاجله مخصومات بين الكبراء والعوام حتى انه في الحرب التي حدثت سنة ٤٧٠ قتل القنصل ابيوس كلوديوس عُشر عساكره لانهم رفضوا القتال وولوا منهزمين ومآل هذا القانون توزيع الاراضي المغتنمة بين الفقراء . اما القانون الترتيبوسي فكان عادلاً جداً لان مآله منع الشرفاء الحاكمين عن النظر في الدعاوي كما تقضي اميالهم واهواؤهم واجبارهم على حسم المشاكل بموجب دستور يسنه رجال حكماء ينتخبهم الشعب لهذه الغاية

واغار الاكويون سنة ٤٥٧ ق . م على اراضي امة حليفة الرومانيين وهبوا منها ما امكنهم نهبه ثم ارتدوا وعسكروا على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فارسل اليهم المجلس ثلثة سفراء يشكون من فعلهم ويرغبون اليهم ردّ ما اخذوهُ وكان قائد هذه الجنود جالساً حينئذٍ تحت شجرة يستظل بها فلم يجب السفراء عما طلبوه بل قال لهم سلوا هذه الشجرة ما اردتموهُ لان لي شغلاً شاغلاً يمنعني عن اجابتكم ولما رجعت السفراء الى رومية وعلم المجلس ما حدث وجه احد القنصلين لمحاربتهم وبعث القنصل الآخر ليغزو ويحرب بلاد الاكويين ونهض الصابيون ايضاً في ذلك الحين لقتال رومية فالتقاهم القنصل نوتيوس وكسرهم ثم هجم على المدن الصابية ونهبها اما القنصل منوسيوس فلم يستطع رد الاكويين الذين لما رأوا ضعفه بادروا اليه وحصروهُ في معسكره آملين ان الجوع يكرهه على التسليم ويبع الخبر بحبس فعمد الى اقامة رجل شريف يدعى سنسناتس دكتاتوراً وارسل اليه رسلاً يخبرونه بذلك فلقي الرسل سنسناتس يحرث ارضه بيده وكان العرق اذ ذاك مكللاً جبهته من عظم التعب وحينما علم هذا الشيخ النشيط ما طرأ

على وطنه واعتماد الجمهور عليه بدليل انتخابه لهذا المنصب الخطير اسرع الى رومية وجهز من رجالها جيشاً كافياً وخرج منها في الحال واغار على الاعداء فنكل بهم واسر من بقي منهم في قيد الحياة وبعد ان جعلهم يمرون تحت النير دلالة على العبودية خلى سبيلهم جميعاً ما خلا قائدهم وعشرة رجال اقام ليمشوا امامه عند دخوله المدينة واحتفاله بنصرته ثم ارتد الى رومية ودخلها ظافراً غانماً واستعفى من منصبه الذي تقلده ستة عشر يوماً فقط ورجع الى بستانه ليحرثه ويعتني به راضياً بفقره وعيشته الخشنة ومؤثراً حالته هذه على السلطة والراحة فاذا نظرنا الى صنع الرومانيين واقتناعهم وسمو شانهم وصبرهم على الاهوال في ساحات القتال وبانهم يرفع شان بلادهم لا نعجب من ارتقائهم معارج الفلاح وتسلطهم على ممالك عديدة

وفي السنة التالية تمكن العوام من زيادة عدد وكلائهم فجعلوهم عشرة ينتخبونهم كل عام كما كانوا ينتخبون الوكيلين الا انه لم يسمح لاحد ان يتقلد هذه الوظيفة سنتين على التوالي

وفي سنة ٤٥١ ق م رضي المجلس بالقانون الترنتيوسي المشار اليه آنفاً وارسل الى بلاد اليونان سفراء ليدرسوا شرائعها اليونانية ويتخذوا منها ما رأوه موافقاً للجمهورية الرومانية وقد رجع هؤلاء السفراء فقام الشعب باتفاق الاراء عشرة ولاة او دسمبير سموا العشرة وقاموا مقام القنصلين والوكلاء الذين انقضت وظيفتهم في هذا العام ووضعوا القوانين اللازمة للامة فعدل الدسمبير بادئ بدء ووضعوا شرائع عرفت بشرائع الاثني عشر لوحاً لانها كتبت على اثني عشر لوحاً نحاسياً وهذه سنة استعملت لتنظيم بعض عوائد وطباع هذا الشعب الشهير

اللوح الاول

في الدعاوي

المادة الاولى اذا دعيت الى دار القضاء فاذهب حالاً مع خصمك

المادة الثانية اذا ابى خصمك الحضور فعلى المدعي ان يقيم شهوداً عليه وبذلك يحضره جبراً

المادة الثالثة اذا اراد خصمك الفرار فلك ان تلقي القبض عليه

المادة الرابعة اذا كان خصمك مريضاً او شيخاً عاجزاً فيلزم ان تحضر له مركبة وان ابى الاستعمال فلست مجبراً على تقديم مركبة

المادة الخامسة اذا قدم خصمك كفيلاً فاتركه طليقاً

المادة السادسة ان كفيل الغني يلزم ان يكون غنياً اما كفيل الفقير فمقبول مهما كان

المادة السابعة على المدعي ان يقص الدعوى حسب اتفاق الخصوم

المادة الثامنة اذا لم يكن اتفاق بين الفريقين فعلى الحاكم ان يسمع الدعوى من طلوع الشمس الى الظهر بحضور الخصمين

المادة التاسعة ان الحكم في الدعوى بعد الظهر يكون بعد حضور الخصمين

المادة العاشرة لا محاكمة ولا قضاء بعد غروب الشمس

المادة الحادية عشرة اذا شاء خصمان على ذمة حكم نقض الدعوى فيقدمان كفيلين لكفالة حضورهما ومن تغيب يلزم بدفع مقدار من الدراهم يعينه الحاكم بحسبه على

الحضور مانع كمرض او ابتداء نذر او اشغال عمومية
فتؤجل رؤية الدعوى الى الغد

المادة الثانية عشرة . من لم يمكنه احضار شهود يشهدون بصحة دعواه
فليذهب الى امام منزل خصمه ويعلن ما يدعيه
بصراخ وجلبة

اللوح الثاني

في السرقات

المادة الاولى من يقتل لصاً يدهمهُ ليلاً لا يعاقب على قتلهِ

المادة الثانية اذا قبض على لص وهو يسرق في النهار يجلد ويمسي
عبد الرجل الذي نوى سلب امتعته واذا كان هذا
اللص عبداً يجلد ويطرح على راسه من قمة الكابيتولينوس
اما اذا كان ولداً قاصراً فيعاقب حسما يرتئي الحاكم
ويعوض الرجل المسروق مما فقدهُ

المادة الثالثة . من يقتل لصاً قد اشهر سلاحاً لا يعاقب على قتلهِ

المادة الرابعة . اذا فتش منزل ووجد فيهِ امتعة مسروقة يقاص
صاحبهُ حالاً كلص ارتكب السرقة علناً

المادة الخامسة من يسرق حبة يدفع ثمن ما يسرقهُ مضاعفاً

المادة السادسة من يعتدِ على غيره ويقطع اشجاره يدفع ٢٥ قطعةً
نحاسية عن كل شجرة يقطعها

المادة السابعة . من يأت بستان غيره خفيةً ويدوس زرعهُ او يحصدهُ

يحرق في ذلك المكان ويكون قتله بمثابة ذبيحة تقدم لسيرس إلهة الزراعة ولكن اذا كان الجاني ولداً قاصراً يقاص بما يرتئيه الحاكم ماساً ويغرم بدفع ثمن ما اتلفه مضاعفاً

المادة الثامنة اذا عفا الرجل المسروق منه شيء عن السارق او تواطأا يعاف اللص من كل عقاب.

المادة التاسعة. لا يعتبر الزمان على الاطلاق حقاً لملك الامتعة المسلوبة ولا يحق لغريب ان يملك مال روماني وطني لسبب طول مدة استيلائه عليه

المادة العاشرة اذا خان المؤتمن وتصرف بالأمانة يدفع قيمتها مضاعفة

المادة الحادية عشرة من وجد مالهُ عند رجل قد استولى عليه بخيانة فليشكُ امرهُ الى القاضي الذي يقيم حكماً لتحقيق الدعوى ويغرم المالك غير الشرعي بدفع ضعف قيمة ما اتلفهُ من ذلك المال

المادة الثانية عشرة. اذا سرق عبد بامر مولاه شيئاً خفية او اتلفهُ يسلم العبد الى الرجل المسروق منه كتعويض عن ما خسرهُ

اللوح الثالث

في القرض والاستقراض وحقوق الدائن على المديون

المادة الاولى من ياخذ ربا اكثر من واحد بالمائة يغرم بدفع قيمة

ما الفرصة ربع مرار

المادة الثانية — من يعرّ ندين و يحكم عليه بمهل ستين يوماً بيوضة واد . يستطيع بعد ذلك ان ... يحضر لدى القاضي

المادة الثالثة — اذا لم يوف ستين يوماً ولم يجد كفيلاً يكفل الدائن ان يجيء به الى منزله و يقيده بسلسلة حديدية لا يزيد وزنها عن الخمسة عشر رطلاً اوروبياً

المادة الرابعة — ادى ... المديون ... عيشه ان ... يقدر ان ... من ... يعده ... طعمه

المادة الخامسة — ... المديون ستين يوماً ثم يعرضه في السوق ثلثة ايام معلناً قيمة دينه

المادة السادسة — اذا كان رجل مديوناً لكثيرين ... يقطع جسده في اليوم السادس من عرضه ... السوق قطعاً يقسمها الدائنون او ... يبيعه ... نهر التيبر

اللوح الرابع

في حقوق الآباء على البنين

المادة الاولى — للاب حق ان يربي ويقتل و يبيع بنيه الشرعيين متى اراد

المادة الثانية — لا سلطة للأب على ولده اذا باعه ثلث مرار

المادة الثالثة — اذا ولد لرجل ولد مشوه فليقتله حالاً

المادة الرابعة — على الولد ان يعيل ... متى افتقر واحتاج واذا كان

الاب قد اهمل تربيته ولم يعلمه مهنة فلا يجبر على اعالته

المادة الخامسة — من الزنى غير مجبر أن يشتغل لاعالة ابيه

اللوح الخامس

في ميراث وما يتعلق به

المادة الاولى — اذا مات رجل عن اولاد توزع تركته سهام واذا كان اولاده قاصرين يوكل أمرهم الى الوصي الذي عينه

المادة الثانية — اذا مات رجل ولم يكن له عقب ولم يوص بماله لاحد يرثه اقرب انسبائه

المادة الثالثة — اذا مات عبد معتق ولم يكن له اولاد يرثه مولاه او سيده

المادة الرابعة — اذا مات مديون يوفى دينه من التركة وما يبقى بعد ذلك يوزع بين الوارثين

المادة الخامسة — اذا مات رجل عن ولد قاصر ولم يعين له وصياً يتولى امره اقرب انسبائه

المادة السادسة — اذا جنّ رجلٌ واصبح مسرفاً يتولى ادارة اعماله احد اقربائه او رجل من عشيرته اذا لم يكن له اقرباء.

اللوح السادس

في البيع والشرآء

المادة الاولى. يلزم ان يكون البيع صريحًا

المادة الثانية. اذ حرر عبد بشرط ان يدفع مقدارًا من النقود ثم بيع بعد ذلك يعتق متى نقد مولاه الدراهم المفروضة

المادة الثالثة . لايحق لاحد ان يملك سلعة لم يدفع ثمنها

المادة الرابعة . ان مرور الزمان في العقارات عامان وفي الامتعة المنقولة عام واحد

المادة الخامسة يرجح في الدعاوى حق المالك وفي الخصومات على الحرية والاستعباد حق طالب الحرية

اللوح السابع

في الجنايات والاضرار

المادة الاولى . اذا تلفت بهيمة شيئًا في بستان احد ياخذ صاحب البستان تعويضًا او البهيمة

المادة الثانية . اذا كان لك عمود ووجدته في بيت او كرم رجل اخر فلا تنقض ذلك البيت او تخرب الكرمة ولكن خذ ضعف قيمة الشيء المسلوب

المادة الثالثة . من يحرق بيت غيره او يشعل فحمة فليسجن ويجلد

ويحرق ولكن اذ كان ما اتاه عن غير عمدٍ فليعطِ تعويضاً واذا كان فقيراً يؤدب

المادة الرابعة . يعاقب الجاني بمثل ما جنت يده واذا رضي المضرور تعويضاً يعفى عنه

المادة الخامسة . من ضرب معتقاً فملك له عظمة من جسده يعطو ثلثمائة رطل نحاساً ولعبد مائة وخمسين

المادة السادسة من يلطم رجلاً او يشتمه يفقده خمسة وعشرين قطعاً نحاسيا

المادة السابعة من يذم رجلاً بكلام مهين او ابيات تنعجة وتعطل صيته يجلد

المادة الثامنة . من شهد مرة في دعوى ثم رفض الشهادة يرذل ولا تقوم شهادته فيما بعد

المادة التاسعة من شهد بالزور يطرح على رسو من قمة الكابيتوليوس

المادة العاشرة من قتل معتقاً وسحره وسمه يعدم كقاتل

المادة الحادية عشرة . من يقتل اباه وامه يوضع في كيس جلد ويطرح في النهر

المادة الثانية عشرة اذا أهمل الوصي اشغال القاصر سنه على عمله واذ ختلس منه شيئاً يرد عليه قيمة ما أخذه مضاعفة

المادة الثالثة عشرة د عش الولي تابعة يعد محتقراً مرذولاً

اللوح الثامن

في الاملاك خارج المدينة

المادة الاولى يترك بين المنازل محال عرضة قدمان ونصف

المادة الثانية .	يمكن المتعاقدين ان يجروا ما يتفقون عليه بشرط الا يخالفوا الشرائع العمومية
المادة الثالثة	اذا اختلف جاران على حدود أرضهما يقيم القاضي حكماً للنظر في ذلك
المادة الرابعة	اذا كانت شجرة تؤذي بظلها بستاناً آخر تقطع اغصانها على علو خمس عشر قدماً
المادة الخامسة	اذا سقطت ثمر شجرة في البستان المجاور فصاحبها يحق أن يجمع تلك الاثمار
المادة السادسة	اذا عمل رجل قناة في بستانه تصرف مياه الامطار الى الحقل المجاور يقيم القاضي حكماً لتقدير الضرر ومنعه
المادة السابعة	اذا كانت الطريق مستقيمة تكون عرضها ثماني قدم والا فست عشرة قدماً
المادة الثامنة	اذا كانت الطريق واقعة بين حقلين ردية يمكن المسافر ان يمر في الحقل الذي يختاره

اللوح التاسع

في حقوق العوام

المادة الاولى	الجميع في الحقوق سواء .
المادة الثانية	المديون الذي يتعهد ويعترف والمجرمون الذين عفوا عنهم من الفتنة يحفظون حقوقهم بعدالة
المادة الثالثة	القاضي الذي يأخذ الرشوة يعد مجرماً
المادة الرابعة	الدعاوى المقامة على رجل روماني وتمس حياته وحريته وحقوقه تعرض في محل الاجتماع

المادة الخامسة . يقيم الشعب مفتشين لتحصيل الدعاوى المهمة

المادة السادسة . الذين يلتئمون ليلاً في المدينة لاجل التآمر الفتن يقتلون

المادة السابعة كل من يحرّض غريباً على محاربة رومية او يسلم رجلاً وطنياً الى غريب يقتل

المادة الثامنة . القوانين التي يضعها الشعب بشان امر ما تبطل القوانين الموضوعة لذلك قبلاً

اللوح العاشر

في الجنازات والمآتم

المادة الاولى لا يدفن ميت ولا يحرق داخل المدينة

المادة الثانية . لا يجوز الاسراف في تجهيز الميت ولا الصراخ والبكاء الشديد عليه

المادة الثالثة الخشب الذي يحرق به الميت لا يقطع بمسمار ولا يصقل

المادة الرابعة لا يلبس الميت اكثر من ثلثة ثواب موشية بالارجوان ولا يستخدم للاحتفال بجنازته اكثر من عشرة مزمرين

المادة الخامسة لا يجوز للنساء ان يخمشن وجوههنّ او يشوهن خدودهنّ او يصرخن صرخةً قبيحة

المادة السادسة لا يجوز أخذ قطعة من جثة الميت للاحتفال بجنازته مرةً اخرى الا اذا مات في الحرب او غريباً

المادة السابعة لا يجوز تحسين الشعر ولا معاطاة المسكرات في المأتم
ولا تطييب حسب سوى

المادة الثامنة لا يجوز حضار كبار ومجامر طيب في المأتم

المادة التاسعة لا يجوز لبس ثياباً في الالعاب الممنوعة لمهرته
ومهره عبيده أو سرعة خيله فليؤخذن وليستأذن
أقرباؤه في تكسيه مدة الايام التسعة التي يبقى بها في
البيت وحده مدفن

المادة العاشرة لا يجوز لبس الا عباءة واحدة ولا يوسد الا على
فرش واحد

المادة الحادية عشرة لا يجوز استعمال الذهب في عمره الا اذا ربط
حلقه لبس خيط ذهبي فيدفن معه مع الخيط

المادة الثانية عشرة يدفن الميت ويحرق في مكان بعيد عن المنازل
ستين قدماً على الاقل الا اذا رضي صاحب المنزل بخلافه
ذلك فيجوز

المادة الثالثة عشرة لا يعتبر مرور الزمن حق ملك المدفن

اللوح الحادي عشر
في عدة الأيمة

المادة الاولى على ... في الايم ... بسنة شهور وورع
واذا ... بعد ذلك فتعتبر ... الأيمة

المادة الثانية	لا يجوز لاحد ان يعبد سراً آلهة جديدة وغريبة مالم ياذن بذلك اولو الامر
المادة الثالثة	يسمح بكل المساكن التي شيدها اجدادنا والكهوف المقدسة التي في حقوله والمساجد التي يجمع فيها ارواح سلافه وليحترم كل واحد الاحتفالات الدينية التي اعتادها
المادة الرابعة	تكرم الهة المدن ويفرض نسبة عصبيتهم الى مصاف الآلهة نظير اركلس وباخس وروملس الخ
المادة الخامسة	تعبد الصفات الحسنة التي ارتقت بها الانسان الى مصاف الآلهة نحو العقل والعصبية والتقوى والامانة ولتقم لها هياكل ولتكن ثمت وعبادة الصالح
المادة السادسة	ترفع الاحتفالات بشعورها
المادة السابعة	لا يسمح بالدعاوى في يوم الاعياد . يلزم العبيدان يحتفلوا بالاعياد بعد انجاز اشغالهم
المادة الثامنة	يقدم الكهنة للآلهة في يوم معلومة قرابين من اثمار الارض وفي ايام اخرى عسلاً واولاداً اما ذبيحة الاولاد فتقدم في آخر السنة وتختار حسبما يامر الاله وتقسم الكهنة الى اقسام مختلفة وتكون خاضعة لاحبار عظام
المادة التاسعة	لا يؤذن للنساء ان يحضرن الذبائح المقدمة ليلاً ولا ان يعلمن الاسرار الماخوذة عن اليونانيين ولكن يمكنهن حضور ذبائح الشعب العادية وتعلم اسرار الالهة سيرس
المادة العاشرة	من سرق شيئاً للالهة يقتل
المادة الحادية عشرة	من يحنث في يمينه تسمه الآلهة ولتردله الناس
المادة الثانية عشرة	من يزني بقريبة لا يحل له زواجها يقتل

المادة الثالثة عشرة يلزم اعفاء الدور عبر ان الاشرار محظور عليهم تقديم قرابين للآلهة

المادة الرابعة عشرة لا تنفق حنثك واقتصد فيما تقدمه قرباناً ومن ينفق شيئاً لغيره يغرم بدفع ضعف القيمة

المادة الخامسة عشرة احفظ دائماً اعيادك العائلية

المادة السادسة عشرة. من أخطأ فليكفر عن خطاياه ومن لا يفعل ذلك يعد كافراً

اللوح الثاني عشر

في الزواج وحقوق الرجل

المادة الاولى. اذا سكنت امرأة مع رجل عاماً كاملاً ولم تغب ثلث ليال تعد زوجته

المادة الثانية اذا زنت امرأة وسكرت يمكن زوجها ان يقتلها ان رضي بذلك اهلها

المادة الثالثة اذا طلق رجل امرأته فليأخذ منها مفاتيح منزله وليعطها امتعتها وما احضرته عند عقد النكاح

المادة الرابعة. الولد الذي تلده الثيب بعد موت زوجها بعشرة أشهر يعد شرعياً

المادة الخامسة. لا يجوز للشرفاء ان يتزوجوا من العوام

انتهت

قال سيسرون الخطيب الروماني الشهير ان قوانين الاثني عشر لوحاً تفضل على جميع كتب الفلاسفة وبالحقيقة اذا تصورنا فيها معتبرين الزمان الذي وضعت بوجدها مشكاة هدى قد سطعت في ليل ذلك العصر الدامس كيف لا وهي الآمرة بالعدل والمساواة والمعاقبة الشريف القابض على عنان الاحكام متى اقترف ذنباً كما تعاقب حقر العوام اذ لا فرق بينهم في الحقوق ولا امتياز لاحد منهم على مقدمة الا انها كانت تجيز لدائن القاسي وبلا الوحشي ان يعامل الاول مديونه والثاني ولده معاملة بربرية يقشعر منها الطباع ويأباه الذوق السليم وقد اضيف اليها على مرّ الزمان قوانين اخرى كثيرة حتى انه في عهد الامبراطور جوستنيان مع الدستور لمن محمد فامر هذا الملك ان تحصر الشرائع في سفر قنينة ليمكن تداولها وادركها فتم له ما ارادهُ وجمعت الشرائع الحديثة في اربعة مجلدات باقية الى الآن وهي المعروفة بالقانون الروماني المدني الذي يحسب اساس دستور الممالك المتمدنة

ورأى الرومانيون من الدسمبير لاسيما من زعيمهم ابيوس كلوديوس ظلم وفواحش الصدر كوسبين لانهم بعد ان عدلوا ليعشقوا الشعب ويحملوهُ على انتخابهم مرة اخرى اخصوا يرتكبون المنكرات ويجسون المحرمات وكان لكل منهم شرط يسعون في اخرها يروعونه فملّ العوام منهم وشملوا الحيوة لاتعاظم الوحشية ولكن احداً ذلك يامن على عرضه ولا ماله لان كل شيء كان مباحاً لاولئك العتاة ولاتباعهم التجار فكانهم قد سنوا الشرائع ليخالفوها واعلنوا العدل ليجوروا وعتوا ويفجروا وقبح سيرتهم ولما انقضت السنة الثانية ابوا الاستقالة من مناصبهم وبقوا قابضين على زمام الاحكام بلا انتخاب قانوني على رغم الجميع

ونظر ابيوس احد الولاة العشرة ذات يوم ابنة عامية بديعة الحسن والجمال اسمها فرجينيا فشغف بها وتسمة هواها وكانت فرجينيا تقية فاضلة تحب

العفة والكمال لذلك لم يستطع أبيوس اغراءها بتملقه ولم يمكنه صيدها بشرك
وعوده بل ذهب اجتهاده في استمالتها واستمالة مربيتها ادراج الرياح فعمد حينئذ
الى حيل الخداع وأمر تابعه ان يقبض عليها بانه وسيلة بشخصها وبرها بموافقة
لنيل مناه. وكان تابعه هذا أروغ من ثعلب واحيل من ضب مشهور بمكره
وخبثه فبينما كانت فرجينيا راجعة يوماً الى منزلها قبض عليها التابع المذكور
وكاد يبلغ مأربه ويبلغ وليه مشتهاه لو لم يعترضه الجمهور الذي انتصر لدموع
الابنة ونواحها فاشفق منها وسنة عرض دعواه لقاضي ليحكم له او عليه فرفع
التابع شكواه الى أبيوس مدعياً ان الابنة امة قد ولدت في بيته وقد سرقت وهي
طفلة وبيعت لامرأة فرجينيوس الذي يظنه الناس أباها وانه مستعد أن يقدم
شهوداً يشهدون بصحة مقاله وبناء على ذلك طلب تسليم الابنة اليه لانه
مولاها قائلاً انه يحضرها متى أتى فرجينيوس واثبت كونه أباها الشرعي

وسمع أسيليوس خطيب فرجينيا ما حدث فبادر الى الفوروم عدواً
وتخلل الجمهور حتى وصل الى فرجينيا فضمها اليه وصرخ قائلاً يا أبيوس
لا شيء يقصيني عن حبيبتي سوى الموت فاقتلني ان شئت سر خداعك
ومكرك واعلم اني مستعد ان ادافع عنها الى أن أشرب كأس حتفي ألعلك
توليت الاحكام وأبطلت وظيفة وكلاء الشعب ليخلو لك الجو وتهتك
عرض النساء وتنتهك بكارة العذارى ألم يكفك ما فعلت وما تفعل من
المظالم حتى عمدت الى تدنيس الطهارة وبرقع العفة ألم تدر ان فرجينيا هي
خطيبتي واني ازمع زواجها طاهرة بلا عيب وانت أيها الشعب الروماني
أسألك حماية امرأتي وانتم أيها الجنود أطلب اليكم صيانة ابنة رفيقكم
فرجينيوس مدة غيابه ولا تخشوا باساً لان الآلهة والناس معنا

فهاج الجمهور جداً عند سماعه كلام أسيليوس وكره أبيوس على ارجاء
الدعوى الى الغد حتى يحضر فرجينيوس الذي خرج في ذلك الحين مع
الجنود لمحاربة الساسبين والاكوبين وفي اليوم الثاني أتى فرجينيوس بـ

لانه علم بما جرى فاسرع الى رومية ليحامي عن ابنته ويخلصها من مخالب من يروم افتراسها وهتك عرضها بين الملا ولما التأم الشعب أقبلت فرجينيا الى محل الاجتماع وكأنها تلوح على محياها البديع والعبرات تتساقط من جفونها فوق وجنتيها المحمرتين من الخجل والحزن فشخصت اليها الابصار وحارت في معاني حسنها البصائر ورآها أبيوس فذاب شوقاً واحس ان الموت أخف وطأة واهون عذاباً من هجر هذه الغزالة الشاردة لذلك صمّ عن سماع حجج فرجينيوس الدامغة وحكم بها في الحال لتابعه الخبيث الخادم شهوات وليه العاتي مرضاة ودناءة ولكن هيهات هيهات ان يبلغ ما تمناه وان يحقق امانيه وما نواه اذ فرجينيوس حين أبصر مكر أبيوس وغدره طلب اليه ان يسمح له بوداع ابنته فاذن له فتقدم الى فرجينيا واستل مدية وقال لها يا ابنتي هذه هي الطريقة التي بها تخلصين من العبودية والعار ثم ضربها بها ضربة سقتها كأس الموت وجذب مدية من صدرها وهي تقطر دماً وقال لابيوس بهذا الدم أسأل آلهة الجحيم سبب مهلكك واخترق على الفور الجموع وولى هارباً على رغم ابيوس واعوانه لان الشعب أسعفه على هربه فاتى المعسكر وحدث الجنود بحديثه ثم رفع يديه الى السماء وقال اشهدي أيتها الآلهة ان أبيوس وحده هو المذنب لانه قد أجبرني بفعاله ان اجري ما اجريته واني ارجو في حلمكم الا تعدوني عكس كأب قاتل سفك دم ابنته ظلماً بل اعلموا اني كنت أود فداء حياتها بنفسي لو أمكنها أن تعيش حرة عفيفة ولكن ذلك الجائر العاتي اراد استعبادها ليتسنى له هتك ستر عفتها فما قساوتي ذا الا شفقة وحنو ولقد آثرت موتها على حياتها بالفضيحة والذل وآمل انكم تأخذون بيدي لنثأرها والا مت كمداً فثارت الحمية بالجنود كافة ولعنوا الدسمبير الباغين ورجعوا الى رومية مصممين على خلعهم ونصب وكلاء للشعب ومن هناك ذهبوا مع من تبعهم الى الجبل المقدس سنة ٤٤١ ق م ولم يرجعوا منه قبل ان أنصبت حكومة

العشرة ولاة ورضي المجلس باقامة قنصلين ووكلاء للشعب أما أبيوس عاشق فرجينيا فمات في السجن قبل النظر في دعواه ويظن بعض المؤرخين انه مات قتلاً وجهز القنصلان بعد ذلك عساكر وخرجا لقتال الصابيين والاكويين الذين طالما حاربين بالعدوان فكسراهم وشتتا شملهم ودخلا الى رومية محتفلين بنصرتهما

الفصل الخامس

ان تاريخ الامة الرومانية الحربي ان يعد تاريخ اخلاق البشر على اختلاف مراتبهم في معارج التمدن وللناظر فيه مرآة يرى الانسان صورة ما هي عليه من طباعه وعاداته فيظهر له جلياً ميل المرء ان كبيراً و صغيراً وميله الى الاستبداد بالقسم معاً بل من حب بعصبة له اليوم يسعى لادراكه ولو بذل دونه النفس وحرص لاجوس من معاً حملاً ثقيلاً وتبين لذوي الاستبصار ضعف طبيعنا لحاجته على رغمها الى استحسان الجديد ولو فاتته ظلاوة القديم ورغبتنا في تغيير الاحوال مذكرين لماضي راحتنا المستقل عن مستقبل بن لحاضر سوى تعبه وهمومه لا بالا يستمر على حال ذا الاعواء ستدوما دائماً شبابه حتى ذ مقتضى وطن تجدد عبرة وعبرة للشعب بعد ان أبطل حكومة العشرة كما ذكرنا عاد الى معارضة الاعيان بدون قانون منع الشرفاء من التزوج من العوام فصل بين الفريقين فحصل جدال ثم اتفق على ان يبطل هذه لانه كان الزواج لا يتم الا بالرضى والاختيار كان ذلك لمنع فاسد وداعية الى اثارة الفتن والبغض بلا فائدة

واقام الرومانيون سنة ٤٤٤ ق م منتخبين بحصبان الشعب حسب
ترتيب الملك سرفيوس طوليوس وجعلوهم يختصون باشهر دفتر المدنيين
واصلاح العوائد وتقسيم الجمهور الى فرق ورتب وتسجيل اسماء الفرسان
والاعيان ... عصاة محسن العدى وكانت سلطتهم عامة واوامرهم نافذة لذلك
حيث انها للجميع واعتبروهم ناظري شرائع وحامي العدل والديانة والعوائد
... من الانتخاب مدة خمسة اعوام في السنين الاول والمدة
... عشر شهراً فيما بعد

وتم ... في الاتحاد والعدول ورأى عمومهم بكل ما طلبوه
... واشتغلوا بخصوص سلطة الشرفاء وعولوا على مشاركتهم في السيادة
مستمسكين من الخمس ... حق انتخاب احد القنصلين منهم ... الخمس
نادى ... اليهم سوى الانتخاب ... احتجوا وكثرت الفتن بسبب ذلك
الى ... سنة ٤٤٤ ... سنة ولاة عسكريين يختصون
من ... نفس ... وعد هذا الامر ضرة على الاعيان ...
... ولاة مذكورين من ... فكانه قد ترك فصل تلك
... فقد نيل حقوق جرمها قبلاً
... ففكر ... في رجوع الحكومة الاولية واحتاط
عمل الجمهور ذلك كل ... تولى احكام رومية قنصلان وتارة ولاة
عسكريون حسب ... واعتدل احد الحزبين امام الانتخاب ولما كانت
حروب في هذا الزمن ... عظيمة لان الجيوش كانت عديمة
... وحدة الاسس من ذلك في ...
... حقوق ... سوى ما سببه القوة ...
... في ... وانت ساعة الا
... مهمة و ... نتائج مهمة لذلك لم تقصد
... جنر ... الاشارة اليه ضيق المقام وخوف من ملل

القارئ هذا وقد رأينا في ما مضى كيف ان الشعب رفض مرارًا تجهيز الجنود اللازمة لمقاتلة الاعداء الذين كانوا يهاجمون رومية لان الجندي اذ كان غير مأجور على خدمته العسكرية كان اذا تقدم الى الحرب ولم يخلفه احدٌ في بيته يهمل حرث بستانه ويستدين مالاً من المرابين بربا فاحش فيصبح ان طالت الحرب أسيرًا في قبضة دائنه مستلقيًا على فراش الذل والقهر وما ذلك الا لانه خاطر بنفسه دفاعًا عن حرية وطنه ولقد حدث هذا الامر ارتباكًا عظيمًا فدفعًا لذلك امر المجلس بنقد الجندي اجرة يومية تكفيه مؤونة الغذاء واللباس وتجعله طوعًا لاوامر القواد وتمكن اولياء الامور من اطالة مدة الحصار والقتال حتى يشنوا الغور على العدى وكانت الجمهورية حين نشأتها في عهد المصلح نو سيكولا قد اقامت ضاربين يجبيان المكوس ويدفعان النفقات اللازمة للحكومة معتمدين بذلك حسابًا مدققًا فامر المجلس بتنصيب ضاربين آخرين يراقبان الجيش ويعدان اجرته والدراهم التي يحتاجها وفرض على الوطنيين مكوسًا جديدة فقام بهذه المشاريع ولقد نجح في انفاذ مآربه على رغم وكلاء الشعب الذين كانوا يغتنمون كل فرصة لاثارة الفتنة املاً ان يحطوا منزلة الاعيان ويرفعوا شأنهم غير مكترثين لصالح الجمهور في اكثر الاحوال

وكانت فيّ اقدم واحصن مدن تروريا وهي تبعد اثني عشر ميلاً عن رومية وكانت ذات قلعة حصينة جدًا مبنية على رابية وعرة اما سكانها فكانوا اشد الناس عداوة للرومانيين واعظم الامم المجاورة بأسًا واكثرها اقدامًا ولقد جرت بينهم وبين شعب رومية حروب عديدة اتينا على ذكر بعضها واهملنا البعض الآخر هربًا من الاسهاب الممل الا انه حدث في سنة ٤٧٧ ق م وقعة عظيمة عند نهر كريمر مات فيها ثلثمائة وستة رجال من بني اسرة عائلة رومية شريفة واربعة آلاف رجل من تابعيهم وهكذا كانت نار الفتنة بين الشعبين تخمد تارة وتشتعل اخرى حتى قرر مجلس

سنة ٥ ٤ ق م محاربة هذه المدينة والاستيلاء عليها فارسل الجنود والفرسان لمحاصرتها فدامت الحرب عشرة اعوام لان فيا كانت حصينة كما قلنا ولم يكن الرومانيون يملكون او يعرفون حينئذٍ من آلات الحصار شيئاً ولقد كادوا ييأسون من الهجوم والقتال ويتركون المدينة وشأنها لو لم يقم المجلس فوريوس كاملس دكتاتوراً وهو الرجل الصنديد المشهور بشجاعته وتدبيره اجمالاً بتعيينه فائداً في قلوب لجميع رجال العسة فاسرع الشرفاء والعوام اليه وتباروا في التجند تحت رايته فتقدم بهم وحارب الفاليسيين والكابسيين الذين رجعوا لمساعدة الاعداء فكسرهم وشتت شملهم ثم مشى الى المعسكر واصبح الحصار بان رتب الجنود وشجعهم ومن منارهم ولما رأى ان الاستيلاء على المدينة بالهجوم محال عمد الى حيلة فعمل امراً لم يسبقه اليه احد من القواد وذلك انه بينما كان يهاجم المحصورين ويشغلهم بالقتال كان قسم من عسكره مشتغلاً بحفر قناة تحت الارض تصل الى داخل القلعة وحينما تم عمل أمر الجنود ان يهجموا على الاسوار فتقاتل الفيون بشجاعة وثبات اما القسم الذي دخل القناة فانزل حالاً الى الباب الذي في ساترة الجل عن اعين الاعداء وولج القلعة بغتة وتفرق في جميع الانحاء فقاتل الفيين وفتح أبواب المدينة فدخلها الرومانيون وقتلوا من لم يستسلم من اهلها وجمع كاملس الاسلاب ووزعها بين العسكر ثم رجع الى رومية فدخلها محمولاً بنصرته وذهب الى الكابيتوليس في مركبة فاخرة وكبيرة تجرها اربعة افراس بيضاء كالثلج وحيث ان خيول البيضاء لم تستخدم قبل الا لجر مركبة الاله جوبيتر واشمس غضب الشعب بعد فرحه بانتصار هذا الجبار العظيم ونفرت القلوب منه وقسم المجلس اراضي في بين الرومانيين فنال كل رجل حر منهم سبعة فدادين

وفي سنة ٣٩٤ خرج كاملس بالجيوش لقتال الفاليريين وكان عازماً على اطالة الحرب ليشغل العوام ويمنعهم من اثارة الفتن كما هو دابهم

في زمن السلام مدة انشاء الجمهورية الا انهم منة واحدث فيه خلاف
ما سوى لان الفالريين بعدما قتلوا قتل الانصال ثم بكثهم الموت امام
عدوهم المغوار وجودة الصراع وتحصنوا الى المدينة وعولوا على الدفاع و
يموتوا جميعاً فدى الحرية والوطن وكان في المدينة مدرس يعلم اولاد الاعيان
والاعيان ويهذبهم وكان معتاداً ان يخرج بهم كل يوم خارج الاسوار فقصد
المرة فاتفق انه تقدم مرة الى معسكر الرومانيين وجاء مع كميس وقال
له انشر فقد سعت المدد وبت القمر خير بلا عتاد ولاني قد احضرت لك
هؤلاء الاولاد رهائن عمن عشيهم ولا تسلم الا تسلم المدينة قال هذا وهو
يرجو جزاء على فعله الذميم عن عام ان من يخطبه رجل اي [illegible] من
خيانة ودناءة وعنده الموت اهون من العار وسرعة عينه غضب كميس
وامر الشرط بتقييده واعطى الاولاد عصياً يضربونه بها فقبوه امامهم كالعبد
حتى دخلوا ابواب المدينة سالمين ومع الخبر الكراء. فصعقوه ورد
اعتبارهم للقائد الروماني وصمموا على مهادنته ورضي كميس اجابة طلبهم
بشرط ان يفقدوه عدداً من الدراهم فسوا امره طائعين فعقد معهم صلحاً
ورجع الى رومية ظافراً

ومعلوم ان احسد [illegible] كميس في صدور ذوي النفائس الضعيفة الذين
لا يستطيعون نيل ما فاز به محسودهم فيسعون في حباط اعماله وادلاله
بالاراجيف والنميمة فيدعون [illegible] الوطن وما تقتضيه الاسباب ويحكمون
العدل كأنهم وهم صم هيئة اجتماعية تائهون في وادي الضم [illegible] امكن
وهكذا يرى اعداء المرء تزداد دائماً بزيادة شهرته وفضله وبعد كميلس
بعد ظفره العظيم هدفاً لسهام الوقيعة وهم الحاسدين الذين طلبوا
محاكمته مدعين انه اختلس اموالاً للجمهور عند افتتاح فيي اما هو
فاى الاحتجاج والمرافعة وقبل ان تحكم القضاة عليه بالابعاد غادر المدينة
ورحل الى اردبا قيل انه سأل الآلهة عند خروجه من رومية انتقاماً

من مواطنيه يخضعون له ويسعون في تقدمه ويلتجئون اليه عن قبيل

وكان في كلوزيوم وهي مدينة أتروسكية رجل وجيه يدعى أروس ربي ولداً يتيماً بديع الحسن والجمال وعيّن حدّ سنّه لوكومو فهذا الغلام لما ترعرع وبلغ شدّه أحب امرأة وصيّه فهامت به كما هام بها وحيث ان ضرام الحب لا يخفى ظهر امر هواهما سريعاً فخطف لوكومو اذ ذاك محبوبته من منزل بعلها وعاش معها زمناً ولم يستطع أروس ان يسترد امرأته لان الغلام رشا قضاة كلوزيوم ولم يصغوا لشكوى خصمه والتم على الكلوزيين فتهددوه وتوعدوه ... عن محورة وحين رأى أروس ظلم الحكام خرج من المدينة وحمل ... الى الغاليين القاطنين في الاراضي الواقعة الى الجانب الجنوبي الشرقي من مدينة ميلان الحالية وحثهم على محاربة كلوزيوم واصفاً لهم حسن البلاد ووفرة غلاتها وسقاهم خمراً أتى بها من هناك فاستطيبوها وعولوا على غزو الارض التي تثمر فسعوا ليجتنوا عنبها ويرشفوا من صهبائها ... ونزلوا في البلاد مدة ستة اعوام وهم ينهبون اموال السكان ... فقصدوا أخيراً محاربة كلوزيوم ارضاء لاروس دليلهم فاتوها وحصروها سنة ٣٩١ ق م

ولما طال الحصار على الكلوزيين بعثوا رسلاً الى الرومانيين يطلبون منهم نجدة فارسل مجلس الشيوخ ثلاثة سفراء اولاد فابيوس امبستوس ... بكف العدوان فسخر منهم برنس رئيس الغاليين وردهم خائبين فحموا حدة وانضموا الى حزب الكلوزيين وحدث ان احدهم وهو كونتوس فابيوس قتل قائداً غالياً شهيراً بين قومه ولما علم برنس بذلك غضب وعول على قتال الرومانيين لانهم قد خالفوا القوانين المرعية بين الامم وانتصروا للكلوزيين فرفع الحصار في الحال وتقدم الى رومية سنة ٣٩٠ ق م فسمع ذلك الرومانيون ولاقوه عند نهر اليا على بعد احد عشر ميلاً من مدينتهم بجيش جمهوره ٤٠ الفاً الا انهم لم يستطيعوا الثبات

طويلاً امام اعدائهم لضعف قوتهم او لانهم خافوا من بسالة الغاليين وصياحهم اشبه بعواء الذئاب فمروا في تلك الارض منهزمين ثم أتوا رومية فدخلوها مذعورين والتجأوا الى قمة الكابيتوليوس وتمكنوا من نقل الزاد والسلاح اليها لان برنس لم يتأثرهم بل تخلف ثلثة ايام ليوزع بين عساكره الاسلاب التي غنمها فنجت رومية بهذه المدة من الخراب التام لانها قدرت على الاستعداد ولما كانت القمة لا تسع جميع الرومانيين خرجت جماعة من العوام وتفرقت في البلاد وبقي الشيوخ في منازلهم فقتلهم الغاليون وحرقوا المدينة واخذوا بصعوبة الاستيلاء على قمة الكابيتوليوس وان ذلك يستغرق زمناً طويلاً أرسلوا قسماً من العسكر ليغزو الامم المجاورة ويأتي بالقوت الكافي

وسمع كاميلس خبر المصائب التي طرأت على وطنه فسبق غاية الاسف ونسي لدى تلك النوازل المحن ما اوصله اليه قومه من الاضرار وبات حائراً فيما يعمل يدرج كربة مواطنيه حتى درى بزياد فرقة من الغاليين في البلاد طلباً للمعاش فنهض اذ ذاك يحمله اسير حل عباده وسأل والي المدينة المنفي اليها ان يأذن له في تجهيز جيش يقطع به دابر المفسدين وينتقم لاخوانه من اقوم اذ قوم الكل وارزوا بهم ما لم يكن لهم بحسبان فولاه الوالي ما طلبه حينئذ زحف كاميلس بمن تبعه الى حيث حل الغاليون وصبر قليلاً حتى دخل الليل فانقض بعساكره على الاعداء وهم نيام انقضاض الصواعق واعمل بهم السيف البتار الى مطلع الفجر فابادهم جميعاً

وذاع خبر هذه الوقعة في تلك الاصقاع وكان الرومانيون الذين غادروا المدينة والذين تكسروا امام الغاليين عند نهر أليا قد لعبت بهم أيدي سبا فلما علموا بفوز كاميلس غير المنتظر بادروا اليه مسرعين واقبلوا عليه متحدين بحث لوثه كأن النصر الذي فارقهم حيناً من الزمان لفراق كاميلس قد عاودهم لعوده هذا المفضل عليهم

ولم يرد كاملس تولي قيادة الجيش قبل ان يعينه مجلس في الكابيتوليوس غير انه دون الوصول الى مجلس وابلاغ وامره غصص امور اذ جنود الاعداء كانت محيطة بتلك الربية احاطة الاسورة بالمعصم ولقد كاد يذهب انتصاره الاخير سدى ويمسي امل العسكر المجتمعة حولة فشلاً لولا جسارة وغيرة رجل روماني اسمهُ كومينيوس الذي ارتقى الى تلك الربية في الليل سرّاً وبعد ان أخذ الاوامر اللازمة بتعيين كاملس دكتاتوراً رجع الى معسكره من حيث جاء

وابصر المحاصرون في اليوم الثاني آثار رجلي ويدي كومينيوس عند ارتقائهِ الرابية فعلموا مكان الصعود الى القلعة من ذلك المكان ولما جنَّ الظلام ومالت أعناق الرومانيين من خمر الكرى شرع بعض الغاليين يتسلقون تلك الصخور والشعاب حتى وصلوا بعد جهد والعناء الى أسفل السور ولم يحس بقدومهم احدٌ سوى الاوز المختصة بإلٰهة جونو فحدث بقوق ونصفق باجنحتها فاستيقظت لذلك عسكر تلك الجهة وكان اول من نهض واسرع الى الدفاع عن السور الشريف مانليوس فوجد عليه رجلين غاليين فابتدر أحدهما بضربة قطع بها يدهُ ودفع الثاني بترسهِ فسقط الى اسفل وهوَّر بسقطتهِ من كان وراءهُ وفي اثناء ذلك اتى قسم من الجنود الرومانية لاسعاف مانليوس فقتل الباقين بالسهام والحجارة

وبينما كان كاملس جاهداً في جمع الجنود وترتيبها وعاملاً فكرة في كيفية قتل الاعداء لتسنى له النصر اسبرن الجوع قد اخذ من الرومانيين المحصورين في القلعة كل مأخذ فخابروا الغاليين في الصلح ورضي هؤلاء بمجاملة صلحهم بشرط ان يقدموا الف ربة ذهب او ٤٥ ليبرا انكليزية ا احكي المؤرخون ان برنوس قائد الغاليين اتى بعبارات مغشوشة فتظلم الرومانيون من فعله هذا فاكان جوابه الا ان طرح حسامه في الميزان فوق العيارات وقال الويل للمغلوبين حينئذٍ ظهر كاملس بجنوده بغتة وامر قومهُ ان

يستردوا مالهم قائلاً ان الرومانيين [illegible] وصفهم بالسيف لا بالذهب
ثم هجم على الاعداء بحمية الرئبال فدحرهم وانحدرت اليهم جنوده واحاطت
بهم من كل جانب فهزمهم فتراس الذئاب معهم واردتهم جميعاً [illegible] الشعب
فعجب الدكتاتور بعد هذه النصرة [illegible] لوطن ومجدد [illegible] رومية ولقب
مانلوس بالكابتولينس لكونه اول من بادر لدفع الاعداء عن اسوار
الرابية المذكورة كما تقدم المقال الا انه قتل فيما بعد مضروباً من قمتها لكي
[illegible] لان الشرفاء خوفاً منه ولاسباب اخرى اتهموه بالغدر [illegible] الشعب
[illegible] وحكموا عليه بالموت

الباب السادس

من حين تجديد بناء رومية سنة [illegible] ق م

بعد ما حرقها الغول [illegible]

[illegible] الاولى [illegible]

و

من سنة [illegible] ق م الى سنة [illegible]

الفصل الاول

ترى فيما يلي على الامة الرومانية [illegible] من حرب كان [illegible]
[illegible] مدينة وحده [illegible] في عقيدته [illegible]
[illegible] لانه لم [illegible] رومية [illegible] اوربا [illegible]
للغارة على الامم المجاورة [illegible] بعد [illegible] عن [illegible]
وكانت الشعوب مغلوبة تنهض [illegible] في [illegible] وادلال [illegible]
[illegible] لها الفرصة او تتوسم فيهم ضعفاً وعيباً في سنة [illegible] ق م [illegible]

ام لم تلبث ان زاد خرابها بادر اعداؤها مجاورها الى محاربتها ومحو
اسمها ان مكن من عالم الوجود فلم تقوى شوكتها وترجع الى ما كانت
عليه سابقاً ولكن كيف يقدرون على نيل مارجوه وكاملس البطل راضٍ
عنها وراغب في احيائها فانه جمع شتات الرجال الروماسين وقسمهم
الى ست فرق ترك فرقة منهم عند اسوار رومية للدفاع عنها وفرقة اخرى
في مدينة في نار قبة حركات الاتروريين وزحف بالفرقة الباقية الى قتال
الاعداء فانتصر على الفولسيين والاكويين والاتروريين انتصاراً تاماً
وعاد من ساحة الحرب بالانتصار وبعد ثم الوافرة وبعد سنتين ولت قتل
اللاتينيين والهرنيكيين والانسيين واخضعهم

وفي سنة ٣٦٥ ق م سمع حكومة ان فرقاً من الغاليين اتية عن
عزم الاضرار بها فقدموا الى رومية فحصل لهم من قلوب الرومانيين كافة
خوف شديد وتذكروا حمية الغاليين السابقة والنكبات التي حلت بهم من
جراء ذلك واجمعوا جميعاً على تعيين كاملس دكتاتوراً واقسموا يحمدون
عزمه وسياسته ما حدث قبلاً فتحفظهم ما حلّ بمصر وذكرى وقد كان
الطف منوعه في تبدّل الاحوال عن بين ايديهم وذكاءه لا على كثرة جنود
ووفرة عددهم كاملس ان قوة الغاليين قائمة بصول سيوفهم التي يضربون
بها رؤوسهم والمنكب بلا مهارة ولا تدريب فامر بعمل معاقر حديدية
للرؤوس وصقولة من الخارج حتى اذا ما وقع عليها حسام مكسر او ينثني
للاتراس وجعل المحاربين خشبية دائرة من حديد تتقي ضربات
سيوفهم لشدتها ثم زحف بجنوده ونزل بالغاليين في اراضي البا فقهر
جيوشهم وحين عاد الى رومية احتفل باجراء حر على العادة

وفي هذه الغاية تعين ستة تربيونات عسكريين وانتخبوا قنصليين
... من الاعيان فقط والدول جاءت الذي هذا الامر عمر ...
ح عظيم ... خصام على ما ترى ضرية لا ريب ان حدث ادنى تغيير في

للحكومة لان الشرفاء يكرهون كل ما يرغب فيه العوام والعكس بالعكس
ولا بدع فان الانسان مائل بالطبع [illegible] على الامتيازات التي يحولها
اياها العموم ولو كانت تلك الامتيازات مبنية على أسباب وهمية

وحيث ان القنصلين هما راس الحكومة وعليهما مدار كل الاعمال المدنية
والعسكرية لم يكونا يستطيعان في سائر الاحوال ان يقوما بعبء ما فوض
اليهما مرة فقررنا رأي العوام اقامة رجل من القضاة [illegible] وقرروا انتخابه
من الشرفاء تعويضاً عما [illegible] من خسرته في منح العوام حق [illegible] احد
القنصلين منهم وعين بعد سنة ٣٦٦ [illegible] رجلان من الشرفاء والعوام لملاحظة
[illegible] كل الشوارع والاسواق والابنية العمومية وسموهما اديلس كوروليس
لفظة كوروليس مشتقة من كوروس اي مركبة لان الاديل المذكور كان
يجلس في بادىء الامر على كرسي عاج وكان هذا الكرسي يوضع في مركبة

وفشا في هذه الاثناء وباء في المدينة واشتدت وطأته على الاهلين لانه
دام مدة ثلثة أعوام ومات بسببه كاميلس الذائع الشهير وعدد عديد من
العظماء والعوام فاجرى الشعب لازالته اموراً كثيرة خرافية لم تجدهم على ما
أظن نفعاً لان هذا الداء [illegible] علاج آخر والطبيب قد احتجب
الغرض والويل للمريض

ومن الحوادث الغريبة التي تحكيها [illegible] ولا تشفعها بالتصديق
هو انه في سنة ٣٦٢ ق.م تصدعت الارض [illegible] محلة الفوروم وظهرت هوة
عظيمة كانت [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]
لسحره مستشيرة [illegible]
قدم لها ما يحوي قوة الشعب الروماني وان هذه [illegible] تجعل السلطة
الرومانية ابدية [illegible] الجمهور معنى الوحي وباتت حائرة في امره مترددة
فيما يجب ان يعمل وكان في المدينة فتى شريف اسمه كورسوس فهذا أوّل

عبارة السحرة بأن الآلهة تعني عودة الرومانيين للشجاعة والسلاح وسار
عليه متطياً جواداً مطهماً ولبس عدة حربه وتقدم الى الموضع على مرأى من
الشعب والقى بنفسه في الهوة فانطبقت حالاً ورجعت الارض كما كانت كأنه
لم يحدث شيء قبلاً

واغار الغاليون السيراسيون على اراضي رومية سنة ٣٦ ق م
والتقاه الدكتاتور تيتوس كوينكتيوس على بعد ثلثة اميال من المدينة بالقرب من
جسر على نهر انيو فعسكر بقربه في ذلك المكان ولم يتلاحما لان النهر
كان فاصلاً بينهم فكان يعبر الفريقان النهر ويشاهدون مبارزة الفرسان وقواد
الجيشين على الجسر وبرز ذات يوم من صفوف الغاليين رجل طويل القامة
وكبير الجثة وطلب رجلاً للنزال فهاب الرومانيون منظره واجتنب جميعهم
مبارزته ولما طال امد انتظاره وكاد الرومانيون يموتون من خوف لبأس
العدو تقدم فتى شجاع اسمه مانليوس واستأذن الدكتاتور في قتاله فاذن
له فتقلد مانليوس حساماً قصيراً وخرج لمبارزة ذلك الجبار فسل الغالي
سيفه الطويل وهم بضربه فمرّ مانليوس تحت ذلك السيف بسرعة عجيبة
وابتدره بضربة سيفه كسر جنبه ولما رأى الغاليون بطلهم قتيلاً ولوا منهزمين
وتشتتوا في تلك البلاد وحدثت بعد ذلك عدة حروب أثارها على رومية
الغاليون والامم المجاورة وكان النصر في جميعها للرومانيين وفي سنة ٣٤٧
ق م حالفت قرطجنة رومية وعقدت معها معاهدة لحفظ السلم والصداقة
وهي اول معاهدة عقدت بين هاتين الامتين حسب رواية المؤرخين

وفي سنة ٣٤٣ ق م غزا السمنيون بلاد السيديسينيين وفتكوا بهم
فتكاً ذريعاً فاستنجد هؤلاء بالكمبانيين وسألوهم مدداً وكانت كامبانيا
شديدة الخصب وكثيرة الغلال لنشاط اهلها واقدامهم على التجارة بنوع العمق ولما
كانت الثروة والثروة تدهش بالمرء الى حب السلام والنعم وكلاهما يفقد
الانسان العالي بهما الشجاعة والاقدام على الحروب لا سيما في تلك الاعصر

حينئذ الخشونة صفة لا بد منها سنارس معوار كان الكامبيون غير قادرين
على قتال السمنيين الابطال الا انهم كانوا مجبرين لضعف الحهم الدنيئة على
مساعدة اسيد بسبيين ودلائل اعد ثم بذلك اشهر العدوان وبادروا الى
ساحة الوغى فلم يثبتوا فيها طويلاً امام السمنيين الذين هزموهم الى كابوا عاصمة بلادهم وضيقوا
عليهم وحاصروهم حتى ضاق صدرهم وارسلوا اولاد سفراء الى رومية
يبثوا لاهلها شكواهم ويلتمسوا نصرهم فجاء السفراء وعرضوا للمجلس ما عرضوه
الى ان قالوا انهم ينتصر لهم شعب روما سيقضي على عدو ... الدير
سموسا بلا شك ... وعدمت ... الروماين
مساعدة قوم يكونون لكم صديقاً ... ويعدونكم حين حصن بلادهم ويحموكم
كي يحمون الالفة ... اجابهم المجلس انه يود مساعدتهم لولم يكن السمنيون
حلفاء امر ... بين مع ذلك وعدهم بارسال وفد يسال السمنيين كف
العدوان فلما سمع السفراء هذا الكلام الذي عن ارعبة في المحافظة على
الصداقة والطمع لحصول على ما يدل الاتعاب التي سيجنيها الشعب
في هذه الحرب قالوا ايها الرومانيون ان لم تساعدونا لحمايتكم فلا يحكم
قانون الدفاع هنا كرعيتكم لان اهل كامبانيا ومدينة كابوا وارضيها
وهي كلها وكل ما تملكه هو من الان لكم ثم جثوا في ذلك النادي ورفعوا
ايديهم الى القنصلين مستجيرين وباكين فاشتق عليهم من كان حاضراً
وعوّل المجلس على مساعدتهم لا بل على حماية بلاد ملكها بلا حرب ولا سيما
لم يمنع غنيمتها الا بالحرب والصبر على ذلك وارسل ولاة رسلاً الى
السمنيين يسألونهم كف القتال فابى هؤلاء الاذعان فخرج القنصلان
وخرجا بالجنود لمحاربتهم فظفرا بهم في مواقع كثيرة وشتتا شملهم فطار خبر
هذه النصرات في الافاق وبادر اللاتروريون الى الخضوع التام لرومية
وارسل القرطجنيون رسلاً يهنئون مجلس ويقدمون تاجاً ذهبياً للاله جوبيتر
كابيتوليوس شكراً له على فوز الرومانيين العظيم

وطن اللاتينيون سنه ٣٢٩ ق . م انهم يستطيعون الاستقلال وخلع نير . ومية عنهم وعلموا ان دون ذلك حرباً عواناً فاستعدوا لها لكنهم بقصد الاعتصام باستعمال شرائط السلامة كي لا يتهموا بالاعتداء ولكونهم لم يكونوا خاضعين لرومية خضوعاً تاماً قاموا من القول بمطالبهم وطلبوا في طلب حرية كأنهم كانوا عبيداً وعليه ارادوا ان يعاملوا الرومانيين معاملة نظير فوجهوا اليهم سفراً يعرضون رغبتهم في دوام السلام ومقوية عرى الاتحاد بشرط ان يؤلف مجلس رومية من عضاء رومانيين ولاتينيين وان يكون احد القنصلين لاتينياً اما المجلس فغضب جداً عند سماعه هذا الكلام وامر القنصلين بجمع الجنود اللازمة لتاديب هؤلاء الاقوام الذين اسكرتهم النعمة فمضوا بجمهور القنصلان مانليوس وديسيوس العسكر ورحلا الى كابوا حيث حلّ اللاتينيون وحلفاؤهم

وفي ذلك الليل تراءى لكل من القنصلين في الحلم رجلٌ جبارٌ طويل القامة ومهيب قال لهما ان النصر يعطى لاحد الجيشين الذي يقدم قائدهُ نفسهُ ضحيةً لآلهة الجحيم ولما حضر كل واحد ورفيقه ما رآه في الحلم تحققا جداً من انهما حلما حلماً واحداً وعزما على ذلك وحيّ بينهما عما يجب فعلهُ لاحراز نعم الآلهة فذبحا الذبائح وقدما القرابين كفارة عن الذنوب واتفقا ان القنصل الذي يرى فرقته مدحورة يجب عليه ان يخوض وحدهُ عجاج حرب ويهجم على صفوف الاعداء حتى يخرّ قتيلاً باسيافهم ويموت فدى الوطن ورجاله

ولم يكن اللاتينيون يباينون الرومانيين بشيء البتة بل كان الفريقان يتكلمان بلغة واحدة وكانت عوائد الامتين وطريقة قتالهما متشابهة لانهما شعب واحد وقد عاشا زمناً طويلاً بالالفة والاتحاد فحذر القنصلان في هذه الحرب كل الحذر وامرا القواد والجنود ان يراعوا الترتيب والا يقاتل احدٌ منهم خارج صفهِ وحدث ذات يوم ان ابن مانليوس ابن القنصل لقي

قائد" لاتيبا فصلب هذ مارزنة فم يرفص ماليوس الرل كانة قد نسي
الاوامر الصادرة بهذ الشان وانقض عليه بسيفه الشار وحده فحجنة ثم
جمع اسلابه وتقدم الى سرادق أبيه وقال له يا أبت قد اقتديت شجاعتك
واظهرت داني اهلاً لان اكون ابنك فان قائد" اللاتيبا قد طلب برالي
مبارزة واسقيته بحسامي كاس حتفه وهذي هي اسلابه اضعها عند اقدامك
اما ابوه مجمع العساكر حالاً واجابة قائلاً ناطيطس منسوس قد خالفت
اوامري واقدمت على محاربة العدو فانصت بفعلك هذا الترتيب العسكري
الذي بعد"د عماد سلطة وقوة الشعب الروماني فاحوجتني الى احد امرين
ما ان انسى حاسي الابوة فافسك و اهمل صوالح العموم فاستحيك
ولكن فيكن موتك مثالاً للرومانيين يردعهم عن مخالفة القوانين و يعلمهم
اذا ارتكبوا هذا الامر المنكر كيف يكفرون عن ذنبهم ثم امر شرطيا بضرب
عنقه ففعل

ثم تلاحم الجيشان واشتد القتال وكان القنصل دسيوس متوليا قيادة
الجناح الايسر فاظهر في ذلك النهار فعالاً تغير الابطال الا ان عساكره لم تستطع
الثبات بل رجعت الى الوراء فتذكر القنصل وفتئذٍ حلفه وهجم على صفوف
اللاتيبيين مقدماً ذاته للاعداء ضحية لالهة الجحيم فسقط في الحال قتيلاً ولما
رآه قومه قد مات شجعوا واقتحموا الاهوال فاذاقوا خصومهم حرباً لا تبقي
ولا تذر حتى فروا في مجاهل تلك الارض بعدما قتل منهم اناس كثيرون
وحدثت معمع حرى انتصر فيها الرومانيون فدخلوا المدن اللاتينية
واستولوا عليها وعاملوا اهلها بالرفق والاحسان لانهم لم ياخذوهم بذنبهم بل
طردوا مسببي الثورة ومنحوا الباقين حقوقاً كاهل رومية وحسبوهم في عداد
الوطنيين

الفصل الثاني

طالما رأينا رومية وأهلها هدفاً لسهام النزاع الداخلي الناجم عن حب الرئاسة والمحافظة على بعض امتيازات احدثها لؤم وجهل في اساتها قوم يعمون لا يدركون حقوق الانسانية وواجبات ابناء الآباء حسبما الآن وقد اشتد ساعد العوام وقدروا على مشاركة الاعيان في سائر المناصب العالية فاصبح سكان هذه المدينة العظيمة شعباً بأجمعه واحداً يعرف همة في التعاون واحراز ما يعود بالمجد والعظمة على الامة الرومانية وعرف الجميع ان التقدم بفضل الشخصي لا بشرف الآباء والاجداد فتقدموا الى الاعمال الخطيرة وولوا النواحي والاقسام بغية الاغراض

وظهر ان الرومانيين أدخلوا في هذا الزمن اصلاحاً في نظام الجندية بان جعلوا مدة الجند تدوم ما دامت الحرب ثائرة خلاف ما عادوه فلا من ان القائد المعين لادارة حرب باشرها قائد آخر يجب عليه جمع عسكر جديد كان الجيش غير مجبر على الخدمة ما دامت قيادته وعزل عن منصبه

وفي هذا الاول كانت رومية تزداد يوماً فيوماً عظمة واتساعاً لانها كانت سائرة على قدم النجاح فخضعت لها عدة مدن بقربها وانتشرت قوتها ونفوذها الخالد في تلك الاصقاع ومن عوائدها عندئذ انها اذا تركت عسكراً واتي حولها ذو عصبية ووطدت سلطتها في مدن خضعت لها تمنح سكان تلك المدن حقوقاً كالرومانيين واعتبرتهم وطنيين ليحدوا في تقديمها وارسلت فئة من فقراء العوام ليسكنوا بين الشعوب المغلوبة ويكونوا بمثابة جيش روماني يحتل تلك البلاد ويمنع اهلها من المجاهرة بالعصيان

ومما يجدر ذكره ويتهلل له وجه الانسانية سرورًا هو الامر الذي اصدره المجلس سنة ٣٢٥ ق م بمنع الدائن عن استعباد مديونه مصرحًا بان املاك المديون فقط مرهونة لوفاء دينه اما شخصه فحر الخ

وكان السمنيتيون شعبًا حاربوا رومية مرارًا بعد حروب لاوى عبرانهم كانوا يرتدون دائمًا بالذل والفشل ودامت الحال هكذا الى ان كانت سنة ٣٢٢ ق م وقد انتصر الرومانيون عليهم نصرات عظيمة وعشوا البلاد بجيوشهم الجرارة فبادروا الى طلب السلام صاغرين حرصًا على عادتهم متى مست بهم ملمات فابى الرومانيون اجابة طلبهم استكبارًا وعولوا على مداومة القتال ليذيقوهم مر العصيان والبهتان ويجعلوهم عبرة حاسمة الحروب ولما ضاق السمنيتيون ذرعًا عمد قائدهم بونتيوس الى تخليص بلاده من اعدائهم فتسنى له ما امل وقدر على حصرهم في مضيق بقرب مدينة كوديوم ويدعى من ذلك الحين شوك كوديوم وسببه ان عسكر الرومانيين ولجه آمنة لزعمها ان العدو قد رحل ولكن هذا المضيق قرب الطريق الموصلة اليه وكان بونتيوس قد اذاع خبر رحيله وهو كامن بالقرب من ذلك المكان فلما علم بتقدمهم بعد بهم حتى صاروا واحدًا في المضيق فرح واستبشر وتقدم بجنوده وحاصر الرومانيين فاذا هم في قبضته لا يستطيعون فرارًا ولو انجدوا لم اسحقهم

اما السمنيتيون فكانوا حائرين في ما يجب فعله ليجنوا ثمر هذا الفوز المبين ولما كانوا مترددين في الامر لا يستقرون على رأي استشاروا بونتيوس اباه هذا القائد وهو شيخ حصيف قد حنكته الايام فاشار باخلاء الرومانيين واطلاق سبيلهم على ان لا يعودوا الى حربهم مرة اخرى فحسب انه يجب قتلهم جميعًا وقد ظن هذا الصواب لانهم لن يعفوا الراي الاول تضعف الرومانيين ويمنعوه من اهلنة اطول وان تصرفوا حسب الراي الثاني اضعفوهم وجعلوهم عبرة

قادرين على القتال مدة مديدة الا ان بونتيوس لم يصدع بامر ابيه ولم يرضَ لمشورته الحكيمة بل عزم واهوائه على تجنبة سبيل الرومانيين بعد ان يعاملهم معاملة عدوٍ مقهور

وكان الرومانيون قد دهشوا وخافوا خوفاً شديداً حينما انظروا الى الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فارسلوا رسلاً يسألون عقد الصلح فاجابهم بونتيوس الى ذلك بشرط ان يسلموا سلاحهم ويمروا تحت النير وان يغادر الرومانيون المدن السمنيتية الساكنون فيها وانني سلموه هل البلاد فرضوا بما مركزه ومروا تحت النير على مرأى من السمنيتيين الذين ردوا مقابلهم مضايقاً بان اوسعوهم اهانة وشتماً فخرجوا من ذلك المضيق وقد ضاق بهم الفضاء وتمنوا لو تنشق الارض فاها وتبتلعهم ليتخلصوا من الفضيحة والعار واتوا بذلك من الدخول الى رومية نهاراً لئلا ينظرهم الشعب فولجوها ليلاً وانعزلوا في منازلهم واخذوا في التيه

وان جميع هذه الحوادث تحمل ابن الكتب وقلعوا عنهم ثياب الزينة ونعم عن اجرهم المستبد على عدم عقد الصلح رجعوا به زمناً طويلاً فيه درجة هذا الشعب حدر الذي لم يتحد على وجه البسيطة في حب وطنه كل لوطن فهذه فلا بد من بذل النفس والنفيس تضحية له أمثلة تعدى ان بذل تحمله من تحت نير ولكن حب الاستبداد يمكن من قلب الانسان على بصيرته وتفكر فيضحي كمحت عن حقيقة نصبه اذ قد يهيئ ان يدرك ان الانتقام كل الانتقام من ارجل كريم في الصفح عنه اذا اخطأ وفي كرامته ذاذا قدر على ذلك

ولم يسكن روع الاهلين الا بانتخاب قنصلين جديدين شهيرين بالشجاعة والبأس فاحضرا في محل في مجلس السناتو ليستخبرهم عن المعاهدة التي عقدها السمنيتيون وعن بونتيوس احد القنصلين السابقين ان المعاهدة المذكورة فاسدة لا توجب على الجمهورية شيئاً لانها عقدت بغير علمها ورضاها

ولا نستارم سوى تسليم القواد الذين وقعوها ليستلم منهم السمنيتيون شفاء غليلهم فوقع هذا الكلام عند الجميع موقعاً حسناً وصدقوا عليه ثم بادر الرومانيون الى القتال بعد ان خرجوا من المدينة بالخيل والرجل ولما قربوا من معسكر الاعداء بعثوا اليهم بالقواد المذكورين مقيدين وسيّر بجبرهم ما بووا فمثلوا بين يدي بونتيوس وجاء الرسول قائلاً حيث ان هؤلاء الرجال قد هادنوكم وعاهدوكم دون ان يكونوا ماذونين في ذلك فقد اقترفوا ذنباً عظيماً وعليه فنحن نسلمهم اليكم لتكونوا براء من خطيئة اما بوستيميوس فلكي يفي العهد ويجعل الحرب ضرورية لازمة رفس السفير وقال له انا الان سمنيتي وانت سفير روماني ولقد اعتديت عليك وخالفت الشرائع المرعية بين الامم فشهر الحرب صيانة لحرية ومجد امتك وعلى بونتيوس ان وراء الالهة ما وراءها فاجاب السفير ان رغم الرومانيين مراعاة العدل وحفظ شرفهم فليمضوا بموجب المعاهدة التي مضوها او فليرجعوا جنودهم الى مضيق كودينوم ثم اشار الى بوستيميوس وقال له أتريد ان تخدع الالهة بمكرك وهل تظهر خصومك سمنيتياً ليعدوا فعلك اهانة صادرة منا للشعب الروماني هكذا تخفر الذمم والعهود ولكن هذه الاعمال لا تليق بفضل متولي الاحكام ولا بامة عظيمة ثم امر الشرط بفك رباط الاسراء واطلاقهم

وعاد الرومانيون فاكروا فسمروا واستعدوا للقتال وقد اتى عهد ان رد القائد الروماني ان يحرض جنوده على الثبات فلم يستطع لانهم حالما أبصروا الاعداء هجموا عليهم وهم يشهرون سيوفهم هجوم الاسود على من رام خطف اشبالها وصدموهم صدمة عنيفة الى ان افضوا عليهم واعملوا فيهم السيف البتار حتى اردوا منهم عدداً عديداً

وجرى بعد ذلك بعدة ايام وقعة جرى ظهر فيها ... ويدلون ... ظهروا في الوقعة الاولى من عظمة وحب الانتقام وبعد ان كدوا ... عسكر السمنيين لوم يوقفهم الفصل ويستحي من على ... وكان عددهم سبعة الاف

رجل مروا تحت النير وفي مقدمتهم بوسبوس سبب هذا البلاء

وكان السمنيتيون قد روا اشجع امة في تلك البلاد يأنفون من الخضوع للغرباء ويفدون الحرية بالارواح فلم تكن الحروب التي حدثت كافية لاذلالهم بل ثابروا على القتال مدة تسعة واربعين عاماً وكانوا تارة ينفردون في حرب الرومانيين وتارة يتحدون مع بعض امم كانت تنهض لانتصارهم خوفاً من رومه التي امتدت سطوتها حينئذٍ على كثير من مدن تلك الانحاء غير ان الظفر كان حليفاً للوائها فداست جنودها ارض الاعداء وقتلت منهم اناساً كثيرين حتى كادت انفس السمنيتيين تزهق فارسلوا سنة ٢٩ ق م رسلاً يسألونها السلام فرضي اعس بذلك وفوض امام هذا الامر الى القنصل كوريوس الذي خرب بلادهم واستولى على مدائنهم العامرة

وكان كوريوس هذا موصوفاً بحسن السيرة فأتاه السمنيتيون ليعقدوا معه شروط الصلح فوجدوه جالساً على كرسي خشب بالقرب من النار يطبخ عدسه فقدموا له دراهم ليسترضوه ويحملوه على معاملتهم بالرفق والاحسان فنظر اليهم شزراً وقال لهم لا حاجة لي بدراهمكم فقري فرحوني ان تستميلوني بالنضار ولكن اعلموا اني اود التسلط على ذوي الاموال لا ان أكون متمولاً فخذوا ما اتيتم به واحمدوا ربكم لانكم لا تغلبون بالمال والسلاح فوجد السمنيتيون ان لا راحة لهم الا في الخضوع التام لاعدائهم فطرحوا عنهم الكبر والخيلاء ورضوا بكل ما شاء كوريوس ان يبرمه وآبوا الى ارضهم آمنين تحت ظل العلم الروماني وخضع بعد في ذلك الحين لرومية الصابيون بعد ان كانوا حاربوها زمناً طويلاً فعوملوا معاملة حسنة لصدقهم النية وحسبوا في عداد الرومانيين

الفصل الثالث

قد قويت الآن شوكة رومية وعلا مقامها بين املا فاحدقت
بها تصار مجاوريها وذهبت افكارهم الى سطوتها وعرفوا رغبتها في الحروب
وثباتها فيها ليس لها خضع من يمكنها خضاعه فهرع بعضهم اليها مستجيرًا
ليأمن بوائق الدهر وغدره وحاول بعض تخلص من ربقة سلطتها فسامته
خسفًا واذاقته عذابًا اليمًا وكان في جنوب ايطاليا مدينة عظيمة اسمها ترنتوم
قد استعمرتها فئة يونانية من عهد سحيق المشهورين [illegible] والبسالة
فحازت منذ نشأتها مالًا وفيرًا وسطوة عظيمة وبما مادت بها الزمان انغمست
في الملذات والترف فاضعفت في النفوس حب القتال وضعفت سطوتها

ونظر الترنتيون عظمة رومية وانضمام من يجاورهم اليها فاشفقوا على
انفسهم منها والقوا الفتنة بينها وبين كثير من اعدائها القدماء لا سيما
الاتروريين والغاليين السامنيين فنشب القتال واحتدمت نار الحرب
غير ان تلك المعامع انجلت عن فوز الرومانيين بخضاع الاولين وابادة
الآخرين عنادًا هم على ما جناه آباؤهم الترنتيون فكانوا جاهدين في
محافظة على الحيادة كأن لا علم لهم بما جرى

واتفق ان فالريوس احد اميري مراكب الرومانية دخل مرفأ ترنتوم
بعشر سفن وكان فيها اخذين حينئذ في اجراء الالعاب العمومية فتعصب تجاه
البحر فوهموا ان الرومانيين آتون لسعيهم للتجسس ولشن الغارة عليهم لان
المنافق الواشي لا يأمن احدًا او كيف يأمن احدًا وهو عدو للجميع فانصرفوا
الالعاب وبادروا في الحال الى مرفئهم فغرقوا سفينة وقبضوا على ربع
والجأوا الخمس الباقيات الى الفرار وعلم الرومانيون بما لحق بهم من الاهانة

فارسلوا الى ترنتوم سفراء يطلبون رضاً . ونعوّت فسخر الترنتيون منهم وردوهم خائبين فكان ذلك كما لا يخفى صعباً على الدولة

وكان الترنتيون قد تحققوا من عملهم وانتبهوا الى سوء عاقبة ما فعلوهُ ونظروا الى من يجاورهم فلم يروا احداً قادراً على مساعدتهم فاستجاروا ببيرّس ملك ابيرس وهو شجاع مثل اليونانيين وقديرٌ ولما كان مغروراً ومولعاً بالحروب والانتصار ومشتهراً ويحكي اسكندر المكدوني الكبير المعروف بذي القرنين لبّى دعوة الترنتيين واخذ في الاستعداد

وكان لهذا الملك صديق ووزير يدعى اسمهُ سيناس قد قرأ على دمستينوس الخطيب اليوناني العظيم ولزمهُ وصار خطيباً كانت له سعة بعض الادب يسحر بها ويستعمل اسلوب سحر الكلام واحكم فصيح في كل ما فوضهُ اليه مولاهُ حتى ان بيرّس كان يقول ان ما غنمه بفصاحة وتدبير سيناس لأكثر جداً مما حازه بقوة ذراعي وسيفي وحدث ان هذا الوزير قال لبيرّس ذات يوم يا مولاي من المعلوم ان الرومانيين قوم اشدّاء ويتسلطون على امم كثيرة مشهورة بشجاعتها فالذي نصنعهُ بعد ان نغلبهم

— فاجابهُ بيرّس متى غلبنا الرومانيين لا يبقى لنا منازع في تلك البلاد فنأخذ مدائنها ونستولي على اموالها

وماذا نعمل بعد ان نستولي على ايطاليا

نخضع جزيرة صقلية لاسيما لانها وان كانت كثيرة المال والسكان لا تستطيع الدفاع من جراء الفتن الاهلية التي وهنت قواها

حسن ولكن هل نقف عند هذا الحد

— كلا بل نجتاز الى افريقية وقرطجنة ونستولي على جميع ما هناك ثم نسترد مكدونيا ونخضع كل بلاد اليونان

جيد ولكن ماذا نعمل بعد ذلك

— فضحك بيرّس واجابهُ حينئذٍ نعيش عيشة راضية لانا نمضي ايامنا

بالولائم وتعاطي المدام ومنادمة الخلان

— قال له سنياس ما الذي يمنعك الآن يا مولاي من نيل هذه السعادة التي تود الحصول عليها بعد هذه الأخطار العظيمة

ان ما قاله هذا الوزير الفيلسوف لحري بان يكتب بماء الذهب وان يجعل للناس ما حيوا تبصرة وذكرى لينتبهوا الى الاسباب الحقيقية التي تحرمهم الراحة والسعادة لئلا تحملهم الاطماع على ارتكاب الاخطار وتجشم مشقات تجرعهم علقم كاس المنية في حمل الانسان ومن اغنته عن حقائق كان يحسب التعب امرا محتوما عليه فلا يبرح كاسف البال رائد البال متوسدا فراش الهموم والغموم حتى يقع في رائش الموت ويدركه الممات وكم من الاغنياء الذين لو رضوا بما يملكون لعاشوا هم ومن يلدون احقابا عديدة بالراحة والهناء ولكنهم كلما ازدادوا مالا ازدادوا طمعا وحرصا حتى يستفضوا عجلا من آجالهم فيما كانوا منه يحاذرون

ولما كان بيرس لا يلتفت لغير الحرب والغارات لم يستمع لكلام وزيره الحكيم بل عاره اذنا صماء وارسله على الفور الى ترنتوم ليمهد سبيله هناك ويشد الترنتيين بقرب وصوله اليهم ثم جمع جيشا جرارا وفي سنة ٢٧٩ ق. م وركب بهم البحر وما زالت سفنه ماخرة حتى وصلت الى ترنتوم فاحتفوا وجنوده بالعز والاكرام واخذ في الاستعداد لقتال الرومانيين فكاتب قنصلهم بما معناه من بيرس الى لافينيوس سلام قد علمت انك اتيت بجيش لمحاربة الترنتيين فاصرفه بلا مهل وتعال الي واعرض لي شكواك لاني متى سمعت دعوى الفريقين سأصدر في هذا الامر حكما يجب على كل مراعاته اذ لا يليق بي تجاهله فاجابه لافينيوس — علم يا بيرس اننا لا نرضاك حكما ولا نخشى غضبك واني لاعجب كيف تدعي ان لك الحق بالحكم لنا او علينا وانت قد اهنتنا باحتلالك هذه البلاد اما الحكم الوحيد الذي نرفع اليه الشكوى فهو المريخ ابو الرومانيين وحامي جنودهم اذا الحيل بالثبات

يوماً تعثرت

حينئذٍ نهض بيبرس بجنوده وتقدم الى نهر سيرس حيث كان الرومانيون معسكرين ونظر اليهم والى دقة ترتيبهم وحركاتهم العسكرية فالتفت الى احد اعوانه وقال له ان نظام هؤلاء الدابرة ليس غريباً كما ان العرب يدعون العجم كل من يخالفهم جنساً ومذهباً كذلك الرومانيون كانوا يطلقون اسم الدابرة على كل من لا يرضى ما حلاهم او يظهر له خلافهم فاراد اجتناب المعامع العظيمة لتطول الحرب ويتسنى له الحصول على امداد من عاصمته غير ان الرومانيين لم يمكنهم الاصطبار فعبروا النهر واندفعوا على الايبريين بشجاعة وثبات فالتقاهم هؤلاء بالخيل والرجل ونشبت الحرب واشتد القتال ولقد اظهر الملك بيبرس في تلك الملحمة تدبير قائد محنك خبير وبسالة مقاتل شهير وكان اذ ذاك لابساً لبساً احمر وسلاحاً بديعاً وصار مصفحاً لا تحصر اعداده وهدفاً لضرباتهم وقد كاد يفقد حياته ذلك النهار لان فارساً قصده بعينه دون سائر الجيش وطعنه طعنة اصابت جواده فسقط على الارض ميتاً ومات ذلك الفارس بسيوف اعوان الملك

وحارب الرومانيون في ذلك النهار حرب الابطال ولكن جميع ثبات الابطال لدى هجمات عدوهم المتتابعة حتى انهم كادوا يظفرون بعدوهم ويفتكون بهم فتكاً ذريعاً لولا الفئة التي اطلقها بيبرس والقت [illegible] في قلوبهم الرعب لانهم لم يبصروها قط ولم يعرفوا ما هي فرجعوا الى الوراء مدحورين ثم ولوا منهزمين فراراً من الموت وخوفاً من الافيال وتركوا معسكرهم غنيمة للايبريين واسر بيبرس منهم في هذه الوقعة الفاً [illegible] رجل عاملهم معاملة حسنة واعتبرهم غاية الاعتبار [illegible] يحاربون ويدخلون في خدمته

وطار خبر هذه النصرة في الآفاق وعدها الناس من خوارق العادة لانه لم يكن بيبرس مشهوراً وقد تغلب على امم كثيرة فكسار الرومانيين

وفشلهم وتركهم معسكرهم غنيمة للاعداء لان عظيم خبر هذا النصر قد حير الافكار وفتح بابًا للشماتة بالمغلوبين والذهل في ذلك نفس الامير اليوناني لا رجاله وكما روت ثقات المؤرخين مع ذلك لم يكن بيرس فرحًا بنصره لانه لما جاءه اهل الترنتيون بهنونة قال لهم نصر واحد آخر كهذا [illegible] ولم يجزع الرومانيون ولا اخلدوا من هذا الانكسار بل جمعوا جيشًا جديدًا وسلموا قيادته الى القنصل لافينوس الذي زحف به واعترض بيرس عند رجوعه الى ترنتوم فابى الملك محاربته وتكف راجعًا الى المدينة

واتى ترنتوم رسل رومانيون برئاسة فابريسيوس الفاضل الشهير شرفه وصدقه وامانته وطلبوا مقابلة الملك لتحرير شروط معاهدة تسهل الامر. فقابلهم بيرس بادئ بدء [illegible] لكف العدوان وحسب السلام فرح واستبشر [illegible] ما عم امره [illegible] فابريسيوس وقال له قد سمعت [illegible] ان رجل فاضل كريم [illegible] ودأب [illegible] مالًا وافرًا [illegible] شرف الرومانيين على وافد [illegible] لك [illegible] ذلك سوى ان تجهد في عقد الصلح وتكف القتال [illegible] في الرحيل من عندي [illegible] قبل [illegible] التعصب في قضايا [illegible] ولا تعجب من رغبتي في السلام لان لي شغلاً شاغلاً يستلزم حضوري عاجلاً الى بلادي وان [illegible] معسكري [illegible] الى لكوني ملكًا ولكون ملوك كثيرين قد نقضوا العهود [illegible] يكون كفيلي [illegible] بعد ذلك ملك [illegible] منتظرًا لي رجل فاضل [illegible] ملك كريم [illegible] حق قدرك [illegible] اظهار [illegible] اليك فلنتعاهد اذًا على [illegible] صادقة [illegible] على [illegible] والسعادة

اجابه فابريسيوس [illegible] فقير لاني لا [illegible] سوى [illegible] وقطعة ارض احرثها [illegible] واعيش من [illegible] فقري فلا [illegible]

بين مواطنيَّ الذين يقدروني حق قدري ويعتبروني من الكبراء الواجب كرمهم كيف لا وروميةلا تعتدُّ بامرء اذا لم يكن فاضلاً ونشيطاً وقد تقلدت عدة مناصب عالية وأحرزت مجداً عظيماً فاندي مخالة سبباً للاهانة هو عندما عيب التجار ولو كنت أرغب في الثروة وأحب حشد الاموال لامكني ذلك عند فتحي المدائن وقهري الابطال والجيوش ولكني لا ابالي بالتجين والتصار وارى المجد كل المجد في امام واجباتي لاكون طاهر الذيل وواسع الشهرة

واراد بيرس ان يختبر شجاعة فبرسيوس فدعاهُ الى مكان للمحادثة وامر احد رجاله ان يأتي بكبر الافيال ويطمئنهُ عليهِ حين حضوره فجاءَ وجلس فهجم الفيل عليه بغتةً ومدَّ خرطومهُ فوق رأسهِ فلم يرتعج البتة بل التفت الى الملك وقال له وهو يتبسم اني لا ابالي بدهشك ولا بأعضاء فيلك

وحدث عند لمساءاتهم فاصولج في حديث علماء الادب والفلاسفة اليونانيين فاخذ سياس يتكلم عن أبيقورس ويشرح قواعد فلسفته قائلاً ان الآلهة لا تحب ولا تبغض ولا تشفق ولا تغضب ولا تبالي بالبشر على الاطلاق لا يهمها شيء ولا يشغلها عناية بل هي منهمكة ابداً بالمسرات وعليهِ فالانشراح هو عظم نعمة يحرزها الانسان والحكيم من نبذ الحذر واعتصم بالصبر لان كل ذلك يذهب بالسعادة فحينئذٍ صرخ فابرسيوس مستنكراً وقال ايتها الآلهة فليكن هكذا نصيب عدونا حتى نتصر عليهم

واخفق مسعى الملك في اقناع فابرسيوس ان يتوسط له الصلح فارسل وزيرهُ سياس الى رومية ليخابر مجلس الشيوخ بذلك واصحبه بالتحف الثمينة لكبراء ولما كان سياس كي نقدم المقال طلق اللسان سيءَ مكنهُ استرضاء كثير من الاشراف وكاد يقرر سياس الصلح لولا بيوس الشيخ الذي على رغم اسقامه ووهن قوته اتى دار الندوة محمولاً على كرسي وخطب خطبة مبنأً اعرب فيه عن يجب فقط مندهب حديث وصية لشرف الرومانيين وكان خطابه هذا وقع

عظيم في قلوب الحاضرين فاجمعوا جميعاً على رد الوزير اليوناني وعدم اجابة
سؤله بقولهم اننا لا نحارب بيرس نصح ولا نعاهده نعهد طالما هو محتل
ايطاليا ولكننا نبذل الجهد في مقاومة حربه وهو منتصر على الف قائد
مثل لفينوس فغادر سنياس في ذلك النهار رومية ورجع الى ترنتوم فقيل
ان بيرس سأله عند رجوعه كيف رأيت مدينة الرومانيين ومجلسهم فاجابه
ان رومية ظهرت لي هيكلاً ومجلسها كمؤتمر ملوك

وفي سنة ٢٧٧ ق م كان فابريسيوس قنصلاً وقائداً للجيوش فارسل
اليه رئيس اطباء بيرس كتاباً يعرض فيه رغبته في سم الملك لانهاء الحرب
وراحة العباد من شره اذا كان الرومانيون يجيزونه على ذلك فتعجب
من دناءة ورداءة هذا الطبيب لهذا الشيء وكتب في الحال الى الامير
اليوناني ما يأتي من فابريسيوس واميليوس القنصلين الى الملك بيرس سلام
قد احصيت انها لملك في شدة صدوقيتك وعدلك لانك متى قرأت
الكتاب المرسل الينا من احد عونك تعلم انك تبذل الشدة ما... وصيين
وتأمن رجالاً طغاماً خائنين وانا قد بادرنا الى اعلامك بهذا الخطب لك
لا رغبة في صيانتك او بعرف بذلك ولكن فراراً من قول قائل انا
سنتصع قهرك عن عمد الى الخبث والخيانة حكى بعضهم ان بيرس حين
سمع ذلك قال ان تغيير سير الشمس لاسهل من فساد اخلاق
فابريسيوس الشهم العادل

وكان السمنيتيون قد خضعوا من مدة سبع سنين وكانوا قد اعلنوا الاحزان
وسلطة الغريب وطلبوا الى بيرس ان يأتي بلادهم ليعينهم على طردهم منها
فلبى بيرس دعوة القوم واقبل بهم يحوطهم بعسكره وابطاله وقاتل
الفرنجيين قتالاً لا يبقي ولا يذر فاجاءه ان يرتد بجيوشه فراراً من بطشه
وتأسوا لاحلافه خوفهم لزمان عهد ان يستفتوا فرس هند ومصر
مجرء الاهبين من ... مرة لم يستمولوا منه ومولوا حدود وطنهم ويفتون

احرارًا دعا كلٌّ منها بعضًا من الغرباء لانجادهم فاسرع اليهم القرطجنيون بجنودهم وعملوا معهم على تكديره وتنكيده وحدث في ذلك الوقت ان الترنتيين ومحالفيهم نالوا من حرب الرومانيين بعد رحيل الامير اليوناني في ضيق لحاق فارسلوا اليه رسلاً يسألونه امدادًا فحضر اليهم على جناح السرعة لانهُ أصبح في سيسيليا محفوفًا بالعناء والاخطار . حكى المؤرخون انهُ قال عند تركهِ الجزيرة من اعظم هذا المكان ادع معركة ساحة لقتال الرومانيين والقرطجنيين

واحيا پيرس بقدومهِ روح الشجاعة في قلوب الترنتيين فخرجوا الى القتال وخرجوا معهُ بسكر والكدح وكان الرومانيون قد اقاموا قنصلاً كوريوس الشهير في الزهد والبسالة وسلموا اليه قيادة جنود فالتقى الجيشان بالقرب من مدينة بينفنتوم فنشبت الحرب وكانت مهولة وبلوح ان الرومانيين قد اعتادوا منظر الافيال فلم ترعبهم البتة بل كانوا يقطعون خراطيمها بسيوفهم او يرمونها بسهام مشتعلة فكانت تفر مذعورة وترتد الى الوراء فتدوس الابيريين ولم يستطع پيرس الثبات في ذلك النهار امام عدائه بل ولى هاربًا وترك معسكرهُ غنيمة للرومانيين وبعد ان أقام بضعة ايام في ترنتوم غادرها ورحل سنة ٢٧٤ ق . م الى ابيرس ولما كان هذا الملك لا يرتاح الى السلام ولا يعرف راحة بغير الحروب والانتصاب بادر سنة ٢٧٠ ق . م الى محاصرة ارغوس في بلاد اليونان وكاد يستولي عليها لو لم يخر صريعًا بحجر رمتهُ به احدى النساء من سطح بيتها

واخضع الرومانيون ترنتوم سنة ٢٧١ ق . م وحاربوا الامم الباقية التي حاربت پيرس او جاهرت بالعدوان فذللوها واستولوا على مدائنها وهكذا امتدت سلطتهم على شعوب ايطاليا كافة واصبحت رومية ام المدائن حقيقة وعاصمة تلك البلاد

الباب الرابع

من ابتداء الحرب القرطجنية الاولى سنة ٢٦٤ الى انتهاء الحرب الثانية سنة ٢٠١ ق.م

او

من سنة ٤٨٩ الى سنة ٥٥٣ ب.ر

توطئة

ان ما فاه به بيرس عند رجوعه من سيسيليا سيتم قريبًا لان هذه الجزيرة ستصبح عن قليل ساحة لقتال الرومانيين والقرطجنيين وستحدث فيها حروب مهولة وشهيرة في تاريخ الانسان. اما الامير الابيري فلم يقل ما قاله وحيًا والهامًا ولكنه رأى هاتين الامتين آخذتين في افتتاح المدائن والبلدان بسرعة عظيمة وتتقاربان كل سنة اكثر فاكثر فلم يعسر عليه الحزم انهما ستتعاديان ولما كان موقنًا ان الرومانيين سيخضعون ايطاليا قبل ان يتسنى للقرطجنيين الاستيلاء على سيسيليا علم ان الجزيرة المذكورة ستكون داعيًا الى النزاع وشبوب نار حرب لا تخمد الا باذلال احد الفريقين. وانما نذكر فيما يأتي من الكلام سبب هذه الفتنة الكبرى الناتج بلا ريب عن انقسام الحزبين وتضعضع احوالهم مع الالماع الى تاريخ عدوة رومية فكاهة للقرّاء وتتمة للفائدة فنقول ان اغاثوكلس ملك سيركوزا استأجر ايام ملكه عددًا عديدًا من الكامبيين الذين دُعوا مامرتينيين واستخدمهم عساكر واعوانًا له ولما مات هذا الامير لم يحفل السيركوزيون بالمامرتينيين المذكورين بل

سالموهم حيناً فرحل هؤلاء الى مسينا وحلوا فيها ضيوفاً مكرمين الا انهم خانوا الاهلين فذبحوا قسماً منهم وطردوا الباقين واستولوا على املاكهم ونسائهم وحينما اتى بيرس ايطاليا وخشي سكان ريجيوم خوفاً منه واشفقوا على انفسهم من القرطجنيين مضوا الى مجلس رومية ان يمدهم بالجنود فارسل اليهم المجلس حينئذ جمهوراً من كامبانيا فمشى هؤلاء الكامبانيون بادئ بدء على سنن العدل والانصاف ضمن اوامر قوادهم غير انهم لم يلبثوا زمناً طويلاً حتى فسدت اخلاقهم لكثرة ملاهي المدينة ووفرة اسباب النعم والترف فابطرتهم النعمة وعاملوا سكان ريجيوم بمساواة ردية كما عامل اخوانهم المامرتينيون اهالي مسينا

ولم يقدر الرومانيون حينئذ ان يناصبوا هذه الفئة العاصية الطاغية حرباً لها على ما جنته من سوء الفعال وشر المساوئ. لاشتغالهم بحرب بيرس وحلفائه فلما خلا لهم الجو ورحل بيرس من البلاد مدحوراً ارسلوا كتيبة الى ريجيوم وحاصروها واستولوا عليها عنوة وقبضوا مَنْ بقيَ من اولئك العصاة وقادوا الذين بقوا الى رومية مكبلين بالسلاسل وبعد ان جلدوهم جلداً عنيفاً ادمى منهم الابدان ضربوا اعناقهم وارجعوا سكان ريجيوم الاولين الى وطنهم وردوا عليهم عقاراتهم وما فقدوه

واغار هيرون ملك سيراكوزا بعد ستة اعوام على المامرتينيين فدافعهم حرباً تشيب الاطفال فوقعوا منهزمين الى مدينتهم مذعورين وباتوا بها حائرين في امرهم لا يدرون ما يفعلون فاستصرخ بعضهم القرطجنيين وسلم اليهم القلعة وارسل بعضهم سراً الى رومية يطلب نجدة فنظر الرومانيون الى هذا الامر نظرة عادل حكيم لانهم عرفوا ما دون اسعاف هؤلاء الطغام من الاهانة والعار كيف لا وهم الاولى قد اماتوا عساكرهم الكامبانيين الذين تعدوا على اهل ريجيوم شر ميتة وجعلوهم عبرة للبشر ليتادب الطاغي ويعدل القوم الظالمون لكنهم راوا القرطجنيين قد تمكنوا

قسماً كبيراً مخصباً من افريقية واستولوا على جزء من اسبانيا وفتحوا سردينيا وجزر ايطاليا وامتدت سلطتهم على مدن كثيرة في سيسيليا فعلموا علم اليقين انهم ان لم يبادروا الى قتالهم يملكوا قريباً مسينيا وسيراكوزا وسائر مدن هذه الجزيرة العظيمة فتصبح ايطاليا وسكانها في خطر عظيم منهم فقرر المجلس ارسال الجيش لمحاربتهم وسلم قيادته الى القنصل ابيوس قبل ان ابيوس هذا لكي يتجسس احوال الاعداء ويكون على بصيرة في قتالهم ذهب الى مسينيا وحده وتولى قيادة الجيش المامرتيني وحارب القرطجنيين وكرهم على تسليم القلعة ثم رجع الى ايطاليا واخذ في الاستعداد لتجهيز جنوده الى سيسيليا كما سياتي بيان ذلك في الفصل الاول من هذا الباب

قرطجنة

قال المؤرخون ان اليسا الاميرة الصورية المعروفة بديدو تزوجت خالها او عمها اسرباس المشهور وقتئذ بالثروة في تلك البلاد وكان اخوها بيجماليون ملك صور طمعاً بخيلاً فقتل اسرباس ليستولي على امواله الوافرة اما ديدو فتمكنت من ذلك بل جمعت تلك الاموال ورحلت مع كثيرين من اصدقائها وتابعيها الى ساحل افريقيا بين تونس وانيكا الآن (بوشاطر) واشترت قطعة ارض من الوطنيين وبنت فيها دسكرة دعتها بيرسا سكنت هي ومن معها ثم بنت بعد ذلك مدينة قرطجنة المدعوة قرطادو باللسان الفينيقي اي المدينة الجديدة وكان القرطجنيون الاولون يحبون السلام ولا يميلون لغير التجارة وجمع الاموال وكانوا يقدمون الوطنيين كل سنة مقداراً معلوماً من الدراهم كجزية او اجرة الاراضي التي اخذوها منهم الا انه لما قويت شوكتهم وكثر مالهم ابوا من ذلك ورفضوا

دفع الجزية المفروضة عليهم فحاربوا الوطنيين واخضعوا كثيرين منهم ثم سرت فيهم روح الافتتاح ومحبة الفتوحات فاستولوا على الجزر القريبة منهم وفتحوا مالطة وغيرها وارسلوا من مدنهم أقواماً يستعمرون سواحل افريقية من اعمدة هركيلس (بوغاز جبل طارق) الى جون سيرتس الكبير (في اراضي طرابلس الغرب) وما زالوا ناجحين في اعمالهم آمنين حتى دهمهم الرومانيون في سيسيليا ونشبت الحرب الفونيقية الاولى التي أضرم نارها الحسد والطمع

الفصل الاول

وعلم القرطجنيون باستيلاء اعدائهم على قلعة مسينا فغضبوا وهاجوا هيجاناً عظيماً وامروا في الحال بصلب القائد وارسال جيوش جديدة واسطول منيع ليحاصروا مسينا براً وبحراً وحالفهم في ذلك الحين هيرون ملك سيراكوز وزحف بجنوده لمساعدتهم ومحاربة المامرتينيين لشدة بغضه واحقاده من هذه الفئة العاتية الطاغية

وأتى في ذلك أبيوس القائد الروماني بعساكره ونزل مدينة رجيوم ليعبر منها الى مسينا ويستقر لاجلها غير انه رأى دون ذلك خرط القتاد كيف لا وسفن القرطجنيين قائمة بالمرصاد لترقب حركاته وتمنعه يومي ركب البحر واصبح في قبضتهم لانهم كانوا ملوك البحار لا يغلبون ولا يجارون في ميدانها فارتد الى الوراء ثم رجع الى رومية فاغتر القرطجنيون بجيشهم واستندوا على ذلك لكن تربص أبيوس قليلاً حتى اذا كانت ليلة حالكة الاديم ركب ومن معه السفن التي أعدها لهم الترنتيون وغيرهم واجتازوا مسينا آمنين

ولم ترع أبيوس كثرة عدد الاعداء ووفرة عددهم بل خرج بجنوده وقاتل أبرون ملك سيركورا فكسره وبدد شمل عسكره وجمع الاسلاب ورجع الى المدينة عائداً ظافراً وكان برون قد فطن لى ركته واشتطط بمساعدته القرطجنيين على امن بلاده وبهدده بذلك لم يسل احضاعه واذلال السيسليين كافة فارتد الى مدينته واقام فيها صابراً ليرى ما يكون

ونشط أبيوس بعد هذه النصرة في بكر والكشح فتقدم حالاً الى معسكر القرطجنيين ودهمهم بغتة فتك بهم فتكاً ذريعاً والجأهم الى اسوارهم ثم جال في البلاد وغزا مدنها واتى سيركورا والقى عليها الحصار وامتد الرومانيون اذ ذاك جنودهم في سيسيليا بفرق جديدة فعززت شوكتهم وزادت قوتهم هناك فتحت لهم مدن كثيرة ابوابها وسلمت اليهم حصونها رغبة في محالفتهم ورأى أبرون ان محالفة الرومانيين اجدى له نفعاً من محالفة القرطجنيين فحاربهم في ذلك وعاهدهم عهداً صادقاً لم يحل عنه حتى الممات وكان هذا الملك محباً لرعاياه ورغداً في سعيهم فعاش محبوباً ومكرماً من الجميع

وجرت بعد ذلك بين القرطجنيين والرومانيين عدة مواقع لا سيما بالقرب من مدينة أكرجنتوم حيث كان القرطجنيون متحصنين وكان الظفر خاضعاً للواء الامة الرومانية فانتصرت على عدوتها واستولت سنة ٢٦١ ق م على مدينة اكرجنتوم المذكورة فاذلت اهلها وسلبتهم ثروتهم

ولما كانت قرطجنة سلطانة البحار لم يمكن الرومانيين الاستيلاء على جميع سيسيليا لان مدنها البحرية ابت الخضوع لهم خوفاً من اعدائهم القرطجنيين وعلمت رومية انه لا سبيل لها الى الامر الا انشاء سفن حربية تحاكي عدوتها وتمنع هجماتها على شواطئها متى سنحت لها الفرصة ولكن انى لها ذلك وهي لا تعرف من تلك الفنون الدقيقة شيئاً

وحدث ان سفينة قرطجنية صغيرة قذفتها الامواج الى البر فاخذها

الرومانيون مثالاً لبناء سفنهم الحربية واقبلوا على العمل بحذاقة وثبات ونشاط فابحروا في مدى شهرين مائة وعشرين سفينة التي وان تكن بطيئة الحركة في سيرها لجهل او عدم خبرة صانعيها فهي تشهد بذكاء هذه الامة وعلو مداركها وتظهر لنا جليًّا ما للاجتهاد والثبات من المنفعة في اعمال البشر

ولما كان الرومانيون لا يمكنهم مجاراة اعدائهم بمراكبهم هذه استنبطوا آلة دعوها الغراب وهي اشبه بجسر ملوية في سفن القرطجنيين ويمرون عليه ليكافحوهم ويبارزوهم في مراكبهم كأنهم وهم فوق لجج البحار حاصلون بساح الحرب في سهل عظيم ولقد افادهم هذا الاستنباط فوق ما كانوا يأملون لان القرطجنيين لم يبالوا بهم ولم يعلموا [illegible] فهجموا عليهم سنة ٢٥٩ ق . م باحتقار وبلا ترتيب فبادر اليهم الرومانيون بآلاتهم وامسكوهم بها كي لا يمكنهم الفرار ثم انقضوا عليهم انقضاض الصواعق فقتلوا منهم عدداً عديداً واستولوا على بعض سفنهم واغرقوا بعضاً ولم يفلت من ايديهم سوى نزر رأى العبرة في غيره فاعتبر وولى هارباً فراراً من الموت الزؤام اما دويليوس امير المراكب الرومانية فاحتفل بنصرته هذه بحفلة لم يرَ قط مثلها في الاعصر السالفة ومع حقوقه وحاز [illegible] قط قائد قبلاً واقيم له في الفوروم تذكاراً لعمود رخامي ابيض نقش عليه صورة مقدَّم سفينة وكتابات اخرى فكان كل ذلك دليلاً بيّناً على سرورهم العظيم بانتصارهم بكراً مأمولاً واستولوا بعد هذا على جزيرتي كورسيكا وسردينيا وقهروا القرطجنيين في عدة مواقع بحرية وكان النصر تابعاً سفنهم حيثما ذهبوا واينما حلوا

وفي سنة ٢٥٥ ق . م كان رغولس احد القنصلين قائداً للجيوش البرية والبحرية فبعد ان نصر مراراً على القرطجنيين أمر بالذهاب الى محاربتهم في بلادهم فبين القنصل لمشيخة هذا الامر تكدر جداً وكتب الى المجلس يقول ان عبده وكيل مزارعه قد هرب من قطعة ارضه

الصغيرة الى أخرى بقطعة بسبب [illegible] الزراعة واسلحة وغير محصورة
واحب ليبصر في أمر [illegible] وولاده فقرر المجلس حينئذ تعويضه
من خسره والاعتناء بارضيه وتقدم [illegible] اللازمة [illegible] من الحربية
[illegible] وذهب الى البلاد الافريقية فاستولى على مدن
كثيرة منها وكسر جيوش القرطجنيين بالقرب من مدينة قادس ثم زحف الى
تونس وملكها واحد بعد [illegible]

روي ان رغولس [illegible] البلاد الافريقية [illegible] وعسكر على
ضفاف نهر باغرداس [illegible] الذي يصب في البحر بالقرب من
قرطجنة [illegible] وعشرة [illegible] ارتحال عند مجيئهم
الى النهر [illegible] جدا حتى [illegible] السهام
لم يكن يؤثر فيه [illegible] وشرعوا في محاربته كأنهم يحاصرون
[illegible] بعضهم في الكلام
عنه وحكى [illegible] عظيم
جدا [illegible]
[illegible] في وصفه [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] وطلب [illegible] دركات الصفة
[illegible] على [illegible] و [illegible]
[illegible]
[illegible] في ساحة [illegible]
[illegible] بعد الاتحاد

[illegible] القرطجنيون في ذلك الاوان [illegible] من [illegible] وكان
[illegible] رجلا خبيرا [illegible] حربية [illegible]

نظاماً جديداً وخرج بهم فبطشوا بجيوش الرومانيين بطش الصائل وكان
رغولس قد احتقر الاعداء فلم يكترث لهم وشن عليهم رجاله مسرعاً كساعٍ
لادراك المفاخر والمنى فكسر امامهم ووقع أسيراً في يدهم وقتل القرطجنيون
في ذلك النهار من جنوده عدداً عديداً فسقوط رغولس يعلمنا الاتضاع
ووجوب الاحتراس أن نحتج من غدر الدهر وصروف الزمان لئلا تذهب
بنا الصلف الى حيث لا نرغب ويحق للقرطجنيين بظهور صحة ما قاله احد
الحكماء ان رجلاً عاقلاً يفضل من جهالٍ كثيرين وان من لم يعتبر بغيره و
يحترس من الدهر يصبح كواقف على شفا جرفٍ هارٍ ويكون سقوطه لا
محالة قريباً

ومضت سنوات لم يحدث فيها سوى وقعتين مهمتين نال الرومانيين
في كلتيهما النصر احداهما وقعة بحرية حدثت سنة ٢٥٦ ق م بالقرب من
راس مركوري الآن رأس الدار اخذ فيها القرطجنيون مئة واربع عشرة
سفينة والاخرى حدثت سنة ٢٤٩ ق م في ضواحي بنورمس الآن بالرمو
قتل فيها قسم عظيم من جنود القرطجنيين وأُسر منهم بضع رجال
كثيرون فعادت بذلك روح الشجاعة والحمية الى صدور الرومانيين
وعولوا على تجهيز جيوش جديدة لانهاء حرب دموية قد شب سعيرها من
زمان طويل

وفي سنة ٢٤٩ ق م ارسل القرطجنيون الى رومية رغولس ليتوسط لهم
للصلح ومبادلة الاسرى وحلفوهُ يميناً ان يعود الى قرطجنة اذا اخفق مسعاهُ
لدى المجلس الروماني واصحبوهُ سفراء ليبلغوا هذه الرسالة ويكونوا شهوداً
على صدق مخابرته ولما وصلوا الى رومية ابى رغولس ان يدخل اليها قائلاً
انهُ خسر حقوقهُ الوطنية بكونهِ عبداً لدولة اجنبية وانهُ لا يحق له ان يخالف قوانين
وعوائد بلاده فاجتمع المجلس على موجهة الغرباء خارج الاسوار وجاءت
اليه امرأتهُ واولادهُ ليشاهدوهُ فلم يحفل بهم ولم ينظر اليهم بل أطرق اطرق

مستحقٍ من عبوديتهِ وغير اهل للاكرام فاجتمع الآباء خارج المدينة وامروا
الرسل بعرض حاجتهم ثم تذكروا مليًّا وسألوا رغولس عن رأيهِ في هذا
الامر فاجابهم ايها الآباء اني عبد قرطجنة قد ارسلني مواليَّ لاخابركم بشان
الصلح او مبادلة الاسراء فالحَّ عليهِ مجلس بان يقول بحرية ما يرتئيه فاجابهم
أيها الرومانيون اني موقن بيأسكم من هذه الحرب التي تحتملون لاجلها مشقات
عظيمة فاعتصموا بالثبات لان الثبات واجب لدى النوازل الجلى واعلموا
ان القرطجنيين في ضيق عظيم اذ شتان بين حالكم وحالتهم فالنصر كان في
الغالب معقودًا بلوائكم وجيوشكم ستنتهب ما خلا مدينتين منها في ملك لكم
وسفنكم العديدة تمخر البحار وتبث الرعب في قلوب من عاداكم وان امركم مطاع
حيثما تملكون وحلفاؤكم يتبارون في خدمتكم متفاخرين اما قرطجنة فقد بدد
مالها ولا بأس حلفاؤها كثيرًا وان نظرتم الى جيوشكم ترونها مؤلفة من
رجال امة واحدة تربطها عرى المحبة والوطنية اما جيوش قرطجنة فمؤلفة من
رجال غرباء قد تجندوا طمعًا في المال وليس عندهم ولاء فلكم الثقة في مهادنة
اعدائنا ولا ارى مبادلتهم الاسراء رأيًا سديدًا لانهُ يوجد عندكم في الاسر
ثلثة عشر قائدًا منّا قادرون على محاربتكم متى سنحت الفرصة اما هم فهم
باسرهم قائد غيري وانا الآن قد شخت فلا انا ملوم مني نفعٌ والاسراء
القرطجنيون الباقون لاكثر جدًّا من اسرانا فهم بادلتموهم تكونون من
الخاسرين

فقرر المجلس ما ارتآهُ هذا الشهم الشجاع ورد رسل القرطجنيين خائبين
الا انهُ سمح لرغولس ان يبقى في رومية اذا اراد لان يمينهُ فاسدة لكونهِ اكره
على حلفها اما هو فلم يبالِ او بالحري لم يرد ان يبالي بتوسلات اصدقائهِ
وتحيب امرأتهِ واولاده بل رجع الى قرطجنة غير جاهل العذاب المعدّ له
هناك وهكذا آثر هذا البطل العظيم ان يتجرع الموت الزؤام على ان يحنث
بيمينهِ ولما وصل الى قرطجنة وعلم القرطجنيون بما قال وفعل في رومية حكموا

عبيد بعد بات تقشعر منها الابدان ثم اماتوه صبراً

واهاج موت رغولس دواعي البغض والشحناء في قلوب الرومانيين فبادروا على القرطجنيين في حربه العربية من سيسيليا حرباً عواناً دامت تسعة اعوام قهروا فيها مراراً الا انهم انتصروا اخيراً على اعدائهم واستولوا على مدينة ليليبوم (الان مارسالا) وهي احصن مدينة في تلك البلاد وحصلوا نصهم الحربية سنة ٢٤١ ق م بالقرب من جزر اغاتس وكرهوهم على طلب السلام فعقد الصلح سنة ٢٤١ ق م وبناء عليه تكون مدة الحرب القرطجنية الاولى اربعاً وعشرين سنة اما الشروط التي اتفقت عليها الامتان فهي هذه

اولاً يجب على القرطجنيين ان يخلوا كل بلاد سيسيليا والجزر المجاورة لها

ثانياً يلزمهم تسليم الاسراء الرومانيين بلا فداء

ثالثاً يدفعون للرومانيين بمدى عشر سنوات ثلثة آلاف ربة فضة

رابعاً لا يمكنهم محاربة ملك ايرون ولا احداً من حلفاء رومية ولا يمكن الرومانيين ايضاً الاعتداء على حلفاء قرطجنة

خامساً لا يمكن احد الفريقين المتعاهدين بناء حصن في اراضي الآخر ولا تجهيز عسكر من البلاد الخاضعة له

سادساً لا يمكن احداً منهم ايضاً ان يتحد مع حلفاء الآخر

وجعلت جزيرة سيسيليا ما عدا سيراكوز ولاية رومانية اي انه يحكمها والٍ روماني يعين في كل سنة وتكون خاضعة لقوانين وشرائع رومية وأرسل اليها خازن لجباية المكوس التي فرضت على الاهلين وكانت هذه المكوس على نوعين اما مقررة وهي مقدار معين من الدراهم يدفعونه للحربية كل عام نظير جزية وغير مقررة وهي عشور الغلال والرسوم المأخوذة على البضائع الصادرة والواردة

الفصل الثاني

ان بخل وطمع القرطجنيين الذين اعتادوا تحصيل الدراهم على كل شيء في العالم أثارا عليهم فتنة كبرى وحرباً عواناً ذاقوا من هولها عذاب السعير وذلك انهم رفضوا تأدية اجرة الجنود التي استأجروها لمحاربة الرومانيين وبالحري ارادوا تخفيض تلك الاجرة غير عابئين بما دون ذلك خطر التناد لانه كيف يمكن رجالاً غرباء قد قدموا على سفك دمائهم للانتصار لهم رغبة في المال ينصرفون عنهم بسلام اذا لم ينقدوا اجرتهم المعينة بالتمام وأي انسان عاقل يستعمل صرف جنود قد خاطرت بحياتها في خدمته ولا يعطيها مكافأة على تلك الخدمات او من يا ترى يستطيع ان يهضم حقوق قوم لا يمكنه قتالهم ولقد ارتكب القرطجنيون في هذا الامر غلطاً فادحاً بان سمحوا لاولئك الغرباء بالاجتماع خارج المدينة وبارسال اولادهم ونسائهم اليهم لانه كان أجدر بهم ان يفرقوهم ليضعفوهم وان يقبضوا على اولادهم ونسائهم كرهائن لاكراههم على الطاعة والانقياد لاوامرهم وان تكن طائلة

ولما رأى هؤلاء الغرباء ما آل امرهم اليه هجموا على المدينة وحاربوها ونهض مساعدتهم النوميديون سكان جزائر العرب الذين ثاروا وقتئذ في طلب الحرية فدامت الحرب ثلث سنوات واربعة اشهر ولم تنته الا على يد أميلكار القائد القرطجني الذي احاط بالاعداء احاطة الاسورة بالمعاصم فمنع القوت والامداد من الوصول اليهم فمات بعضهم جوعاً وبعضهم قتلاً وأسر الباقون وصلبوا ودعيت هذه الحرب الحرب غير المغتفرة لسبب الفظائع التي جرت والقساوة البربرية التي أظهرها الفريقان المتحاربان

ويلوح ان الرومانيين لم يفرحوا بضيق اهالي قرطجنة من جراء هذه

السنة ولم يسعوا في زيادة ضعف هذه المدينة الشهيرة ليعلو مجراها صرح
مجدهم بل حافظوا على شروط المعاهدة وساعدوها مرارًا كاصدقاء وحلو
سبيل رجالها الذين اسروهم في الحرب الصقلية وسمحوا لتجار الرومانيين
ان يمدوها بما يعوزها وقطعوا صلاتهم الحبية والتجارية مع اعدائها وحدث
ان شعب اتيكا الذي في شاطئ افريقية عصى القرطجيين وطلب تسليم المدينة الى
الرومانيين فرفض هؤلاء الاستيلاء عليها وكان العسكر المستأجرون في
جزيرة سردينيا قد ثاروا على الحكومة المحسنة وارادوا ان يملكوها الرومانيين
فابوا ذلك مراعاة للمعاهدة وخوفًا من الخيانة على انا اذا تأملنا في اعمال
الرومانيين بعد هذه الحادثة نرى وراء ما اظهروه من الصداقة حكمة
واطماعًا لانهم نظروا الى قرطجنة نظرة عاقل بصير وعلموا ان هذه الدولة
العظيمة متوقف نجاحها وخرابها على قائدها أملكار البرقا الذي لو سقط
في ايدي العصاة لاصبحت بلاده في موقف حرج والجأتها الاحوال الى
الخضوع لرومية فرارًا من شر تجربها المصائب فمن ثم قبلوا ان يكونوا
ويكسبوا محبة القرطجيين بالعطف والاحسان اليهم الا انه لما انتهى القتال
وخرجت قرطجنة منه ظافرة وعمدت الى استرجاع سردينيا راحت رومية
رفع الصداقة وارسلت احد قناصلها للاستيلاء على الجزيرة المذكورة وحاربت
القرطجيين [illegible] بهم حتى في ... بعد ... فدية ... رغبت فيه
وتركت عدوها حافظة عليه ابدًا ولم تنصرف عنها الا بعد ان حدث منهم
الف ومائتين ربة فضة فمن ان ذلك كان من اعظم الاسباب التي اثارت
حرب القرطجنية الثانية وولدت في قلب هنيبال بغض الرومانيين ورغبة
في الانتقام منهم

وكان ملك البلاد الالبرية الواقعة الى الجهة الغربية من مقدونية
وبه قاصرًا فوضت مقاليد الاحكام بالنيابة عنه وكانت هذه امرأة غبية
جاهلة فلم تصرف همها في تحسين ادارة مملكتها بل جهدت في تعليم شعبها

السرقة وكانت مراكبها تجول في البحر لتعتدي على المسافرين وتنهب ما يمكنها
نهبه وغتاظ الرومانيون من هذه الافعال وارسلوا اليها سفيرين ينبئانها
بتأديب القرصان ومنع رعاياها عن حرفة تلك الاعمال فالملكة فاجابتهم
انها ستبذل ما في وسعها لاجتناب الاضرار التي تلحق الرومانيين ولكنها لا
تستطيع ان تحظر على قومها الجولان في البحار للكسب وطلب المعاش فقال
لها احد السفيرين ان الرومانيين قد عادوا الانتقام من اية امة كانت
لذنب يقترفه بعض رجالها وسيمكنهم بحول الله ان يؤدبوا المعتدين وان
يصلحوا هذا الخلل فحنقت الملكة من كلامه وامرت بقتل الرسولين عند
رجوعهما الى الاوطان ولما سمع رومية خبر قتلهما هاج الشعب هيجةً عظيمة
وجهز الخمس مائتي سفينة حربية وعشرين الف جندي لمحاربة الايليريين
وخرب السواحل الليرية فسار القنصلان بالمراكب والجيش واحتلا مدينة
كورسيرة اسمها بولونيا وهي مفتاح البلاد الايلرية من جهة مكدونية ثم تقدما
وافتتحا عدة مدن اخرى بعد ما قبضا على القرصان واذلّا المعتدين سنة ٢٢٨
ق م وابرما صلحاً مع الملكة بشروط منها ان تنقد الرومانيين جزية
معلومة في كل سنة وان تسلم اليهم كل البلاد ما خلا بعض مدن تبقى للملك
القاصر الذي اقيم وصياً عليه ابن دمتريوس من جزيرة فاروس في بحر
الادرياتيك

وكانت رومية مهتمة بعد ذلك في محاربة الغاليين كما سنعرف فظن
دمتريوس ان الاوان قد آن لجمع شمل هذه الامة وتوسيع نطاق المملكة
فنقض العهود واعتدى على حلفاء الرومانيين وجهز سفناً ارسلها لغزو
جزائر الارخبيل وحصر مدينة [illegible] في [illegible] وجمع جنوداً عديدة [illegible]
حربية فاروس لمحاربته القنصلان سيبيو واميليوس سنة ٢١٩ ق م واستوليا
على ديماليوم بعد حصار سبعة ايام ثم تقدما الى فاروس وفتحاها [illegible]
لها جميع البلاد الا [illegible] يصبحا الى [illegible] جمهور بدشفقة على ذلك

النصر لان ما حدث اولاً وثانياً كان ناتجاً عن اطماع وجهل وصيبيو

وقبل انتهاء حرب الاسرة الاولى سنة ٢٣٦ اخذ الغاليون القاطنون ما نحو من نهر بو يتقدمون الى اراضي الجمهورية فجزع الرومانيون من هؤلاء الاقوام الذين خربوا بلادهم سابقاً وكادوا يجعلونهم في عداد الامم البائدة وكان الشعب برغم ذلك يخشى ان الغاليين واليونانيين سيستولون يوماً على رومية كما انبأت بذلك السحرة فعمد الكهنة الى السوء ثم دفن رجل وامرأة غاليين ورجل وامرأة يونانيين احياء في شوارع المدينة ففعل الجمهور هذا الفعل البربري الشنيع واعتقدوا ان الغاليين واليونانيين قد استحقوا هذا الامر حقيقة حتى رومية كما اشارت كتب المشعوذين فنجت من السوء الذي كان يخشاه وبنسبة ضرر الشر فلا ريب ان جهل ذلك العصر [illegible] بالانسان يستعبده لسلطان الخرافات ويقوده بسلاسل الاوهام

وحصر القتال سنة ٢٢٥ ق م عسكر [illegible] من الرومانيين والامم الخاضعة لهم وقيدت محاربة الغاليين فهزموهم عند رأس تلامون على بعد ثلاثة ايام من رومية فنشب القتال وكان هؤلاء من جنود الرومانية فسيطرت خيرة على اعدائهم بسبب تقدمهم بفن وسلاحهم الماضي وقتل منهم اربعين الف رجل واستولى الرومانيون على جميع البلاد الواقعة الى جهة الغربية من بو ثم عبروا هذا النهر واخذوا مدينة ميلان قاعدة الانسوبريين سنة ٢٢٢ و [illegible] وفي سنة ٢٢٢ ق م عقب انفصال [illegible] حمل الانسوبريين [illegible] جمهورية على جميع بقية [illegible]

الفصل الثالث

في الحرب القرطجنية الثانية

او حرب انيبال

قد مرّت الآن على قرطجنة مدة ثلاث وعشرين عاماً بعد خضوعها لاحكام الجمهورية الرومانية وتوقيعها على اثر الحرب الاولى معاهدة سلبت حقوقها واذلتها بين الملا فاورثها ذلك حقداً لا ترى له سوى الانتقام وولد في نفسها داء لا دواء له الا سفك دم عدوتها [illegible] ونقويض صرح مجدها الشاهق وكان [illegible] قد ندم اميلكار [illegible] يود دوام الحرب ليخوض عجاج القتال ويشرب كاس الموت [illegible] غير انه حال دون بغيته احوال الجأته الى الاذعان [illegible] من [illegible] وخضع لاحكام الغالبين وعاد الى وطنه لاهجاً باخذ الثار [illegible] وعلم ان هذا الامر لا يتم الا [illegible] فسعى في الاستيلاء على اسبانيا وهي بلاد كثيرة المعادن ومخصبة جداً ففتح قسماً منها و[illegible] جيوش يمكنها [illegible] الانتصار في ساحات الحرب [illegible] ومن يدلنا على بغض اميلكار الشديد للرومانيين وارتياحه للانتقام منهم هو انه قبل ذهابه الى اسبانيا [illegible] وحلف مع ابنه انيبال الذي كان عمره وقتئذ تسع سنوات وقال له [illegible] قرطجنة في هذه [illegible] لو لم [illegible] جداً وصعد [illegible] فوق المذبح ووضع يده عليه وحلف ان يبغض الرومانيين ويجهد في [illegible] الثار ما دام حياً

ومات اميلكار باسبانيا سنة ٢٢٩ ق م وخلفه في قيادة الجيش [illegible]سدربال

امور المراكب الحربية فمدّ هذا القائد الحكيم سلطة القرطجنيين في تلك البلاد وبنى مدينة قرطجنة الجديدة التي جعلها لسبب مركزها الحصين محلاً لادخار السلاح والمهمات الحربية ومحطاً للجيوش الصادرة من افريقيا الواردة اليها

وهيّج تقدم القائد اسدروبال في صدور الرومانيين عوامل الخوف والحسد الا انهم لم يبدوا حركة لاشتغالهم بمقاتلة الغاليين فارسلوا اليه سفراء يتهددونه ليحملوه على عقد عهدة معهم يحصرون بها جيوش العدو على الشعوب القاطنة وراء الابيرس الى نهر الابيرو وما ذلك الا بسبب يتذرعون به لمقاتلة القرطجنيين فيما بعد لان رفض اسدروبال اجابة طلبهم او اجابته طلبهم ونقضه العهد يكون عذراً كافياً لنشوب نار حرب عظيمة ولم يكن اسدروبال اقل عداوة لهم من هملكار ومكنه رأى بعد الحدود التي عينوها من تجديد قوى جنوده وتمكن من توطيد سلطته هناك على ان هذه العهدة قد شهرت اسم الرومانيين في ذلك القطر ومهدت لهم سبل نكاية اعدائهم لان الاسبانيين علموا بها ان الجمهورية الافريقية التي تحاربهم حرباً عواناً مستولية على بلادهم تخشى قوة وبأس شعب آخر قد ذاع فخاره فعضهم به وسعى في مخالفتهم وفي سنة ٢٢١ ق م قتل اسدروبال رجل غاليّ فخلفه في الرئاسة وقيادة الجيش انيبال بن املكار البطل الشهير

ولما استتب الامر لانيبال واصبح الآمر الناهي تقدم لمحاربة الاولكديين فظفر بهم ثم جمع الاسلاب وسار الى مدينة قرطجنة الجديدة حيث صرف فصل الشتاء في المدرسات الحربية وتدريب الجنود والانعام عليهم وراحة الجميع واراد كل القتال تحت رايته والخضوع لاوامره طاعة عمياء ولو ذاقه ذلك خضوع عدا لي وجرعة كأس الحمام ولم يزل انيبال معولاً عالماً حتى اخضع كل البلاد الواقعة وراء نهر ايبرو وهمّ بالاعتداء على

بعض الشعوب المحالفة لرومية كسغونتيين الساكنين في الجهة الجنوبية من النهر فارسل اليه الرومانيون سفراء يذكرونه بالمعاهدة حتى رفعه الى ان لا يقتل احداً من حلفائهم ويعبر النهر فلم يكترث لسؤالهم ولم يبال بتهديداتهم واجابهم قائلاً ان الفتنة التي حدثت قبلاً في سغونتوم اشعلها الرومانيون ويضاف الى قوله بعض الرواة انه طلب ورسالة عينه انه يريد ان ينتصر للمظلومين ويعاقب الظالمين ثم صرف السفراء فدخلوا الى قرطجنة ولم يغوروا من محسبه بعد ذلك

وكان أنيبال باذلاً جهده في الاستيلاء على سغونتوم لان خضوع هذه المدينة له يضعف امل الرومانيين بالنجاح في محاربة القرطجنيين بالديار الاسبانية ويزيد خوف سكان تلك البلاد منه فيأمن شرهم ويستطيع مداومة الحرب وشن الغارات غير مبال باحد فهدم حصونها وحاصرها ثمانية اشهر وفتحها عنوة وقتل اهلها بحد السيف وترك العبيد والامتعة التي فيها غنيمة لعسكره اما الاموال والاثاث الثمينة فجمعها واتخذها عدة لحوادث الدهر

ولما بلغ رومية خبر خراب هذه المدينة العظيمة هاج الشعب وعزم عزماً شديداً واحداً في الاستعداد للقتال كان الحرب على الابواب فجهز القنصل سمبرونيوس عشرين الف راجل والفين ومائة فارس وعول على الذهاب الى سيسيليا ومنها الى افريقية لمحاربة اعداء الرومانيين في بلادهم وجهز القنصل كورنيليوس سيبيو اربعة عشر الف رجل والفا وستمائة فارس وأمر بالتقدم الى حدود اسبانيا ليحارب أنيبال ويمنعه من الدخول الى ايطاليا

ولما نكر على الرومانيين خوفهم من هذه الحرب كما يدل على ذلك استعدادهم وتجهيزاتهم لان القرطجنيين قد قويت شوكتهم بعد الذل والقتل وحازوا نصرات كثيرة وفتحوا مدناً عديدة وزادت جيوشهم بجند الاسبانيين

الشجعان ولكن للجمهورية الرومانية فقد كسب انيبال خير نصر وكسب اثقال
وغنم بالسوق غنيمة وأخذ صور على معظم عصب لا يبالي بالاهوال
والمات قد بث في ساحات الوغى وشهد مصرع نشب الابطال فشب
بطلاً مغواراً وفارساً جسوراً لا يجري في مضمار النصر والفخار وكان
جيوشه مثالاً للشجاعة والانقياد فحسب نصر معقوداً لواءه وتقدمها فتقدم
على القتال بوجه طلق وقلب لا يعرف الجزع ويعود منه بنور واسى

وقيل ان مجلس الرومانيين بعد ان ارسلوا سفراء الى قرطجنة يسالون
حكومتها تسليم انيبال وأعوانه اليهم وامروهم باشهار الحرب ان ابى القرطجنيون
جانبهم الى مطلوبهم فلما وصلوا الى مجلس حكومة الجمهورية الافريقية وعرضوا
لمجلس ... وطلبهم وانكروا عليهم تلك الحقوق
فرفع فابيوس رئيس السفارة ... ها قد ... على هذا الثوب
بالسلام والنصر فاختاروا ... جميعاً اننا بما نختار
راضون فقال ... الحرب فكونوا لها مستعدين

وذهب السفراء بعد ذلك الى اسبانيا ليخبروا امراء الولايات الواقعة
في جهة الشمالية من نهر الابرو ... بان لا يساعدوا القرطجنيين
فعاهدوا بعضاً منهم ... كيف يمكننا محالفتكم وقد
رأينا ما حل باساغونتس ... ما جرى هم
سيكون لا محالة ... ولا يعرفوا
... وان ... وسالوا رؤساءهم
الا يدعوا القرطجنيين يمرون في بلادهم ... فضحكوا ... واسهم
واسعروا الامة كيف يدعون ... وساحة القتال ليصونوا
بلاداً ليس لهم ... وما زال السفراء ... ينتقلون من مكان الى
آخر وهم لا ينالون سوى ... حتى وصلوا مرسيليا وعلموا هناك
ان انيبال قد جاءته العيون ... فرجعوا حينئذ الى

رومية مرودين بهذه الاخبار المكدرة

وكان أنيبال في هذه الاثناء مشتغلاً باصلاح احوال البلاد وتدبير ما يلزم ليسال فورن مسيراً على العدى فسمح بعساكره الاسبانية ان تذهب الى منازلها وتقضي فصل الشتاء بالمسرة والسرور وان ترجع اليه في ابتداء الربيع وارسل الى افريقية لحمايتها جنوداً اسبانية واحضر الى اسبانيا جنوداً افريقية لاستتباب السلام فيها ومنع الاهلين من العصيان واقام اخاه اسدربال قائداً لهذه الجيوش وولاه مدة غيابه

وفي ابتداء الربيع من سنة ٢١١ ق م جمع أنيبال جيوشاً جرارة وزحف بهم من قرطجنة الجديدة الى نهر الايبرس فعبره واخضع بعد معامع كثيرة لشعوب الساكنة بين النهر وجبال البرينيه ثم اجتاز هذه الجبال ودخل غاليا فزاد بعض الغاليين مقاومته فصادفهم بالهدايا والاموال وما زال سائراً بسلام وأمن حتى وصل الى ضفاف نهر الرون فابتاع من سكان الضفة الغربية قوارب عديدة لنقل المهمات والجنود ثم اهالي الجهة الاخرى تجمعوا واستعدوا لمنعه من دخول بلادهم فصرف ثلثة ايام في محاربتهم ومنعهم ليصادفوه غير ان اجتهاده في هذا الامر ذهب ادراج الرياح فارسل حنو احد قواده سراً بفرقة من العساكر وامره ان يعبر النهر من مكان لا يراه فيه الغاليون ففعل وهجم على خيام الاعداء وحرقها وانتصر هولاء فخطر الخبط بهم من كل جانب فولوا منهزمين الى قرام والعساكر

ولما بلغ الرومانيين ان أنيبال قد عبر نهر الايبرس ركب القنصل كورنيليوس سيبيو البحر واحتل مع جنوده مدينة مرسيليا فاخبر هناك ان القائد القرطجني قد عبر جبال البرينيه وزحف قاصداً الى مصب الرون واقام ينتظر اعداءه في تلك الناحية وارسل ثلثمائة فارس ليتجسسوا الاخبار فلقيت هذه السرية خمسمائة فارس نوميدي بعث بهم انيبال ليستطلعوا احوال

العدى فنشبت الحرب بين الفريقين وكانت عواناً وانتصر الرومانيون في ذلك النهار وكسروا اعداءهم ولحقوا بهم الى معسكرهم فرأوا رأي العين ما كانوا راغبين في معرفته ورجعوا الى القنصل واخبروه بكل ما نظروا وسمعوا

وحينما وصل المنهزمون الى انيبال واعلموه ما حدث امر هذا القائد جنوده بالرحيل حالاً لانه لم يرد مقاتلة الرومانيين خارج اسبانيا فمشى شمالاً ووصل بعد مسير اربعة ايام الى ارض اسمها الجزيرة لان نهر الرون ونهراً آخر يتصلان فيه ويحيطان بها من جهتين ويجعلانها شبه وادي النيل ولا فرق بينهما الا ان هذه يحدها من الجهة الثالثة جبال شامخة وحدود تلك البحر . ووجد انيبال هناك اخوين يتنازعان الملك فاسعف احدهما ومكنه على البلاد ولا يخفى ما في عمله هذا من الحكمة والدهاء لان الملك العالي الجديد شكره على احسانه اليه وقدم له زاداً وسلاحاً وثياباً ورافقه برجاله الى المكان الذي اراد ان يرقى جبال الالب منه

أما ما كان من سيبيو القائد الروماني فحين رجوعه الى مرسيليا وعلمه بالمكان الذي عسكر فيه القرطجنيون أنزل عساكره من السفن واسرع لملاقاتهم غير انه لم يصل الى هناك الا بعد رحيل انيبال ورجاله بثلاثة ايام فعاد الى مركبه وامر اخاه نيبوس بالذهاب مع قسم عظيم من الجنود الى ارض الحرب في الديار الاسبانية وقفل هو راجعاً الى ايطاليا ومرّ في بلاد اتروريا ليقاتل الاعداء عند سفح جبال الالب

وابصر الجبليون القرطجنيين يرتقون الهضاب فتجمعوا في الاماكن العالية الوعرة واستعدوا لملاقاتهم بالسيوف والرماح ورميهم عن بعد بالسهام والحجارة فتنبه انيبال وتربص قليلاً يرى ما يكون فخبره الادلاء العارفون ان هؤلاء الاقوام لا يبيتون في مراكزهم عند بلوغ دروبهم ليلاً ويذهبون الى مدينة قريبة فخرج القرطجني ولاحت له اوجه منى وبعد دهم الظلام نهض بفرقة من الجنود واسرع بالصعود الى قمم تلك الجبال وتحصن فيها آمناً وبعد

الصباح عاد اولئك البرابرة حرباً على عدوهم فحصروا معسكراً ومناهـ[illegible]
لكفاح فدهموا [illegible] حصين ليشكوا [illegible] الذين كانوا وقتئذ
[illegible] فحملوا عليهم كالنسر [illegible] وقتلوا منهم [illegible] كثيرين لان
جيشهم كانت [illegible] وخرجت [illegible] تصادفة في المهاوي التي
على جانب الطريق وبعد ذلك [illegible] على [illegible] انقضاض
الصواعق وقتلت [illegible] [illegible] منهم [illegible]
من الموت [illegible] ثم [illegible] واستولى [illegible] عنوة واستغرب الخيول
والبهائم التي [illegible] واحد حصة [illegible] بكثير حسنة يومين او ثلثة

وما زال الفرنسيس [illegible] بين [illegible] كم [illegible] ايام الى
[illegible] وصلوا الى [illegible] على [illegible] [illegible] ونوم
[illegible] الرسوم [illegible] [illegible] خوكم [illegible]
وحينئذ [illegible] الامر [illegible] كلامهم واحد منهم [illegible] ليتودوا
[illegible] في تلك [illegible] الغمرة [illegible] وتلك الا[illegible] حتى وصلوا
في واد عميق تكسبه الصخور والشعب [illegible] على العسكر
[illegible] واختطوا [illegible] الاسود [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] الاعداء ومكن [illegible]
من الصور وبعد بضعة ايام وصل الى [illegible] الاسد ومكث [illegible] يومين
لاراحة الجنود [illegible] ثم [illegible] الى [illegible]
في هذه الاقطار [illegible] واسعة واخضر [illegible] [illegible]
[illegible] الاعداء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] سوار [illegible] [illegible] بعد [illegible] واحدة و
[illegible] على [illegible] [illegible] ومن [illegible]

وبعد اتعاب كثيرة واخطار مهولة قدر الفرنسيس على النزول من
تلك الجبال الى السهول المجاورة لبلاد سوريا وكان عدد جيوش ابطال

جيش عرمرم الرومان ثمانية وثلثين الف راجل وثمانية آلاف فارس ما خلا العابيين وغيرهم الذين حاربوهُ وشمطوا لاعانتهِ انتقاماً من اهل رومية

وذاع امر دخول انيبال البلاد الايطالية بسرعة عجيبة كان ذلك الخبر المخيف قد نقل الى الرومانيين على اجنحة الرياح العواصف او على متن البروق خواطف فوقعوا دهش حائرين ولقد استعظموا هذا الخطب وخافوا ان يستفحلوا فارسلوا على الفور رسلاً يدعون القنصل سمبرونيوس الى العود حالاً من جزيرة سيسيليا عسى هذا القائد دعوة الداعين واقبل مسرعاً لحماية وطنه وانقاذه من ايدي اعدائهِ الباسلين

وكان القنصل سيبيو قد رجع من مرسيليا كما ذكرنا لقتال القرطجنيين بانيبال من جبال الالب اذا جاوزوها وارادوا الدخول الى البلاد الايطالية فالتقى بهم بالقرب من نهر تيسينوس (الآن تيسينو وهو نهر يصب في البو الى الغرب من مدينة بافيا في لومبارديا) وقبل انتشاب القتال اخذ كل قائد يشجع جيشه بالكلام واعصب الحماسية ويستنهض همة بذكر حروبه ونصراته السابقة فقال انيبال وعد عساكره ان يعطي كلاً منهم اموالاً واراضي في افريقيا واسبانيا وايطاليا واخذ حجراً وحروفه ورفع عينيه الى السماء وقال نحو سير العظيم وسائر الآلهة فتشوني كما قتل هذا الخروف ان لم اوف ما وعدت ثم شج رأس الخروف بالحجر الذي بيده فتحمست رجاله وتشمروا للكر والكفاح

وحدث ان سيبيو بعض فرسانه وبعض جنده يجول في تلك الاطراف ويستطلع احوال الاعداء فصادفه انيبال الذي خرج مثل هذه الغاية فحمت حينئذ الاسبال على الابطال واشتد القتال واظهر القائد الروماني في هذه المعمعة من الشجاعة والتدبير ما يشهد له بالمروءة والذكاء غير انه جرح جرحاً بليغاً فسقط على الارض وكاد يقضي لسبيله لولا ابنه الشجاع الذي بادر اليه وخلصه من براثن الموت ولم يستطع الرومانيون الثبات لدى

الاعداء انهم في ذلك النهار بل ولوا منهزمين يطلبون النجاة

ورحل سيبيوس ذلك المكان تحت جنح الظلام فعبر نهر البو واتى وعسكر بالقرب من مدينة بلاشنزيا (الان بيانشنزا) وعلم ذلك القرطجنيون فتعقبوه وارادوا قتاله فاحسب القائد انه افضل ما يمكن واسرع بالذهاب الى نهر تريبيا والتحصن وراءه منتظراً وصول رفيقه سمبرونيوس ومعالجة جراحه لينشط ويستطيع خوض غمار الحرب ومنازلة الفرسان واتى هنيبال وعسكر تجاه الرومانيين على بعد خمسة اميال منهم فبادر الغاليون لاعانته وتقديم ما يحتاج اليه من السلاح والقوت

ووصل في هذه الحين سمبرونيوس وجنوده الى نهر تريبيا واخذوا في الاستعداد للكر والكفاح فاحيوا بقدومهم روح الشجاعة والاقدام في قلوب اصحابهم المعسكرين هناك وكان سمبرونيوس حديد الطبع مغروراً فاراد قتال الاعداء حالاً فنهاه سيبيوس عن ذلك وان يصرف همه في تمرين جنوده وتعليمهم [illegible] فلم يسمع هذا القائد كلام رفيقه وهجم على جيش القرطجنيين واشتبك [illegible] مشؤومة هلك فيها من عساكره [illegible] فنهض برجاله ولجأ الى مدينة بلاشنزيا

وسمعت الرومانيين هذه الاخبار بكدر وقد هشوا وزاد خوفهم من هنيبال وامر مجلس في الحال بجمع جنود جديدة من الوطنيين والحلفاء وارسل عساكر الى سيسيليا وسردينيا وترنتوم لحمايتها من غارة القرطجنيين وبعث بقوت ومهمات الى بلاد [illegible] وامر بتجهيز ستين سفينة حربية كبيرة لحماية سواحل الايطالية ومنع الاعداء من الهجوم على البلاد بحراً [illegible]

[illegible] جنود الرومانية في اسبانيا فكانت منصورة [illegible] عظيماً لانها استظهرت على [illegible] القرطجني واخضعت اكثر الشعوب الواقعة بين

نهر ايبرس وجبال البيرينه

واحضر أبطال الاسرة الذين جدهم من الام محالفة الرومانيين وقال لهم انه آت ليضع حداً لتجاربهم لك بسعيهم على استرجاع حريتهم واستقلالهم القديم وحرضهم ان ينتصروا له ويجعلوا لذلك مواضيعهم وصدورهم بلا فداء ثم زحف بجنوده واجتاز جبال الابنين ودخل بلاد تروريا من طريق رديئة جداً بين لوسول ومستنقعات ومر ذلك العسكر واهلك بعض منهم لكثرة الرطوبة والاتعاب وطول السهد حتى ان انيبال ذاته فقد احدى عينيه

وكان فلامينيوس القنصل الذي نخبه الرومانيون سنة ٢١٦ ق م اكثر من سمبرونيوس جهلاً وجهلاً وغير محنك [illegible] انيبال الذي علم طبع ومعرفة حصنه فاراد ان يقوده الى مكان يسهل فيه على الفرنجيين الانتصار فزحف بعساكره واخذ يخرب حقول [illegible] وربما فهم ذلك فلامينيوس وعقد مجلساً حربياً لانه رام [illegible] ان يبقى في معسكره الى حين وصول رفيقه وان يرسل شرذمة فقط تمنع الاعداء من اتلاف الغلال وتخريب الحقول فخرج من مجلس [illegible] عصونه وامر جنوده بالرحيل [illegible] الفرسان من [illegible] وحشوا [illegible] الضبس واعجل وكان انيبال مشى الى رومية على جانب بحيرة ترازيميوس الان لاغو دي بروجيا حيث يلحقه ان القنصل متأثره في واد يمتد من بحيرة لمتاريبها الى هضبة وعرة تكتنفها الروابي والاكام فرتب جيوشه على هذه الحال واقام كميناً ينتظر الرومانيين فاتى القنصل [illegible] في [illegible] ودخل الوادي وكانت ضبابة كثيفة منتشرة في ذلك الوقت تلك الارجاء فلم يبصر الرومانيون العدو الا بعد ان [illegible] هجموا عليهم من كل جهة هجمة الاسد الرئبال وقتلوا منهم خمسة عشر الفاً من جملتهم القنصل فلامينيوس وسقط كثيرون في البحيرة وماتوا غرقاً ولم ينج من ذلك الجيش الجرار سوى سته آلاف رجل خرقوا صفوف الفرنجيين ورجعوا الى

قمة رابية وانصروا منها لما انقشعت السحب والضباب اصحابهم مجدلين على الصحصحان رزقاً لوحوش الفلا وطيور السماء. وتصرم ابسال فارسل اليهم احد قواده ليحاربهم فتسلطوا به وتبعوه وهم مكبلون بالسلاسل والقيود

وعم الشعب الرومي ما اصاب القنصل والجنود فهرع الى الفوروم يسأل الحكام عن حقيقة الامر فنهض احد القضاة واجابهم بهذه الكلمات فقد غلبنا في معمعة عصيبة ولقد زاد هذا المصاب مصاباً خبر انهم ان القنصل سرفيليوس جمع بالقدم فلامينيوس على محاربة ابسال فقدمهُ باربعة آلاف فارس وصلوا بعد نهاية المعمعة التي مرَّ ذكرها فارسل القائد القرطجي اليهم بال احد قواده فحاربهم فقتل منهم البعض واسر الباقين

ورأى المجلس ضرورة اقامة رئيس ذي سلطة مطلقة وحيث ان القنصل وحده له حق تعيين دكتاتور وكان غير حاضر وقتئذٍ عاد فدعا الشعب فابيوس ماكسيموس حاكماً مطلقاً ودعاهُ بروديكتاتوراً وكان فابيوس هذا رجلاً هادئاً متأنياً في جميع الامور فاصلح حصون المدينة وهدم الجسور وارسل يأمر سكان البلاد التي نظر ابسال عبورها ان يحرقوا منازلهم ويتلفوا ثمار اراضيهم ويلجأوا الى الاماكن الحصينة ثم جمع جيشاً جديداً وضم اليه جنود القنصل سرفيليوس الذي بعثه الى اوستيا ليجهز سفناً ويتولى قيادة المراكب الحربية وحراسة السواحل الايطالية من القرطجيين ومشى فابيوس بعد ذلك لملاقاة ابسال وكان لا يقدم على عمل قبل الاختبار والتروي ولا يسلك طريقاً قبل فحصه ومعرفة ما يحوي

وما زال ابسال سائراً في البلاد يخرب ما يراه ويقتل من يصادفه من الرومانيين حتى لقي فابيوس في ابوليا معسكراً على رابية بالقرب من مدينة أبئي فزحف اليه يدعوه الى القتال فلم يبد البروديكتاتور حراكاً وبقي في معسكره غير مبال بكلام القائد القرطجي الذي فعل من ذلك المكان يشتم الرومانيين وينعتهم بالجبن والخمول وكان فابيوس يتابع القرطجيين عن بعد ويرسل

اليهم شردمة توقع بهم متى سنحت الفرصة ولا يجيء من هذه الطريقة
وحدها لاهلاك ابطال قرطاجنة لانهم في ارض غريبة يعوزهم بها كل شيء
واذا مات احدهم لا يمكنهم تعويضه بسهولة لبعد الاوطان وانقطاع الصلات

وبعد ان عبر القرطجنيون سامنيوم رجعوا الى كامبانيا الان ترّا دي
لافورو وهي بلاد خصيبة جدًا عن نظيرها في الدنيا فدخلوها وعسكروا
عند نهر فولتورنوس الان نهر فولتورنو فدهش فابيوس من جسارتهم ورأى
واحل رسمة نحوهم وبصر الرومانيون اعداءهم يجمعون الغلال والاثمار في
تلك الحقول الخصبة فحنقوا وضجروا من صبر رئيسهم ونعوه عن القتال وطلبوا
فعلة هذا ناتج عن ضعف وجبانة فقال له بعضهم بعث قيس هذا المكان
لنشاهد اموال حلفائنا تنهب وتسلب ولعلك ترى ان الارض لا تصلح لذلك فوددت
ان تضرب خيامك في نحو سحب السحاب اجابهم فابيوس اني لا اخشى
عارًا في عمل مؤول الى صيانة بلادي وان الانسان الذي يخاف عذل
الجاهلين ويخضع لاهواء مرؤسيه هو دون منزلتهم فلا يليق ان يتسلط على الناس
وبقي هذا القائد الحكيم متبع مسلك ذوي الحذر غير مبال بمن جبنه ولوم الشعب

ولما قرب فصل الشتاء اراد هنيبال الخروج من كامبانيا من مضيق
لا يبعد عن كسيكولا حيث كان الرومانيون معسكرين فارسل فابيوس اربعة
آلاف رجل يحرسون المضيق وفرقة في مدينة كاسيلينوم الواقعة على ضفة
نهر فولتورنوس واقام هو مع الجنود الباقية على قمة قريبة فاصبح القرطجنيون
كأنهم محصورون فلجأ هنيبال الى الحيلة وربط بقرون ثيران حزمًا يابسة وفي الليل
أطلق الثيران بالقرب من المضيق وامر الرعاة ان يشعلوا الحطب
ويسوقوا هذه البهائم ما امكن الى قمة الرابية ومع الرعاة فرقة من الفرسان
ونظر الرومانيون المحتلون المضيق الانوار وسمعوا لجبة فظنوا ان القرطجنيين
قد اجتازوا الجبل من تلك الناحية فتركوا مراكزهم بسرعة وذهبوا كما زعموا
لقتالهم ولما دنوا من الثيران وابصروها هائجة وقرونها مشتعلة ذهلوا وخافوا

خوفٌ شديدٌ مما فابيوس فعم ان هذه حيلة او شرك نصبهُ له الاعداء فبقي في مركزه صابرًا ليرى ما يكون وفي اثناء ذلك عبر انيبال وجيوشهُ المضيق وخرج من كامبانيا سالمًا

وحدث ان الشعب الروماني تكدر من سلوك فابيوس وحذره وطبعهُ الخائف فعين رفيقًا لهُ رجلاً اسمهُ مينيسيوس كان لا يفتر عن الطعن عليهِ والتحقير من حكمهِ وتأنيهِ ويتملق الدهماء لاحلامهم في المشارب والمطاعم فعمد الى قسم الجيش ليتولى كلٌّ منهما نصفهُ ولم يلبث مينيسيوس زمنًا طويلاً حتى نازل القرطجنيين آملاً نيل الظفر واحراز الفخار فاستدرجهُ انيبال بجنوده وفرسانه وكسرهُ كسرةً مشؤومةً وكاد يفنيهِ وجنودهُ كاسَ الهلاك لولا فابيوس الذي اسرع كالبرق لاغاثتهِ فجمع عساكرهُ المتشتتة واقبل على القرطجنيين فالجأهم الى الرجوع حتى ان انيبال قال لاعوانهِ في ذلك الحين ألم اقل لكم ان هذه السحابة الحائمة فوق رؤوس الجبال ستسقط يومًا وابلاً سهلاً

وجمع مينيسيوس جنودهُ بعد ذلك واعلن لهم خطاءهُ وقال انهُ من الواجب عليَّ وعليكم ان نطيع فابيوس بكل ما يأمرنا ثم قدمهم الى حضرة الدكتاتور وصرح لهُ بما يخالج ضميرهُ من حسيات الشكر لهُ والثناء عليهِ واستعفى من منصبهِ فسدهُ فابيوس بالبشاشة والاكرام وسرت الجنود جداً حتى ان كل واحد كان يقبل رفيقهُ من شدة الفرح

وفي سنة ٢١٥ جهز مجلس الروماني جنودًا وفرسانًا واقام اميليوس وترنتيوس قنصلين اللذين اسرعا لملاقاة انيبال بالقرب من قرية كانّة في ابوليا وكان القنصل اميليوس رجلاً عاقلاً وحصيفًا قد اشتهر في الحروب التي اديرها بالبلاد الايبرية فجمع العسكر وحرضهم على الشجاعة والثبات في القتال معلنًا ان فوز الاعداء بالوقائع الماضية كان ناتجًا عن اسباب جديرة بالاعتبار اهمها عدم ترتيب الجنود الرومانية كما يجب وجعلها قوة وبطش قائد شهير

كابسال وان الذين حاربوهُ في وقعة تريبيا كان التعب قد اعياهم فلم يستطيعوا الكفاح وان في معمعة ترزيميوس قد حال بين الرومانيين والقرطجنيين ضباب كثيف فلم ينظروا العدو احدقط بهم بل كانوا كل باحث عن حتفه بطلبو الى ان قال قد تغيرت تلك الاحوال واصبحنا عالمين بسوء وخداع عدونا الالد واني لاعجب انها لمحمود كيف امكنا الانتصار عليه بالوقائع الصغيرة وبأس من النجاح والصبر اذا كانت الحرب واسعة المجال يخوض غماحيها جميع الفرسان والابطال واني يخاف جيوش العدى ونحن اكثر منهم عددا ونعلم علم اليقين ان صيانة بلادنا وشرفنا متوقف على الثوم فلنصبر على الاهوال ولنبادر الى القرطجنيين بقلب ثابت لا يعرف الجزع

وكان الفريقان معسكرين في فلاة واسعة الاطراف يمكن فرسان أنيبال الافريقيين الجولان بها وهولاء الفرسان كانوا حاذقين جدا بركوب الخيل وشهيرين في الازمنة القديمة بالشجاعة والفروسية مشهورين العرب العرباء في الكر والكفاح ولا غرو فانهم نظيرهم يسكنون البوادي والقفار ويعتادون وهم صغار الفراسة وشن الغارات وعرف اميليوس صعوبة مركزه وما لديه من الاخطار فاراد ان يخرج من تلك البطاح قبل ان تفاجئه خيل انيبال وتوقع بعساكره اما فرو الذي كان موليا قيادة الجيش في ذلك النهار فلم يصغ الى آراء رفيقه الحكيم بل زحف لقتال القرطجنيين وعاد بالخسارة والفشل وحدث بعد ذلك انه كان موليا بعد قيادة الجيوش وغرر بخداع أنيبال ونازله في مركز رديء جدا لان الشمس كانت تجاه الرومانيين وكانت الرياح عاصفة تهب في وجوههم فتعمي بصرهم بالغبار على انهم قاتلوا قتال من سيموت وسولوا ثبات من لا يخاف الحمام ولم يبق منهم سوى اربعمائة فارس وثلاثة آلاف رجل تشتتوا في البلاد واسر القرطجنيون الفي فارس وثمانية آلاف راجل وقتلوا الباقين الذين يبلغ عددهم كما قيل

نحو سبعين الف رجل اما خسارة انيبال فكانت اربعة الاف غالي واسباني
والف وخمسمائة افريقي ومائتي فارس

ترى هل ذل الشعب الروماني بعد هذه الوقعة العظيمه وقبل سيادة
القرطجنيين ام انه بات خائفاً لان ذلك الجيش العرمرم الجرار الذي
خرّ صريعاً في الحرب قائده الاحمق الغرور قد هد منه الاركان ولكنه لم يفقده
تلك الحماسة والشجاعة التي ما انفك يظهرها امام الاعداء فيهم لدى حلول
الرزايا واقبل لذلك على تحصين [illegible] واتخذ الوسائل الواقية بهمة ونشاط
فلما ان نحو خسارته وحكمته ما عن يوم الذل وبعد فكان به مؤسس
ومصلح احدى الممالك العظيمة التي قل قد [illegible] ما لبثنا كيف
[illegible] وعلى كل حال ان ما حدث كان [illegible] العوام فضل
فابيوس [illegible] الذي قدر ان يعرف دهاء انيبال [illegible] النور والنجاح
من غير ان [illegible] مساله تمكن يجتنى فيه خطر

واقدم الرومانيون في ذلك عين [illegible] بوسوس [illegible] لمصطح [illegible]
ويكون وسيلة لاجتماع كلمة الشعب [illegible] لجميع [illegible] تجدد بعزة وحميه
[illegible] اخبار الحكومة [illegible] مرهما من [illegible]

ورحل انيبال بعد انتصاره [illegible] بلاد [illegible] وقسم هناك
جيشه الى قسمين ولى [illegible] قسم منه [illegible] ومشى هو [illegible] الى مدينة
[illegible] لسوف [illegible] على [illegible] على [illegible]
[illegible] خرج [illegible] واي [illegible]
[illegible] وسبب هذا الامر [illegible] يا [illegible]
المجلس [illegible] اولاد جمهور [illegible] في [illegible] وان
كانوا [illegible] مراً [illegible] سعى الحاكم في تسليم المدينة
الى انيبال وجمع لذلك اعضاء المجلس [illegible] وقال لهم قد [illegible] الشعب
[illegible] ان يجمع لانيبال بعد ان يفتك جميعاً [illegible] وطلبوا اليه بالحاح

ان يشفق عليهم ويتقدم من هذا البلاء ويعدم بذلك وذهب وجمع قومه واخبرهم ان اعضاء المجلس في قبضة يده الآن وانه يمكنه ان يسلمهم اليهم ليعملوا بهم ما يشاؤون جزاء لهم على محاربتهم الرومانيين ثم قال لهم انه لما كان لكل مجتمع بشري عوائد وامور اوجدتها الضرورة واثبتها الزمان كان من الواجب ان ارادوا الفتك بهؤلاء ان ينتخبوا اعضاء آخرين يخلفونهم في الرئاسة وتدبير الاحوال فرضي الشعب بترك القدم على قدميه وعفا عن اولئك التعساء الاولى لا ذنب عليهم سوى صدقهم في خدمة الوطن ومصادقتهم لاهل رومية فعلموا علم اليقين ان لا راحة لهم ولا نجاح الا بسلوكهم هذا المسلك

اما الآن وقد ضم الحكم مطلق السلطة لخضوع الشعب والمجلس له جاهر انيبال وجاهته ثم فتح له ابواب المدينة فدخلها القرطجني بالعز والاكرام ومنح الاهلين الحرية والاستقلال

وفي ذلك الاوان بعث أنيبال اخاهُ ماغو الى قرطجنة ليخبر مجلسها بنصراته العظيمة على الشعب الروماني الذي ذاعت حروبه ام الارضين وخفقت اعلام مجده فوق الروابي والبحار ويطلب اليه ان يمده بالرجال والمال فعهد المجلس الى اعدائه ولحسدهم يقدم على الامر بسرعة ونشاط كما كان واجبًا عليه ان يفعل

وكان ماهربال احد قواد الجيش القرطجني نصح لانيبال ان يزحف حالاً الى رومية فابى هذا ان يستمع واجابه ذلك القائد انت تستطيع الانتصار ولكنك تجهل طرق الانتفاع منه واحق يقال ان انيبال لو زحف حالاً الى رومية بعد وقعة كانه لاستولى عليها عنوة واخضع شعبها او جعله في عداد الامم البائدة

وصرف انيبال فصل الشتاء في كابوا والمدائن الاخرى التي حارته واحد وجودهُ في ارتشاف كؤوس الصفو والانشراح كأن نصراته المتتابعة

واعملة العصبية قد تعبت فاراد الاستراحة في سن الطفر فكان ذلك داعياً الى فوز الرومانيين الذين جدوا في الاستعداد لمحاربة عسكر قد دلوا المحدث فنسوا شجاعتهم التي كسبتهم فخراً تخلده صحف التاريخ ويبقى مثالاً يقتدي به فرسان الارض واصع

وكان الترشيون يعصون الرومانيين ويرغبون في التخلص من ربقة الخضوع لهم فحاربوا سيبيون مدينة لينو شرط ان يكونوا احراراً لا يدفعون جزية ولا يجند... فنجح سيبيون فرضي اسبال بما طلبوا ودخل المدينة بجيشه وفي قسم من العسكر الرومانية اما الباقون فخرجوا مع قائدهم لليوس الى القلعة وتحصنوا فيها فحفر الفرنجيون امام تلك القلعة خندقين وبنوا وراءه سوراً ليأمن الترشيون شر العدى ويستطيعوا الدفاع متى رحل اسبال بجيشه

ولما كانت القلعة مبنية بالقرب من مدخل مرفأ اراد اسبال منع المدد من الوصول الى الرومانيين ومع ضربهم البحر سربيين فعمل السفن الكثيرة الموجودة في ميناء المدينة ... على عجلات صنعت لهذه الغاية وانزلها في البحر من ناحية اخرى فاستترت تجاه القلعة التي اصبحت محصورة من كل الجهات

وفي سنة ٢١١ ق م زحف الفلاح بعسكر لمحاربة كابوا والاستيلاء عليها فعلم ذلك اسبال واسرع بالذهاب لاعانة الكابويين فحارب الرومانيين وهاجمهم مراراً ولكن بلا فائدة لانه لم يستطع خرق صفوفهم ليدخل المدينة التي اصبحت في ضيق عظيم من الحرب والجوع فارتد راجعاً ومشى الى رومية ليجبرهم التقاعس عن رفع الحصار ولكنهم لم يعبأوا والرومانيون بحد عبه بل بقوا مشددين الحصار الى ان دخلوا المدينة قسراً وبخيانة الرعاع

وحدث ان ... من ... الترشيين من ... القلعة ... طويلاً

جمع فيبوس فربوس احد زعماء اعضاء مجلس كابوا بعض الرومانيين لهم وحقدهم عليهم اي الذين قد لا يحق بها الاصدقاء الا بالموت فها قد عددت في منزلي وليمة فاخرة ادعوكم اليها لنسمع من طيبات هذه الدنيا ولنشرب بعدها رحيق الحمام من كاس يطوف علينا به احد السقاة فمن منكم قد انعمته الحيوة ومل منها فيتبعني لان ميتة مجيدة تكسب الميت مجداً وتجعله اهلاً لاعتبار الاعداء والخلان فلبى دعوته سبعة وعشرون رجلاً فصولحوا جميعاً شربوا السم بعد ذلك عمهم بكاس الراح كما تدار الصهباء بالافراح فغادروا هموم الدنيا واحبابها وهم عارفون بمجرى الحوادث والسرور

ولما دخل الرومانيون مدينة كابوا هدموا اسوارها ودكوا حصونها وقتلوا كثيرين من كبرائها الذين لم ينتحروا ونهبوا سبعين زنة ذهب وثلثة الاف ومائتي زنة فضة وحرموا الاهلين امتيازاتهم القديمة ليظهروا للعالم ان شعب رومية كريم يعامل اصدقاءه ومحبيه بالرفق والاحسان ويعرف كيف ينتقم من اعدائه ولا يصفح عنهم ابداً فيؤدب الخاضعين ويوطد ركن سلطنته في البلاد الخاضعة له

وان الروقنصل فولفيوس رجل شجاع اسمه يوبيوس توريا بعد ما اصدر مجلس رومية امراً بكف القتل واعطاء الامان وكان الروقنصل قد هم بالانصراف فقال له مر بقتلي يا فولفيوس وافخر ما دمت حياً بانك قد قتلت رجلاً يفوقك بالشجاعة والبأس جاء الرومانيون حتى انتصب ولا اعطاني الامان فصرخ فولفيوس وما هذا هل عسى الآن لا ارى موطني عبداً وهل بعد دخلي منزلي واولادي ينصرون من الاهانة والعار احرم لذة القتل ليمتزج دمي بدم اصدقائي ومواطنيّ ولكن انا رفض العدى قتلي فاني اجود روحي بالانتحار قال هذا واخرج مدية طعن بها صدره وخرّ قتيلاً يتخبط بدماه

وفي سنة ٢١٦ ق.م مات هيرون ملك سيركوزا وخلفه حفيده

أرويسموس فخالف هذا الملك الفتى وصية جده ونقض عهود صداقته للرومانيين وارسل رسلاً الى قرطجنة يحالفون مجلسها ويعقدون معهُ عهدة مفادها اقتسام جزيرة سيسيليا بينهما بعد اتحادهما لافتتاحها ولكنهُ ندم بعد ذلك وطلب اليهِ فقط ان يحالفهُ ليشهر الحرب على الرومانيين اذا مست الحاجة فسر القرطجنيون بما حدث ووصلوا بما طلب الملك لانهُ حليف قوي يمكنهُ اعانتهم واحباط اعمال اعدائهم بالجزيرة المذكورة

وفي سنة ٢١٤ ق. م اقدم القنصل مارسيلوس على محاربة السيراكوزيين محاصراً مدينتهم براً وبحراً وكان في تلك المدينة عالم شهير اسمهُ ارخميدس قدر وحدهُ على لقاء جنود الرومانيين وقهرهم مراراً لانهُ كان مسلحاً باختراعاته العجيبة ومخصصاً وراء اسوار علمه وافكاره الثاقبة فعمل آلات كانت ترمي المحاصرين باحجار الى مسافة بعيدة فتردي من تصيبهُ وتحطم السفن وعمل ايضاً آلات اخرى كانت تمسك المراكب الرومانية وترفعها ثم تقذفها على الصخور فتنكسر ويغرق من فيها فابعد مرسيلوس عن الاسوار وحل بمكان لا يصل اليهِ ضرر من آلات ارخميدس آملاً ان الجوع سيفتح لهُ مدينة لم يمكنهُ الاستيلاء عليها بالسلاح والجيوش

ودام حصار سيراكوزا ثلث سنوات الى كان ذات يوم عيدٌ عظيم اهمل فيهِ الاهلون حراسة الاسوار وانصبوا على الافراح والولائم فاسبق ان العدو على الابواب فاغتنم مرسيلوس هذه الفرصة وارسل فرقة من جنوده تسورت الجدران والحصون ودخلت المدينة وملكت قسماً منها وبعد بضعة ايام استولت على الاقسام الباقية فنهبت ما بهنة وقتلت كثيرين من جملتهم ارخميدس العالم الذي لم يكترث لدخول الاعداء المدينة بل كان منهمكاً في بعض مسائل علمية اورسوم هندسية فمات وهو قابض على قلمهِ سبب شهرته وعلاكو لانهُ لو ترك شغلهُ وجيء الى معسكر الرومانيين بجالا محالة

وكان سيبيو الذي حارب أنيبال بالقرب من نهر تيسينوس متولياً مع اخيه كنيوس قيادة الجيش الروماني في اسبانيا فانتصر الاخوان مراراً كثيرة على القرطجنيين وكانا يستوليان على جميع البلاد لو لم يقسما جيشهما الى قسمين وينفردان بمحارب كلاً منهما اسدر بال اخو أنيبال وكسرة محسر الرومانيون ما كسبوهُ قبلاً في معامع كثيرة واسفوا جداً لموت ذينك القائدين الذين خرّا صريعين في ساحة القتال

ولما بلغت هذه الاخبار رومية حزن الشعب ويئس من النجاح باسبانيا وعدّ استرجاع ما فقد فيها من الامور المستحيلة ودليل ذلك انهُ لم يرضَ احد من الرومانيين تولي قيادة الجيوش هناك الا بليوس سيبيو ابن المتوفى وكان شاباً عمرهُ اربع وعشرون سنة شهيراً بالذكاء والتدبير ومحبوباً من الجميع فعين على الفور برو قنصلاً وقائداً عاماً للعساكر الرومانية في تلك الديار فبادر الى الرحيل حالاً والى البلاد الاسبانية وقاد جيشهُ لمحاصرة قرطجنة الجديدة فاستولى عليها في يوم واحد ثم حارب الاعداء في معامع عديدة وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً وشتت شملهم فاستتب له الامر وخضعت له جميع شعوب ذلك الاقليم

وكان هذا القائد الفتي شهماً عطيباً وفاضلاً كريماً فاتته يوماً بعد استيلائهِ على قرطجنة الجديدة امرأة شريفة من اهالي تلك الديار وسالته وهي جاثية بين يديهِ وعبراتها تتساقط على الارض من شده الكدر ان يامر رجالهُ باحترام الاسراء فلم يفهم سيبيو معنى كلامها وظنها تشكو عسرها فاجابها امي بالاً ايتها المرأة لانك ستحصلين على كل ما تحتاجين اليهِ قالت لهُ هذا الامر لا يهمني ولا يقلقني سوى حالة هولاء الواقفات حولي وكان معها بنات اخيها ملك الارجيين وبنات اخر شريفات كلهنَّ بديعات الحسن والجمال فتحركت في صدره حاسات الشفقة والحنو واغرورقت عيناه بالدموع وقال لها يا اماه تقي امي ورجالي جميعاً لا تحلل

اشبةً محرماً وسنبذل الجهد في صون طهارتكن وشرفكنَّ ثم طيب خاطرهنَّ وصرفهنَّ بالاكرام فذهبن مسرورات شاكرات

واحضر اليه قوادهُ مرةً ستَّ عذراء ذات حسن باهر وقدّ رشيق وكان سيبيو ربَّ نساءٍ ومن بها الا انهُ ملك شهوته وقال لاعوانهِ ان منصبي يمنعني من قبول هديتكم ثم التفت الى الجارية واستخبرها عن اهلها ووطنها فجاءتهُ بها مخطوبة لامير قبيلة السلتبريين المدعو اليسبوس فاحضرهُ سيبيو مع ابيها وقال له يا اليسبوس انا فتيان ويمكن كلاًّ منا ان يكون صاحب محبة فاخبرك بان جنودي قد اتتني بجارية عذراء علمت منها انها خطيبتك وانك مغرم بها فاردها عليك الآن عفيفة طاهرة كما كانت قبلاً ولا اسألك عوضاً عن ذلك الا ان تكون حليف الامة الرومانية التي وقفت شعوب الارض بالفضل والعصبية ولا يحكيها احد في حب الاحسان الى اصدقائها ورغبة الانتقام من اعدائها

وكان ابوها قد قدم مقداراً وافراً من الدراهم فداءً لها فاعطى سيبيو تلك الدراهم لاليسبوس ليزيد بها مهر امرأتهِ فانصرف ذلك الفتى الاسباني مع جيشه كرّاً مسروراً واحضر قومه انهُ اتى مع الجيش الروماني بطل يحكي الالهة في الشجاعة والكرم يفتح المدن والقلوب بسيفه وشهامته

اما اسدربال قائد الجيوش القرطجنية في اسبانيا فمر هارباً من امام سيبيو واجتاز من جهة جبل البيرينه والالب ودخل ايطاليا ليعين اخاهُ على حرب الرومانيين فيها فارسل احد القنصل ليبوس ليقاتله ومعهُ من الاتصام الى أنيبال وكان القنصل الآخر نيرون يحارب بطل قرطجنة فنهض سراً بسبعة الاف رجل وبعد مسير سبعة ايام وصل الى معسكر ليبوس بالقرب من نهر متورس فقدم القنصلان سدربال واشتب القتال وكانت هذه الجمعة من اعظم الوقائع التي حدثت في تلك البلاد او بعد دخول أنيبال اليها لان قائد تلك الجيوش الافريقية خرّ قتيلاً

باسياف اعدائهِ ومات من عساكره ستون الف رجل وقد مل المنتصرون
من القتل وسفك دم الابطال حتى ان ليبوس ترك بعض المنهزمين يذهبون
بسلام قائلاً فليمضوا ليذيعوا خبر انتصارنا في سائر الانحاء ورجع نيرون
الى معسكره بسرعة عظيمة كما اتى منهُ وطرح امام سرادق انيبال راس اخيهِ
ليعلمهُ ما جرى فرعب هذا البطل وادرك عظم المصائب التي فاجأت حكومتهُ
وعائلتهُ فرحل حالاً من ذلك المكان واحتل برونوم وشرع في الاستعداد
للحرب والدفاع

وكان سيبيو القائد الروماني مكللاً بالظفر والنجاح في جميع اعمالهِ
وعرف انهُ متى امن شر اعدائهِ بالديار الاسبانية اخذ يفكر في محاربة القرطجنيين
بافريقيا فارسل ليليوس احد اصدقائهِ لمحالفة سيفكس ملك الماسيليين
(اسم احدى القبائل الشهيرة في الازمنة القديمة الساكنة في جزائر الغرب)
فرضي هذا الملك البربري بمصادقة الرومانيين ورغب في مقابلة البر وفصل
لمجاورةً بهذا الشان فاتاهُ سيبيو على جناح السرعة غير مبال بالاخطار
التي تحيق بهِ ان نكث الامير النوميدي العهد وغدر بهِ ولانهُ راى في
تلك المقابلة خيراً لامور محافظتهِ ليس هذه لغاية الشريفة

وحدث ان اسدربال القائد القرطجني في اسبانيا الذي خلف اخاه
انيبال حضر في ذلك الاوان الى عاصمة الملك سيفكس ليسترضيهُ ويحملهُ
على محالفة القرطجنيين فسرَّ هذا الامير بان يرى في بلاطهِ قائدي اعظم واقدر
امم الدنيا يتباريان في مصادقتهِ فدعاهما الى الطعام فجلسا الى مائدتهِ ويلوح
ان اسدربال قد عجبهُ حديث سيبيو وفصاحتهُ وذكاؤهُ فقال لا بدع ان
خسر القرطجنيون املاكهم الاسبانية ولكن العجب كل العجب في استطاعتهم
المحافظة على افريقيا. وقدر البطل الروماني على محالفة سيفكس ومعاهدته
وارتد راجعاً من حيث اتى

وعلم سيبيو ان الوسيلة الوحيدة لاذلال قرطجنة واخضاعها لسلطة الرومانيين

في محاربتها في بلادها الافريقية لان وجود جنود غريبة هناك يثير لا محالة حسد اعدائها والام المعاصرة لها التي تطلب فرصة للانتقام منها كيف لا وان عدوك من صديقك مستفاد فطلب الى المجلس ان بادر له في ذلك بعد مذكرات طويلة لا محل لاستقصائها هنا عين قنصلاً وسمح له بالذهاب الى سيسيليا ومنها الى افريقية مجهز الجنود اللازمة ورحل اليها سنة ٢٠٣ ق م وكان سيفاكس النوميدي قد نقض العهد وحالف القرطجنيين ونهض بعسكره واتى مع اسدروبال القائد القرطجني لمحاربة الرومانيين ولما كان الاعداء لا يحرسون معسكرهم في الليل كما يجب ارسل سيبيو ليليوس احد قواده وامره ان يحرق معسكر سيفاكس فاتم هذا القائد النشيط ما امر به وحرق خيام الجيوش النوميدية فمات عدد عديد منها بالنار والسيف ونظر القرطجنيون ناراً مشبوبة فلم يعلموا ما سببها فبادروا حالاً لمساعدة حلفائهم النوميديين وكان سيبيو واقفاً لهم بالمرصاد فهجم عليهم بغتة وما زال يصدمهم حتى قتل منهم كثيرين وشتت الباقين في تلك البيداء ثم تقدم الى معسكرهم وحرقه كما حرق الاول ولم ينج من ذلك الجيش العرمرم سوى الفي رجل وخمسمائة فارس ولوا هاربين الى قرطجنة

وركب ليليوس مع الملك مسينيسا النوميدي الذي حالف الرومانيين وجدا في المسير لمحاربة سيفاكس فافتتحا مملكته وقاداه اسيراً مع احد اولاده وارسلاه الى سيبيو مكبلاً بالسلاسل والقيود فسأله القائد الروماني لماذا نقض عهده وحارب امة حالفها قبلاً اجابه سبب ذلك الجنون لاني احببت امرأة قرطجنية تزوجتها فاخضعتني لسلطان هواها وكرهتني على مناوأة صديق قرينة وكرمته فانا على ذلك نادم واطلب المعذرة

وحدث ان مسينيسا بعد انتصاره على سيفاكس دخل مدينة سيرتا عاصمة مملكته فتبعته امرأته سوفونيزبا ابنة اسدروبال القرطجني التي مرَّ ذكرها وخرّت ساجدة وقالت له قد حصلت بها انصر نجاح حرب وجرحت

سهما طائرًا عاد فحول الآلهة فهلا تجيب طلب اسيرة جانية عند قدميك وترغب اليك بدل ان تشفق عليها ولا تسلمها الى اعدائها امتها الرومانيين واذا كنت لا تستطيع عنادها فاضرب عنقها بسيفك البتار لانه خير لها ان تشرب كاس الحمام من حسام نوميدي افريقي من ان تحل وتنال العار من اعدائها الرومان . ثم قبضت على يده واخذت تقبل قدميه فامتاحت في فؤاده عوامل الحب والغرام لانها كانت خودًا رداحًا تسبي الالباب بجمالها حملها الدهر فاقترن بها مسينيسا حالًا غير مفكر بعاقبة ما عمل بكونها اسيرة رومانية لا يحق له التزوج بها بدون اذن . فبلغ ذلك سيبيو الذي بلغه هذا الامر فدق صدره وخاف من دهاء هذه الغادة التي لا بد ان تتغلب على زوجها هذا كما تغلبت على زوجها الاول وتغريه بمحالفة القرطجنيين ومحاربة الرومانيين

ولما حضر مسينيسا الى معسكر خلا معه سيبيو وقال له لا ريب ان صفاتي الحسنة هي التي حملتك على مصادقتي ومحالفة مواطنيّ ولكن احسن تلك الصفات واحسنها هي القناعة والزهد فاذا لها الفضل لو تجد هذه الصبية مع الان عدوك الشديد السلاح هو قد حضرت لك من المدات وانني يملك شهوته فقس من سيح لذات واحضرن ومن زم ان سيفاكس قد دل بيد الرومانية فامرأته ومملكته واراضيه وكل ما يملك هو للرومانيين فاسمع ايها الشهم لا تعصب وما تفعل واحذر من تدنيس ثوب كمالك بامر يحملك منه الضرر والشنار

فعلت وجه الامير النوميدي حمرة الخجل واغرورقت عيناه بالدموع ثم انصرف الى سرادقه واخذ في تعب وهو يكتب لامرأته ما يأتي . كان بودي ايتها الحبيبة ان اقوم بجميع ما يقتضيه واجبات الزواج ولكن قد حال دون ذلك موانع وعيبه فاني في موعدي لك الا اسلمك الى الرومانيين وانت في قيد الحياة واحسنك لا ترهبين اجراء امر فيه صيانة شرفك

وصينك من العار وختم كتابه ودفعه الى عبد اعطاه سما زعافا بسلمه اليها فاخذت الملكه المكتوب ولم وقالت اني راضية بهذه الهدية اذا كان زوجي لا يمكنه منحي غيرها ولكن كان خيرا لي الا اقترن بأحد وانا عازمة على الموت ثم شربت السم المرسل اليها ووقعت في الحال على الارض لا حراك لها

وارسل سيبيو بعد ذلك سيفكس الى رومية فامر بحبس جسمه وعين مسببا منكا على كل فلم يوجد ونصب له هدية كثيرة دلالة على اعتباره وصداقته

وكان نصرة سيبيو على اسدربال قد هدت من امر صحيبين الاركان فارسلوا رسلا الى بصيب يدعو ببال الى الحضور حالا قبل ان هذا النصر حين بلغه تلك الاوامر بكى وقال بعيني الرومانيون بل المجلس المرضحي الذي رفض ارسال مدد الي ثم ركب البحر وسار بجنوده وهو سعن سنة ويشكو الآلهة والناس وصل شخصا الى السواحل الايطالية حتى وارث عن انظاره وحين وصوله الى قرطجنة اخذ في الاستعداد لمحاربة سيبيو الذي كان حائلا في بلاد سخ المدائن ويقهر الابطال فجهز العسكر وزحف الى مدينة زاما الي زوارين وطلب مقابلة القائد الروماني الذي في معسكره بين منه فتقابلا في مكان على مرأى من الجيشين ونظرا صامتين برهة وكان من الدهشة حيث خاطب أنبال خصمه بهذه الكلمات

قد قضي علي انا الذي فتح الحرب وبال نصرات عديده ان اتي واخاطبك بالسلام وبسرني جدا ان اطلب هذا الامر الملك واعلم عم يقينا انك ستحرز الفضل وقد نال العبد من ابسال المشهور لمدى ظفر على قوادر رومانيين كثيرين قد خضع لك وحدك

وبعد ان حذر سيبيو من الدهر وغدره قال له سامحني اسبانيا

وسيسيليا وسردينيا وكل اعتبار الواقعة بين ايطاليا وافريقيا ملكاً للرومانيين ولعمري ان صحت هذه شروطه يعود بالراحة عليها وبالنحر والنواح عليكم ولا تحتق حينئذ للقرطجنيين دعوى ما أنيبال الذي يسألك الآن السلام يسألك اياه لكونه ضرورياً لبلاده ولكونه ضرورياً سيحافظ عليه حتى المات

اجابه سيبيو ان هذه الشروط لا ترضى بها امة ظافرة بل من الواجب على القرطجنيين ان يخضعوا لشروط تبين لمواسيهم كما يشاؤون او فيحوضوا عجاج الحرب لعلهم ينتصرون

حينئذ انفصل القائدان ورجع كل لمعسكره ليستعد للكر والكفاح وفي الغد خرجت الجنود باكراً واصطفت في تلك البطاح ثم هجمت الرجال على الرجال واحتدمت نار الحرب وزاد سعيرها فانكسر القرطجنيون وانهزم انيبال مع بعض فرسان ودخل قرطجنة واعلن للمجلس والكبراء ان الصلح واجب فبعثوا في الحال فرسولا الى سيبيو ثلاثين سفيراً من الشرفاء ليخابروه بذلك فرضي بحسبهم الى ما طلبوه بالشروط الآتية

اولاً يملك القرطجنيون المدائن والاقاليم الافريقية التي كانت لهم قبل الحرب

ثانياً يسلم القرطجنيون الى الرومانيين اسرى الحرب والعساكر الذين فروا والعبيد الآبقين

ثالثاً يسلمون اليهم بقية جميع سفنهم الحربية ما خلا عشراً وجميع افيالهم ولا يسمح لهم باقتناء هذه الحيوانات فيما بعد

رابعاً لا يحاربون احداً في افريقيا و خارجها بلا اذن الشعب الروماني

خامساً يردون على مسينيسا ما سلبوه اياه ويحالفونه

سادساً يدفعون الرومانيين مدة خمسين سنة عشرة الاف ربة فضة عن

مليون واحد وتسعمائة وسبعة وثلثين الفاً وخمسمائة ليرة انكليزية ،

سابقاً يسلمون الى سيبيو رهائن مائة رجل لا يكون عمر صغيرهم اقل من اربع عشرة سنة ولا كبيرهم اكثر من ثلثين

وذهب السفراء الى رومية يعرضون هذه الشروط لمجلسها ويطلبون اليه توقيعها فصدق عليها المجلس وصرف الرسل القرطجنيين فانقلبوا الى بلادهم راجعين

وعاد سيبيو الى ايطاليا ودخلها بالاكرام وكان الناس يزدحمون في الطريق التي يمر بها ليروا مخلص الوطن ودعي من ذلك الحين بالافريقي تذكاراً لاعماله وانتصاراته التي رفعته الى ذرى المجد وتوج بالفخار

الباب الخامس

من انتهاء الحرب القرطجنية الثانية
سنة ٢٠١ الى حين انتهاء الحرب الثالثة
وخراب مدينة قرطجنة سنة ١٤٦ ق م
و
من سنة ٥٥٣ الى سنة ٦٠٧ ب ر

الفصل الاول

ان ضعف الجمهورية القرطجنية خوّل الرومانيين الاولى انتصروا عليها سلطة عظيمة فاصبحوا مرهوبي الجانب يخافهم جميع امم الارض ولا يخافون من احدٍ وكانوا منتبهين للحوادث يرقبونها بعين بصيرة وعقل

حين جاهدين في توسيع نطاق املاكهم سائر الاقطار ومتذرعين لذلك باسباب طمعه لا يستوجب اثارة الحروب وسفك الدماء لو لم يكن وراء تلك الاسباب اعراض سياسية واطماع اشعبية

وكانت الدولة مكدونية اقوى الدول اليونانية واقربها من ايطاليا وكان لها منذ ايام فيلبس الثاني الى اسكندر الكبير حق السيادة بين اليونانيين فعمد الرومانيون الى اذلالها بتنشيطهم ولوح المدن الاسيوية والتمتع بضعفها والاستيلاء واخذ من غنيمتها سنة ... ق م حرب عوانا دامت ثلث سنوات محجين بهم بصولة بحرة الانبيين والرودسيين وغيرهم فقهروا ملكها فيلبس الخامس مرارا واكرهوه على ابرام الصلح بالشروط الآتية

ولاً جميع اليونانيين الساكنين في اوربا وآسيا يكونون احراراً مستقلين

ثانياً يخلي فيلبس قبل اوان الالعاب الكورنثية كل المدن اليونانية التي له فيها جنود

ثالثاً يسلم الى الرومانيين كل سفن الكبيرة ماخلا خمساً

رابعاً لا يكون له اكثر من خمسة آلاف جندي ولا يسمح له باقتناء افيال ولا باثارة حرب خارج مكدونية الا باذن الشعب الروماني (هكذا روى ليفيوس وعهدة ذلك على الراوي)

خامساً ينقد الرومانيين الف ربة نصفها عاجلاً والنصف الاخر بمدى عشر سنوات

ولما اعلنت هذه المعاهدة لليونانيين سروا جداً وشكروا للرومانيين الاولى سفكوا دماء ابطالهم لهجوم الحرية والسلام غير محررين سوى انهم اصبحوا لمكدونيين وعدوا منقذي الامم الالينية من ربقة الخضوع لهم على انا اذا تاملنا في الامر نجد ان الرومانيين لم يفعلوا ما فعلوه عن شهامة واخلاص ولكنهم ادركوا صعوبة اخضاع هؤلاء الاقوام الذين

يحبون الحرية ويعدونها بالنفوس مهدوا بها حروب سبل الاستيلاء على بلادهم في المستقبل

وفي سنة ١٦٢ ق م حارب الرومانيون انطيوخوس الكبير ملك سوريا الذي اعتدى على البلاد التركية واليونانية وقهروه بالقرب من مضيق ترموبيلي وفي مواقع اخرى واكرهوهُ على تخلية المدن والاراضي الواقعة وراء جبل طورس ودفع خمس عشرة ربة آية (نحو مليونين وتسعمائة وستة آلاف ومائتين وخمسين ليرة انكليزية) مدى اثني عشرة سنة وطرد انيبال القرطجني من بلاده لانه لجأ اليه بعد نفيهِ من وطنهِ واغراهُ بمحاربة الرومانيين وكان ذلك على يد سيبيو الافريقي واخيه لوسيوس الذي دعي الاسيوي لسبب نصراته في هذه الحرب بالديار الاسيوية وحدث في هذه الاثناء ان سيبيو الافريقي ذهب الى مصر ليقابل انطيوخوس فبقي انيبال هناك فبعد ان تذكرا مبيناً سال سيبيو خصمهُ من هو الرجل الذي يظنه اعظم قائد وجد في الدنيا

اجابة القرطجني هو اسكندر الكبير

— ومن هو الثاني

— بيرس

— ومن هو الثالث

— قال لهُ انيبال على الفور انا هو

— فعجب سيبيو من كلامهِ وسالهُ قائلاً اي رتبة كنت تستحق لو غلبتني

— اجابهُ حينئذٍ كنت اعظم من اسكندر وبيرس وجميع قواد العالم

وبعد عودتهِ الى رومية اتهمهُ وكيلا الشعب انهُ اخذ رشوة من انطيوخوس وسبب واخاهُ اموالاً للجمهور وطلبا اليهِ ان يقدم حساباً مدققاً فنهض سيبيو ومسك بيدهِ سجلاً وقال للحضور بهذا السجل ترون حساب الاموال والغنائم التي حربها فقال لهُ الوكيلان اقرأهُ اذاً ما كتبتهُ فيهِ اجابهما عارٌ عليَّ

ان افعل ذلك ثم مزق السجل اربًا اربًا وطرحهُ امامهم ولما كان الوكلاء مصممين على تعريضهِ المقت الى الشعب وقال لهُ بمثل هذا اليوم بها الرومانيون قد غلبت ايبال والفرنجيين فسادر الى الكبستولبوس ولنشكر جوبتر على ما اولانا من النعم فاثر كلامه بالجمهور الواقف وتبعهُ الجميع الى الهيكل اما اخوهُ الاسيوي فغرم بدفع مقدار وافر من الدراهم وبيعت امتعتهُ واملاكهُ لوفاء تلك الغرامة فكان ... من سوء تجزئة سمار

وفي سنة ١٨٢ ق م قضى ايبال القائد الفرنجي الشهير بحنة سلاد بيثينيا لان الرومانيين ارسلوا رسلاً الى ملكها يطلبون تسليمه اليهم فخوفاً من ان يقع في ايدي عداتهِ شرب سماً ومات

وكان فيلبس ملك مكدونيا بعد انتصار الرومانيين عليه لا يألو جهداً في الاستعداد لمحاربتهم والانتقام منهم وقد حمله بغضه الشديد لهم على قتل ابنهِ الاصغر ذمتريوس الذي كان يحبهم وشي عليهم جهراً في كل مكان وفي سنة ١٧٨ ق م مات هذا الملك وخلفهُ ابنهُ برسيوس الذي كان اشد عداوة لهم من ابيه فنشبت من جراء ذلك الحرب المكدونية الثانية سنة ١٧١ ق م ودامت اربع سنوات وكانت نتيجتها استيلاء الرومانيين على البلاد وجعلها ولاية رومانية وهكذا انقرضت الدولة المكدونية بعد ما سادت مدة طويلاً واستولت في ايام اسكندر على كثير الممالك المعروفة

ثم اخضع الرومانيون الايبريين ومن يجاورهم وقهروا الغاليين الذين اعانوا ايبال وجعلوا بلادهم ولاية رومانية ودعوها غاليا سزالبية اي الواقعة داخل جبال الالب

الفصل الثاني

في الحرب القرطجنية الثالثة

ان الجمهورية الرومانية لم تكن راضية عن القرطجنيين الذين البسوها ثوب العار بدخولهم بلادها وقهرهم مرارًا ولم يشف غليلها ذل هذه الامة وخضوعها لها بل كان يودها لو تجعل مدينة قرطجنة خرابًا ينعق فيها البوم وتاوي اليها الوحوش لا سيما الان وقد قويت شوكتها وتسلطت على اقاليم كثيرة واسعة شاسعة

وحدث ان الملك مسينيسا تعدى على القرطجنيين واستولى على بلاد لهم فارسل مجلس رومية سفراء الى افريقيا ليبصروا في هذا الامر وكان من جملتهم رجل اسمه كاتو الكبير شهير بالزهد وحب العيشة الخشنة لظنه ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاحراز المجد والفخر ولما رجع كاتو الى رومية خبر المجلس ان القرطجنيين استعادوا غناهم وقدرتهم وحرضه على محاربة هذه المدينة وخربها واحضر من تلك المدينة تينًا كبيرًا جدًا واراه الى اعضاء المجلس وهم متعجبون وقال لهم ان البلاد التي وجد بها هذه الاثمار هي على بعد ثلثة ايام من رومية ومن ذلك الحين لم يكن يتكلم في المجلس عن امر الا ويقول في عرض الكلام اظن حرب قرطجنة واجبًا

ولما كان القتال متفشيًا بين مسينيسا والقرطجنيين اتخذ الرومانيون ذلك ذريعة للمجاهرة بالعدوان وارسلوا الى افريقيا سنة ١٤٩ ق م ثمانين الف راجل واربعة الاف فارس فقلق القرطجنيون وبعثوا سفراء الى رومية يسترضون مجلسها فاجابهم المجلس انه يمنحهم الحرية والاستقلال بشرط ان يعطوا المنصب قائدي الجيوش رهائن ثلثمائة من شريف ويخصصوا بضاعته

عبثاً. لكل ما يأمرانهم به وكان انفذ الان وفتئذ في سيسيليا مستعدين لركوب البحر حين وصلت اليهما الرهائن القرطجنية فاجابا الرسل انهما يعلمان القرطجنيين ما يريدان حينما يحضران الى افريقيا

ثم اسرعا بالمسير ووصلا الى تيكا الان اوتشاطر . ولقيا هناك سفراء قرطجنيين اتوا ليسترضوهما فخاطبوهما معتذرين عما حمل الذنب الذي جناه والاسباب التي حملت الرومانيين على غزونا بهذا الجيش العرمرم الم نقدم الحرية دليلاً على اننا جاهدين بعمل كل ما يرضيهم واذا كانت الحرب التي حدثت بيننا وبين مسينيسا قد اغضبتكم ام ينظروا كيف احتملنا اعتداآت مصر عليهم ورضينا اخيراً ان نحمل اليه ما طلبه . ولو فرض ان محاربتنا النوميديين دفاعاً عن وطننا هي ذنب ام نكفر عن هذا الذنب بتسليم انفسنا وبلادنا الى الشعب الروماني ومبادرتنا الى اعطاء الرهائن المطلوبة حسب امر المجلس فقال لهم حينئذ احد القنصلين اذا كنتم ترغبون في السلام احضروا لنا حالاً جميع الاسلحة الموجودة في مدينتكم لانها لا تفيدكم شيئاً فانقاد القرطجنيون لامره صاغرين وبعثوا الى المعسكر الروماني بمائتي الف مجن ورماح وحراب لا تحصى واتى ايضاً الكهنة والكبراء بهيئة ذليلة ليحركوا الشفقة في قلوب الرومانيين فنهض حينئذ القنصلان وقال لهم ابي انكم ايها القرطجنيون لاذعانكم لاوامرنا وتسليمكم الينا حالاً جميع ما طلبناه عبر ... بحسب ... الان ... وتنتقلوا الى اي مكان ... من ... بشرط ... عن السواحل لاننا قد صممنا على هدم ... ودك اسوارها

وحين سمع القرطجنيون ... كلام ... طار ... من ... ومزقوا ثيابهم من الحنق والقنوط ووقعوا على الارض يضربونها ... ثم ... الى القنصلين وهم يذرفون الدموع كالمطر وسألوهما ان يشفقا عليهم ويرحما قوماً ... صاروا كالطفل الصغير لا يستطيعون خيراً ولا

شراً فلم يبالوا بتوسلاتهم وتذللهم شيئاً فاتكفأوا الى المدينة واخبروا الشعب بما كان فاخذ الجميع بالبكاء والعويل وماجت الارض بأقدام الرجال والنساء والاولاد لانهم كانوا يسرعون لاستعلام الاخبار ويشعرون بالكآبة والبأس ولا يعلمون اين هم ولا الى اين يذهبون غير ان بعضاً من الكبراء العاقلين علم كاشفين عدم الاختيار المحدقة بهم ولكنه آثر الموت شريفاً في ساحة الحرب على الحيوة بالذل والعار فامر بايصاد ابواب المدينة وجمع الحجار على الاسوار لرمي المحاصرين فنشط فعله هذا الاهلين الذين قدموا على القتال بشجاعة وحمية مميزين الحياة والموت في ساحة الحرب فداء الوطن واعتقوا عبيدهم في ذلك النهار ليعضدوهم ويقاتلوا معهم بسالة

وكان القرطجنيون قد سلموا من المدينة احد قوادهم العظام المدعو اسدروبال ارضاء للرومانيين لانه هو الذي حارب مسينيسا النوميدي وكان هذا القائد محلاً وقتئذ مع جيش يبلغ عدده عشرين الف راجل مكانه قريباً من قرطجنة فارجعوه الى المدينة وشرعوا يستعدون للقتال وجعلوا الهياكل والمحال العمومية معامل للاسلحة واقاموا فيها رجالاً ونساء شيوخاً واحداثاً يشتغلون الليل والنهار لتجهيز العدد اللازمة فكانوا يعملون في كل يوم مائة واربعين مجناً وثلثمائة حسام وخمسمائة رمح والف حربة وقصت النساء شعورهن وصنعن بها حبالاً للآلات الحربية

ولم يكن القنصلان عالمين [illegible] فجاءا [illegible] [illegible] واملا وطمعا لمحاصرتها ظانين انهم يستولون عليها بسهولة ولكنهما ذهلا حينما رأيا الاهلين متحصنين بالسلاح [illegible] والمدافع [illegible] واردين عن الاسوار [illegible] [illegible] من حصونها لان القرطجنيين كانوا يحاربون [illegible] ويحمون عنهم هجوم العدو على [illegible] كيف لا وهم يدافعون عن نسائهم واولادهم وعن حريتهم التي هي اثمن شيء لهم في العالم وقد

حرب اكثر من ستين ولما تنبه الاهالي بذ سيبو اميليانوس بن سيبيو الذي
طلب ربيبوس مملك بحصوصة مذهب عند القائد الذي الى افريقيا
واصلح نظام الجيش وشدد بحصار وفي ربيع سنة ١٤٦ ق.م استولى مرقة
من جنوده على حد الاسوار ودخل المدينة فقامت الحرب في الشوارع
والمنازل على قدم وساق وبقي اشتد في القتل ستة ايام ولم يسلم من سكان
قرطجنة الكثير من ابلغ عددهم سبعمائة الف نفس سوى خمسين الفًا لبسوا
لباس الذل والتجأوا معسكر الرومانيين يسألون الامان فاستخدم سيبيو واعتهم
عبيدًا

وكان في المدينة تسعمائة رجل روماني قد هربوا من معسكرهم والتجأوا
اليها فعلموا علم اليقين انه لا نجاة ولا امان لهم في جميع الاقطار فدخلوا مع
اسدروبال القائد القرطجي الى هيكل وصمموا على حرقه والموت فيه اختيارًا
غير ان اسدروبال خرج من الهيكل سرًا واتى البروقنصل حاملًا غصن
زيتون دليل السلام واستسلم له فحبسه سيبيو عند قدميه واراه للقوم
المحصورين في المعبد فما اصروا حتى صاحوا بشتمه وبلعنه ثم شعلوا النار
وماتوا قبل ان امرأة اسدروبال صعدت الى سطح هيكل وبادت سيبيو
ورعيت اليوان يغوص زوجها خائن ثم خاطبت عليها قرينة انها الرجل
اللئيم الجبان الذي لا ان النار التي سعرها مشتعلة ستمنحني قبرًا مع بنيَّ
ممدوح من هذه الدنيا مرودين بالخزي وسبب ارث موزرًا الحيوة على اماتت
الاشر بد مجد من انت جالس عند قدمي سيبيو وتذوق منة عدوك الياً

وحينما استولى الرومانيون على قرطجنة امر المجلس بهدمها تمامًا وهدم
كل المدائن التي حاربتها واعطاء ارضها لحلفاء رومية وجعل البلاد
التي كانت خاضعة للجمهورية الافريقية ولاية رومانية فانفذ سيبيو تلك
الاوامر وعاد الى رومية حيث احتفل بنصره ولقب بالافريقي

قال احد المؤرخين ان سيبيو الكبير قد مهد سبل عظمة الرومانيين

اما سيبيو الصغير فقد فتح لهم باب السعي والترف لانهم لما صوّا سر الفرنجيين اهملوا تلك الصفات الحسنة التي اوصلتهم الى هذه الدرجة العليا من سلم الفضيلة والمجد وبهوروا في مهاوي الرذائل

الباب السادس

من حين انتهاء الحرب القرطجنية الثالثة سنة ١٤٦ الى اقامة الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ ق م

او

من سنة ٦٠٧ الى سنة ٦٩٤ ب ر

الفصل الاول

لاريب ان دأب الرومانيين توسيع نطاق سلطتهم بكل وسيلة يرونها موافقة لهذه الغاية ولا يهمهم بذلك رعاية صدقة وحفظ ذمام لانهم بعد ما هدموا مدينة قرطجنة وخربوا تلك الجمهورية الافريقية العظيمة بزمان قليل هدموا اركان الحكومة الاخائية اليونانية وحرقوا مدينة كورنثوس عاصمة البلاد وسبب ذلك انه تنازع الاهلون في امور طفيفة وابوا الانقياد لما امر به المجلس الروماني واضرموا نار الحرب الاهلية فحاربهم الرومانيون وقهروهم وخربوا مدائنهم الحصينة وجعلوا البلاد اليونانية ولاية رومانية وكان الاسبانيون الشداد شجعاناً يحبون الحرب والغارات ويأنفون من الخضوع لغرباء فنهضوا لقتال الرومانيين مراراً وقهروهم في وقائع كثيرة ودامت هذه الفتن مدة مديدة لجهل او جبن قواد الجمهورية في تلك الديار وبسالة وحكمة فيرياتس رئيس الثائرين الذي قتله

الروماniون اعتبالاً سنة ١٤٠ ق م ومما يشهد لاولئك الاقوام بالجسارة والباس هوان نيمانسا احدى المدائن الاسبانية الحصينة قدرت وحدها ان ترد هجمات المحاصرين وان تستظهر على ابطال دانت لهم ام الارض صاغرة واقام الشعب سنة ١٣٤ ق م قنصلاً وقائداً لجيوش ذلك الاقليم سيبيو الذي خرب قرطجنة لانه كان احسن رجل قادر على اخضاع العصاة واحياء الشجاعة بقلوب الجنود

ولما وصل هذا القائد البطل الى اسبانيا وجد العسكر الرومانية هناك بلا ترتيب ولا نظام لا تعرف الانقياد لرؤسائها ولا الاذعان لاوامرهم وكانت منهمكة بالنعم والملذات كلها انقادت لشرهها لا تنكر والكفاح فعلم القنصل انه من الواجب عليه قبل ان يجابه الاعداء ويقهرهم ان يصلح احوال الجنود ويكرههم على الخضوع لاوامره بطاعة عمياء فمنعهم عن التانق بالماكل والمشرب وطرد من المعسكر الباعة والخدام والنساء الفواجر ولم يترك للجندي غير مرجل وفراش محشو اوراق شجر اوتبن وعوّد هولاء الرجال الاتعاب والصبر عليها

وفي ذلك الاوان ارسل ابيو مسيبسا ملك نوميديا مدداً مع ابن اخيه يوغرتا الفارس المغوار الذي له في تاريخ الرومانيين شان عظيم والذي سنفرد لذكر اعماله الفصل الذي من هذا الباب

وكان سيبيو يرغب اجتناب قتال النيمانسيين ما امكن لانه رأى الجوع خير جيش واحسن سلاح ستفتح بها تلك المدينة بلا عناء فشدد عليها الحصار ومنع المدد والقوت من الوصول اليها فضاق الاهلون ذرعاً وارسلوا اليه رسلاً يسألونه السلام بشرط ان يعاملهم بالرفق والاحسان فمثل السفراء لديه وبعض رئيسهم وعرض له حاجتهم بعبارات وجيزة اعربت عن مدح مواطنيه واطراء بسالتهم وعقب ذلك بقوله ان النيمانسيين وان كانوا تعساء الان ليسوا مذنبين لانهم اقدموا على سفك دمائهم دفاعاً عن نسائهم واولادهم

واستدل بذلك من العدل ايها الشعب ان نرحم شعباً يريدون الاستسلام
لك ولا يريد قتالهم بجار ويموتون كرجال في ساحة القتال اجابهم
سيبيو لا سلام الا بتسليمكم اليّ سلاحكم ومدينتكم وانفسكم فرفض النياسيون
اجابة الى ما طلب وفضلوا الموت على حيوة ذليلة واخذوا في الاستعداد
للقتال ثم خرجوا من مدينتهم وهجموا على متاريس الرومانيين فهلك منهم
عدد عديد وارتد الباقون بالفشل ولما خاب املهم من النجاة حرقوا سلاحهم
وامتعتهم ومنازلهم وقضوا نحبهم جميعاً بالجوع او بالسيف او السم او النار ولم
يتركوا للمنتصرين من المدينة سوى اسمها فدخلها سيبيو وامر بهدم الاسوار
وامارات المدينة الباقية وعاد الى رومية واحتفل بنصرته فيها

بينما كان سيبيو جاهداً في اخضاع مدينة نياسا والاستيلاء عليها
حدثت في رومية حوادث اقلقت الاهلين وفتحت باباً جديداً للفساد
واهراق الدماء في الاجتماعات العمومية وسبب ذلك تيبريوس وكايوس
غركس حفيدا سيبيو الافريقي الاول من ابنته كورنيليا اللذين كانا
حاذقين محبين للخير يتحليان بالبلاغة لا يجاريان في الخطابة فنالا بين
مواطنيهم منزلة عالية وشهرة واسعة وانتخب تيبريوس وكيلاً للشعب في هذه
السنة

وكان من عوائد الرومانيين كما اسلفنا انهم اذا افتتحوا بلاداً او
اخضعوا امة بقتالها ياخذون قسماً من اراضي تلك البلاد يبيعون بعضه
لقيام بنفقات الحرب ويعطون البعض الآخر للفقراء باجرة طفيفة ليحرثوه
ويقتاتوا من غلاته غير ان الاغنياء والكبراء قدروا بالخبث والدهاء ان
يختلسوا الاراضي المذكورة ويحرموا المحتاجين وسائل الراحة والهناء فحمل
ذلك لسينيوس ستولو ان يقترح القانون العقاري الذي مرّ ذكره صفحة ٦٣
والذي بعد ان صدق عليه المجلس وعمل بموجبه مدة من الزمان أُهمل
وطوته يد النسيان وكان هؤلاء الكبراء يستخدمون لحرث حقولهم

ونسائهم الكثيرين عبيداً وغرباء لانهم تقدم الجمهورية ويمرحون بخرابها

ونظر تيبريوس الى حالة الوطنيين الاحرار نظرة آسف على حالتهم التعيسة ومشفق منهم فاراد احياء القانون العقاري وكاشف بذلك بعض اصدقائه الاصفياء فوافقوه وعولوا على مساعدته لارجاع هذا القانون واجرائه

وعلم بما جرى الشرفاء والاغنياء فحنقوا وهاجوا ولعنوا تيبريوس وقالوا انه ظالم معتدٍ يريد القاء الفتن لنيل امر سرّي والى اصدقائه واعوانه وبكثرة من اجتمع اما الفقراء فكانوا مقيدين بسلاسل الحاجة والتعاسة لا يستطيعون ارواح لاحياء بينهم واب تزوجوا لاعكهم التشاد باود عائلتهم وتربية اولادهم فتذكروا تلك الحروب التي خاضوا عجاجها والمعامع التي انصروا الاهوال فيها دفاعاً عن الجمهورية واعلاء لمنار مجدها وراوا انهم جوروا على بسالتهم واتعابهم هذه بان كان النفر لم نصيباً وحرموا قسمة ارض بحرثو ... يمونون بعاً لها وراد العطف عليهم ... من الشغل بسبب العبيد عنهم فاصبحوا وهم احرار اسفى من الارلى حسرو الحرية وحقوقهم المدنية

وحينما اجتمع الشعب ينظر في امر القانون نهض تيبريوس واندفع يتكلم ببلاغة تفتن الالباب وتسلب القلوب ثم التفت الى الاغنياء وقال هل انتم تفضلون ان يقوم العبيد على الوطنيين والذين لا يجوز تجندهم على الاولى يسكبون دماءهم فداء الوطن او يحرسون الطاغية ... واعوا نحا اليها اما الرجال الذين يحافظون ... رواحهم ... ولا ... سوى ... والهواء النسيم حتى وهم يطوفون ... واولادهم ... ياوونه فلا ريب ان القواد يتحرون من الحنو تحريضهم على ... الاحصار نصون ... ومد تحمهم الاشبية لانه لا يوجد احد منهم ... مدح

او مدن. فالحقيقة انهم يحاربون ويموتون دفاعاً عن ثروة الآخرين ومن العجب العجاب انهم يدعون سادة الارض وهم لا يملكون منها قدماً واحدة

فاذهلت فصاحته وحجته الدامغة الحاضرين فلم ينطقوا ببنت شفة بل انصرفوا متعجبين وكان مجلس الشرفاء يحاولون هلاكه واحاط اعداؤه فيما كان يخطب مرة في محفل حافل وقد زاد الضجيج واللغط حتى ان صوته لم يكن الجميع يسمعونه وضع يده على رأسه مشيراً للناس ان بعضاً يريد قتله فاوّل اعداؤه تلك الاشارة بانه يطلب الى الجمهور تاج الملك فانقض عليه سيبيو ونيكا احد نسائبه وكثير من الشرفاء وقتلوه مع ثلاثمائة رجل من اصدقائه

وكان كايوس اخوه فتيا فلم يشترك معه في هذه المؤامرة بل قضى سنوات عديدة ساكناً لا يبدي حركة ولا يظهر رغبة في الانتقام من اعداء اخيه وقاتليه غير انه لما انتصب له الامر واصبح قادراً على اجراء اغراضه اعلن صداقته للشعب وعداوته للمجلس والكبراء واخذ يقترح قوانين واموراً تحط سلطة العظماء فرعبوا وعمدوا الى ارداته بالطريقة التي قتلوا بها اخاه تيبريوس وارسلوا لذلك القنصل اوبيميوس بفرقة من الجنود وحينما ابصر اعوانه الخطر المحيط بهم اركنوا الى الفرار فامر كايوس اذ ذاك احد عبيده ان يقتله فصنعه ذلك العبد ثم طعن نفسه وخرّ كلاهما صريعين سنة ١٢١ ق م [illegible]
[illegible]
[illegible] عشر رطلاً [illegible]

وحزن الشعب حزناً على موت هذين الاخوين [illegible] تماثيل في مكان [illegible] وكان كثيرون يأتون [illegible] وكلاء العوام فذلوا بعد مدة [illegible] وفقدوا تلك الحمية التي طالما اشتهروا بها وعاد الكبراء والاغنياء قادرين لا يجسر احد ان يخالف لهم امراً وكان

الذين العقاري قد دعي مع العركبين فاصبح نسياً منسياً

وفي سنة ١٣١ ق م ثارت حرب مهولة في سيسيليا وسببها ان الاغنياء هناك اشتروا عبيداً كثيرين لحرث ارضيهم والاعتناء بها ولما كان اولئك العبيد لا يعاملون معاملة حسنة ولا يعطون طعاماً كافياً لهم كانوا يفتكون احياناً بالاهلين وينهبون دائماً ما يمكنهم نهبه وكان الولاة يغضون الطرف عن اعمالهم خوفاً من مواليهم الذين كانوا في الغالب فرساناً رومانيين ذوي مقام رفيع فاتسع الخرق وزاد اولئك الاشرار جسارة وتهوراً حتى انهم تآمروا في خلع نير العبودية

وكان لرجل سيسيلي عبد سوري يدعى افنيوس ذو فكر ثاقب ودهاء عظيم فادعى ان الآلهة تظهر له في الحلم وتذاكره بامور السر فصدقه بعضهم وصار الناس يأتونه افواجاً يستشيرونه بامور خطيرة

وجاءه ذات يوم عبيد رجل غني من مدينة انّا واخبروه انهم يريدون الفرار من مولاهم وسألوه اذا كانوا محقين في مسعاهم ام مخطئين فاجابهم ان كل ما يرومون فعله يرضي الآلهة بشرط ان يباشروا الامر بسرعة ونشاط فاجتمع العبيد المذكورون وكان عددهم اربعمائة نفس واقاموه قائداً عليهم وقصدوا مدينة انّا [illegible] ودعوه افنيوس وسموا انفسهم سوريين ولما علم ذلك العبيد الآخرون هرعوا اليه [illegible] حدودهم في البلاد

ولما استفحل امر عصابة هذا [illegible] سيسيليا تتصل وجيش عرمرم [illegible]
في سنة ١٣٢ ق م

الفصل الثاني
في حروب يوغرطا

ان مسيبسا الذي ملكه الرومانيون على بلاد نوميديا خلف ثلاثة بنين مات منهم اثنان وبقي ميسسا الذي ملك بعد وفاة اخويه على جميع ذلك الاقليم وكان لهذا الامير غلامان وابن اخ اسمه يوغرطا احبه جدًا واعتنى بتربيته غاية الاعتناء.

وكان يوغرطا جميلاً وشجاعًا لا يهاب الموت ويقتحم الاخطار بقلب ثابت كأنه ساعٍ لنيل الاماني ولقد الف ركوب الخيل وهو صغير فشب فارسًا مغوارًا لا يحاكى بحسن الضرب والطعن ولا يجارى بميدان البسالة والاقدام وكان مع ذلك لطيفًا [illegible] لا يعرف العُجب والافتخار فاحبه جميع الفرسان الابطال ودانوا له طائعين اختيارًا

وكان الملك قد [illegible] من [illegible] وادرك ان يوغرطا لا بد [illegible] بجمع اليه [illegible] الملك [illegible] فاراد ان يسلك به اعتداءً ولكنه خاف [illegible] وخشي حدوث ثورة وفتنة [illegible] من [illegible] الى [illegible] الاسبانية لمساعدة الرومانيين على فتح مدينة نومانسيا آملاً ان [illegible] وقعة بالمهالك فاسرع يوغرطا الى ساحة القتال واظهر [illegible] من البأس والاقدام ما حير الابطال [illegible] له [illegible] من القواد العظام الذين عاجلوا في [illegible] حادثات [illegible] [illegible] بمكنة الملك على البلاد النوميدية وارضاء الرومانيين [illegible] [illegible] الاصغر [illegible]

ولما [illegible] [illegible] [illegible] صرف الجنود [illegible] لمساعدته [illegible] يوغرطا واثنى عليه ثناءً طيبًا ومنحه [illegible] [illegible] وحرضه ان يكون صديقًا

صديقٌ للشعب الروماني ولا يعدل عن عمل كل ما يرضيه ليجزل الحظ وينال المقام العالي ثم امره بالانصراف بعد ما اعطاه كتاباً الى ميكبسا هذا معناه

احيطك علماً ان يوغرثا قائد جنودك قد اظهر في هذه الحرب فعلاً غير الشجعان فساخبر بصفاته الحسنة مجلس وشعب رومية ليجازوه وجلاه كما احبه واجله انا وبناءً عليه اهنئك بمثل هولاء ريب اهل لان يكون ابن اخيك وحيد ميكبسا العظيم

وعلم الملك استحالة هلاك يوغرثا سراً او علناً واراد تلافي الخطب ومصادقته فتبناه واشركه في الملك مع بنيه الشرعيين وحين حضرته ساعة الوفاة ضمه الى صدره وسأله الا يحول عن العهد وان يتذكر احسانه اليه ويعامل ابنيه بمثل ذلك

وبعد ان دفن الملك المتوفى بالنجمة والتكريم اجتمع الامراء الثلاثة للنظر في امور المملكة واصلاح شؤونها عامة وكان اصغر ولدي ميكبسا فتى حاذقاً محتقراً يحتقر يوغرثا ويبغضه وجلس على يمين اخيه لئلا يكون ابن عمه في الوسط وهو محل يحفظ في الاجتماعات لذوي الملكية العالية ويدل في كل حال على الرئاسة فغضب يوغرثا ووغر صدره عليه لا سيما حينما قال انه يجب مراجعة الاوامر التي اصدرها ميكبسا في السنين الخمس الاخيرة اجابه ذلك الفتى نعم بارضى بما تشير به لان ابي قد تساهل في هذه المدة فاشعل هذا الكلام الذي في قلب يوغرثا سعير الغضب وحب الانتقام وارسل رجالاً الى منزل ابن عمه فقتلوه به ليلاً

وعلم النوميديون بما حدث وانقسموا الى قسمين حازب كل منهما احد الامراء واستشبت بذلك الحرب بين الفريقين واحتدمت نار الفتن الاهلية ولما كان الفرسان والابطال يحبون يوغرثا لبسالته انضموا اليه حالاً فتقدم بهم الى ساحات الضرب والطعان واثخن فيهم واستولى على جميع البلاد

ورأى ادربال بن ميسبسا فور حصره والانحصار انه اصبح محاطاً بها من كل جانب فرّ هارباً الى ولاية روماسة ومن هناك اسرع بالذهاب الى رومية

وخشي يوغرتا غضب الرومانيين فارسل على الفور سفراء الى رومية واعطاهم الهدايا الثمينة والاموال الوافرة ليسترضوا الرومانيين ويرشوا القابضين على زمام الاحكام فنجح اولئك الرسل بالتزلف من الكبراء واستمالتهم سيدهم وغض مجلس لذلك الشرف عن اعماله الفظيعة وامر بقسم مملكته بين الاميرين فنال المغتصب حسن نصيبين واكثرهما خيراً انه لم يرض بما جرة بل شن الغارة على ادربال وبعد حروب طويلة استولى على مدينته وأماته شر ميتة . فاغضب هذا الفعل الشعب الروماني وامر يوغرتا بالحضور الى رومية ليبرأ نفسه مما نسب اليه متكلاً على دراهمه ودهائه كبراء تلك المدينة ولقد كاد ينتصر بأمنيته لو لم يقتل هناك نوميديا نسيل ميسبسا اراد ان ينازعه حينئذ امره المجلس بالخروج واوعز اليه ان يبارح ايطاليا حالاً فقيل انه لما خرج من رومية فاه بهذه الكلمات بتمامها مدينة مبيعة على الفساد والرشوة انك على شفا الخراب ولا يعوزك غير مشترٍ يشتريك

واراد الرومانيون تأديب وعقاب ذلك الطاغي فارسلوا الى افريقيا جيوشاً جرارة سنة ١١٠ ق.م واملوا ان يفتكوا بها ذلك الرجل المحتال ولكن دهاءه وصنع الفؤاد حالا دون النجاح والبسا ملك الامة العظيمة ثوباً من الذل والعار لان الملك النوميدي قدر ان يستميلهم بالدراهم الغزار فاهملوا واجباتهم وقضوا اياماً كثيرة بالتجوال في البلاد بلا فائدة واخيراً حينما رجع القنصل رئيس تلك الجنود الى رومية اغتنم يوغرتا الفرصة وحارب عساكره وقهرهم واكرههم ان يمروا تحت النير دلالة على الذل والعبودية

ولما بلغت تلك الاخبار الشعب الروماني غضب جداً وبعث سنة

١٠٩ ق.م ميتلوس مع جيش جمهوريته وكان هذا القائد خبيرًا بالفنون
الحربية ورجلاً فاضلاً لا يؤثر شيء على حب امته والبلاد فاتى افريقيا وباشر
الحرب بهمة وحكمة فنال على عدوه نصرًا مبينًا واستولى على المدائن الحصينة
ولقد كاد يذلل جميع المصاعب ويقبض على يوغرتا اسيرًا لولا ماريوس
احد قواده الذي رغب في الارتقاء فحمل الرومانيين بدهائه ومكره على
اقامته قنصلاً وتقليده قيادة الجيش

وفي سنة ١٠٧ ق م وصل ماريوس الى افريقيا واثار على النوميديين
حربًا عوانًا فقهرهم مرارًا وشتت عساكرهم في البلاد واكره بوكخس ملك
موريتانيا وحما يوغرتا على العدول من ساحة القتال وطلب السلام وارسل
اليه حاجبه سيلا وهو رجل يقل نظيره في الدنيا ودليل ذلك ما سنراه في
هذا الكتاب عن اعماله العجيبة التي تشهد له بالبراعة والفطنة ولكن لا
نبرئه من المكر الذي اتخذه شعارًا ولا نبخس سيرته التي سودتها قساوته
وجعلته مثالاً للحقد وحب الانتقام

وحينما قال سيلا الملك المغربي اخبره ان المجلس الروماني رضي بابرام الصلح
معه بشرط ان يشتري السلام بخدمة مهمة وبسلم صهره يوغرتا الى الرومانيين
فتردد بوكخس زمانًا طويلاً حتى انه عزم ان يقبض على سيلا ويسلمه اسيرًا
الى يوغرتا غير ان هذا البطل الروماني تغلب عليه بمكره ودهائه واراه
جليًا ما وراء غدره من الاخطار وخوفه من غضب الرومانيين فحمله على
خيانة صهره الذي دعاه اليه بحجة انه يريد محاربته ولما حضر قبض عليه
وسلمه الى سيلا مكبلاً بالقيود وهكذا انتهت هذه الحرب الشهيرة التي كان
بودنا ان نتكلم عنها بالتفصيل حسبما روى ذلك سلست المؤرخ اللاتيني البليغ
لولا وجوب مراعاة المناسبة في الاخبار من حيث الاسهاب او الاختصار
وخوفنا من ملل المطالعين في ديارنا العربية لانهم لم يعتادوا درس الحوادث
القديمة بهمة ونشاط فيسرون من كثرة الاسماء الاعجمية وتستك مسامعهم

من الماطهِ الوحشية فيجحدون ما نكتبهُ وراّم طهرياً كما انجدوا كتباً اخرى تاريخية اليها او ترجمها بعض الفصلاء من ابناء الوطن ولا ذنب على اولئك المؤلفين او المترجمين سوى انهم لم يبسطوا الكلام على الاخبار التي تستلفت نظار المتفكهين ولم يهملوا الحوادث القليلة الاهمية المملوّة بالالفاظ الغريبة التي يجب حصرها في الجداول التاريخية او تركها راساً لانها من مباحث الاسفار المطولة . وهناك ايضاً ذنب اخر وهو ان بعض المترجمين غير مصطلع بلغتهِ التي يكتب فيها او ينقل اليها فيلتزم الترجمة الحرفية ويعسر عليهِ احياناً فهم غرض المولف فياخذ في التاويل والتحريف وهو يخبط خبط عشواءَ فياتي كلامهُ لغواً وعباراتهُ خارجة عن حد التركيب المالوف وبعضهم يكون قليل المعرفة باللسان الذي يترجم منهُ فينصرف بالمعاني وهو لا يدري

وكان سيلاً يفخر ماريوس ضمنه على الملك النوميدي حتى انهُ عمل خاتماً نقش عليهِ صورتهُ وصورة باكخس آتياً يسلم اليهِ يوغرتا الذي أُحضر الى رومية ومشى امام مركبة القائد الظافر حينما احتفل بنصرهِ ثم طرح بالسجن ومات فيهِ جوعاً

الفصل الثالث

في حرب السمبريين والتيتونيين والحرب الاهلية او الايطالية

ان تاريخ الشعب الروماني هو بالحقيقة سلسلة قتال وفتن فلا تكاد هذه الامة توصد باب حربٍ الا ويفتح الزمان لها ابواباً لذلك لم يكن فرحها بانتصار ماريوس او قهر يوغرتا خالصاً من شوائب الكدر لان السمبريين والتيتونيين وهم قبيلتان ساكنتان في الجهة الشمالية من اوربا زحفوا الى الجنوب

بالقرب من جبال الالب واخذوا في تخريب ونهب البلاد العامرة فارسل
المجلس الجيوش اللازمة لقمع هولاء البرابرة ولكن قواد تلك الجيوش كانوا
جاهلين غير متفقين فانكسروا سنة ١٠٤ ق.م كسرة مهولة لم ير الرومانيون
نظيرها منذ تاسيس مدينتهم لان الاعداء قتلوا منهم ثمانين الف رجل
واربعين الفاً من الخدام والتابعين غير ان هولاء الاقوام الظافرين لم
ينتفعوا بنصرتهم بل طرحوا الذهب والفضة والامتعة الثمينة التي غنموها في
النهر ومزقوا الثياب وكسروا السلاح واغرقوا الخيل وعلقوا الموتى باغصان
الشجر وعوضاً عن ان يجتازوا جبال الالب ويدخلوا الى ايطاليا رجعوا الى
اسبانيا فهزمهم هناك السلتبريون والجأوهم الى رجوع من حيث اتوا

ولا يمكننا تصور الكدر الذي استولى على الرومانيين حينما نعي لهم
ذلك الجيش الجرار فهاجوا وامروا بخلع القائد عن منصبه وحجز املاكه
ولا يخفى ان هذا الامر قصاص قاس لم يعاقب به قائد قبلاً

ولم ير الشعب في هذا الضيق رجلاً اقدر من ماريوس على انقاذ
الوطن من مخالب الاعداء فاقامه قنصلاً اربع سنوات متوالية وذلك
مضادٌ للعوائد الرومانية والقوانين فشرع ذلك القنصل يستعد للحرب
والكفاح ويعود جنوده الاتعاب والصبر عليها ثم زحف وعسكر على نهر
الرون فالتقى هناك بالتوتونيين الذين ابى مقاتلتهم اولاً [illegible]
عساكره وجعلهم يالفون صياح البرابرة الشبيه بعواء الذئاب ولا يجزعون
من مناظرهم الوحشية القبيحة قيل ان قائداً تيتونيا قوياً طويلاً اراد
مبارزته فاجابه اذا كنت تحب الموت فاذهب واشنق نفسك . ولما راى
التيتونيون ان الرومانيين يرفضون القتال رحلوا الى ايطاليا فتبعهم القنصل
وهجم عليهم بالقرب من مدينة اكس سنة ١٠٢ ق . م وقتل منهم واسر اكثر
من مئة الف رجل وفي اليوم التالي اتى ماريوس رسول من رومية واخبره
انه اقيم قنصلاً مرة خامسة فسبب هذا الخبر في المعسكر فرحاً عظيماً واخ

لذلك السرور عامة

وفي سنة ١٠١ ق م التقى الكمبريون والرومانيون عند نهر البو وشرع كل فريق يستعد للكر والكفاح ويظهر ان الكمبريين لم يبلغهم خبر انكسار التنتوبيين او لم يصدقوه فارسلوا رسلاً يطلبون الى القنصل ان يعطيهم اراضي ومدناً كافية لسكنهم مع اخوتهم

— ومن هم اخوتكم

— فقالوا له التنتوبيون

فضحك جميع الحاضرين من كلامهم غير ان ماريوس [illegible] واجابهم قائلاً

— لا تهتموا بشأن اخوتكم لاننا قد اعطيناهم ارضاً كافية سيملكونها الى الابد

فغضب السفراء جداً وظهرت على وجوههم سمات الحنق وقالوا له ستندم على كلامك لان الكمبريين سيتكلمون [illegible] على احتقارك [illegible] وحينما يصل التنتوبيون سيقاصونك قصاصاً لا يبقي ولا يذر

[illegible] ماريوس [illegible] واظهر [illegible] ان [illegible]

[illegible]

[illegible] ورجعوا في الحال يخبرون قومهم بما جرى

واتى الكمبريون [illegible] وعسكروا في مكان قريب من الرومانيين ورتب [illegible]

[illegible] القنصل

[illegible] واعداءهم [illegible] القتال ولكن [illegible] في سهل فرتشلله

وفي اليوم المعين التقى الجيشان واشتبت الحرب وكانت عوانًا وقاتل الفريقان في ذلك النهار فتدل من ستمات وثبات الابطال الا ان الرومانيين انتصروا اخيرًا على اعدائهم وكانوا بهم تنكيلاً واسروا ستين الف رجل وارادوا الدفين وسمعت هذه الاخبار رومية ليلاً ففرح الشعب جدًا واخذ يقدم قرابين المريوس كما يقدم للآلهة ودعاه مؤسس المدينة الثالث

ان لفظة ايطاليا كانت تطلق قديمًا على الاراضي الواقعة داخل نهر الروبيكون (الان نهر لورا حسب منشور البابا سنة ١٧٥٦ غير ان البعض يرجح كونه نهر بيراتلو وهو ابعد منه قليلاً الى الجهة الشمالية) الذي يصب في بحر الادرياتيك بالقرب من مدينة ريميني الحالية ونهر اربوس (الان اربو) الذي يصب في البحر الترسي الواقع بين سرديينا وايطاليا القريب من بيزا وهي اعظم مدينة في أتروريا (الان توسكانا) وكلا النهرين واقع في عرض درجة ٤٤ شمالاً ما البلاد الواقعة وراءهما الى سفح جبال الالب فكانت تدعى غاليا السيزالبية وهي قد اخضعت من زمان وجعلت ولاية رومانية

ولم يحسب الرومانيون الايطاليين رعية لهم حلفاء تختلف شروط محالفتهم باختلاف الازمنة والوسائل التي اخضعوا بها وساءه عليهم لم يكن لهم جميع امتيازات وحقوق الوطنيين سكان رومية غير ان اللاتينيين كانوا ممتازين عن الامم المجاورة والصابيين كان لهم حق الاقتراع لذلك لم ينهضوا مع الباقين في طلب المساواة

وكان الحلفاء مجبرين ان يقدموا للرومانيين جزية معلومة في كل سنة وان يقدموا عساكر لمساعدتهم وقت الحرب غير ان تلك العساكر كانت منفردة وحدها لا يمكنها الاختلاط مع الفرق الرومانية الخاصة اما قوادها فكانوا رومانيين يتبعون اوامر قائد الجيش العام

وكان الايطاليون من زمان طويل يطلبون الى الشعب الروماني منحهم جميع الحقوق الوطنية فبدلاً من ان يمنحهم تلك الحقوق التي استحقوها بشجاعتهم واخلاصهم للحكومة الجمهور بقتل الحكام والكبراء الذين حاربوهم فانحدوا اذ ذاك جميعهم وثاروا على رومية سنة ٩٠ ق.م حرباً عواناً دامت سنتين ولم تنتهِ الا بنيل مارغبوا

الفصل الرابع
في حرب مثريدات الاولى
وعداوة ماريوس مع سيلاً

ان مثريدات ملك بونتس الذي نازع الرومانيين زماناً طويلاً السلطة على البلاد الاسيوية ارتقى عرش مملكتهِ في السنة الثانية عشرة من عمره ولما كان هذا الامير عاقلاً نصيب اراد اوصياؤُهُ ان يهلكوهُ وهو صغير فاركبوهُ فرساً جموحاً اخذ يعدو بهِ الرذيق وهو يعير وبعد غير ان مثريدات تخلص من الخطر بمهارتهِ وثبات جنانهِ ولانهُ رجع الى قومهِ آمناً سالماً قبل انهُ كان مولعاً بالطب والتطبيب حتى ان اعوانهُ لكي يترلفوا منهُ كانوا يجرحون بعضاً من اجسادهم ليعالجهم ويبدر شفاءهم وادعى انهُ يحب الصيد ليحو من القتل ويكون على حذر خارج المدينة فقضى سبع سنوات جائلاً في الرياض والغياض بين الجبال والآكام لا ينام في بيت ليلة واحدة على ان هذه العيشة وتلك الاتعاب ولدت في نفسهِ الشجاعة والثبات وعودتهُ الصبر على الاهوال والرزايا فشب دونهُ مغواراً يصطفي ... رهُ وجبارٌ لا يجارى في ميادين الضرب والطعان فقتل اوصياءَهُ وامهُ واخاهُ ورحف بعسكره واخضع قسماً عظيماً من البلاد المكينة (الان ...) وغيرها واخر

التراكيين ومن يجاورهم ان يحاموهُ ويساعدوهُ بجودهم ويظهر ان نصرانه هذه قد زادت امنهُ وازالت على ما رغم جميع العقبات التي تقف في طريق نجاحه فصحت انظاره الى افتتاح آسيا فغادر بلاطهُ وسافر متنكرًا مع بعض اصدقائهِ يجول في البلاد ليرى قوة المدائن والحصون والمظنون ان هذه الرواية قد اختلقها الرومانيون ليشهروا اعداء الملك في الحرب التي سنأتي على ذكرها في هذا الفصل

وحدث ان ملك كادوكية تزوج كودكي اخت متريدات فولدت له غلامين وكان ملك البونتس جاهدًا في الاستيلاء على تلك البلاد فاغتال صهرهُ وسعى ليقتل ابني اخته غير ان نيكوميدس ملك بثينيا زحف بجنوده وافتتح كادوكية وافترن امسكة

ولما سمع متريدات ما جرى اسرع لمحاربة خصمهِ فقهرهُ وملّك ابن اخته الاكبر الذي دعاهُ بعد ذلك سدده لانهُ عصى اوامرهُ ولم يرضَ بارجاع غورديوس قاتل ابيه من المنفى ثم طرد ابن اخته الآخر وولى ابنهُ وهو صبيٌّ لا عمرهُ ثماني سنوات دعاهُ اريارانس واقام لهُ وصيًا غورديوس المذكور وكان احكم الذين اقامهم متريدات ظالمين طامعين فملّ الكبادوكيون من جورهم وارسلوا يدعون ابن ملكهم ليتولى مملكتهُ عليهم فاتاهم هذا الفتى على جناح السرعة وحاربهُ متريدات لانهُ الكسر ومات

وخشي نيكوميدس من ملك البونتس الذي استولى الان على كادوكية وقويت شوكتهُ ان تدفعهُ المطامع الى افتتاح البلاد البيثينية المجاورة لها فاتى بفتى صبيّ ادعى انهُ ابن ملك كادوكية المقتول وارسلهُ الى رومية مع الملكة لوديكي يسال المجلس ردّ مملكته ابيه عليه وعلم ذلك متريدات فبعث بغورديوس ليدحض دعوى خصمه ويثبت ان الغلام المذكور هو ابن الملك الحقيقي ويلوح ان الآباء اعضاء المجلس ادركوا ما وراء دعوى الفريقين من المكر والخداع فاخذوا كادوكيا من متريدات وبافلاغونيا من نيكوميدس

(هي بلاد استولى عليها هذا الامير ظلماً وعدواناً) واعتبروا انهما حرتان مستقلتان ولما كان الكبادوكيون معتادين لحكومة الملكية طلبوا تولية ملك عليهم واختاروا لذلك رجلاً شريفاً اسمه اريوبارزاس

ولم يجاهر متريدات الكبادوكيين بالعداوة ولكنه ثار عليهم الارمينيين فاستجاروا بالرومانيين الذين ارسلوا في الحال سيلاً الى آسيا ليصلح احوالهم ويطرد المعتدين ففعل ذلك سيلاً ورجع من حيث اتى في سنة ٩٢ ق م

وكان تيغراس ملك ارمينيا قد افتتح مدائن واقاليم واسعة شاسعة فاصبح مرهوب الجانب يخافه جميع الامم المجاورة فبرلف متريدات اليه وزوجه ابنته كليوبترا ثم اغراه بقتال الكبادوكيين فزحف الارمني بجنوده ولما علم بذلك اريوبارزاس ترك عرش مملكته ومملكته وفرّ هارباً يطلب نجاة

ومات في هذه الاثناء نيكوميدس فيلوباتر ملك بيثينيا وخلفه ابنه المدعو ايضاً نيكوميدس وكان الرومانيون راضين به فاصدر مجلسهم امراً يثبت جلوسه على اريكة آبائه الا ان اخاه سوكراتس خرستس ادعى ان له حقاً بالملك فاستعان بعساكر متريدات وحاربه وخلعه

وعلم الرومانيون ما حدث فارسلوا سفراء الى آسيا ردوا على المسكين المعزولين ما فقداه وكان متريدات يود التظاهر بمصادقتهم فقتل سوكراتس خرستس المغتصب الذي لجيء اذ ذاك الى بلاده مستجيراً

وحالف متريدات في ذلك الحين تيغراس ملك ارمينيا وتعاهدا انهما يتحدان لمحاربة الامم المجاورة واتفقا ان المدائن والاراضي التي يفتحانها تكون ملك الاول اما الثاني فله الحق بنهبها ونقل سكانها الى مدينة تيغرانوسرتا التي كان آخذاً اساسها والتي كان يود ان يجعلها من اعظم مدائن العالم

وكان المعتمدون الرومانيون في آسيا يرومون انتشاب القتال ليتسنى لهم النهب وحشد الاموال فاغروا ملك بيثينيا بمحاربة متريدات

فسن الغارة على بلاده وغز قسماً عظيماً منها فتظاهر ملك بثنوس ان لا علم له بما فعل وامر سفراءه ازرومانيين وارسل اليهم رسلاً يعرضون لهم ما جرى ويسالونهم مدداً لقمع بكوميدس اولاجباره على ارضائه وتعويضه عما خسر وكان السفراء الغربيون يشكون من اعتداء مثريدات عليهم وتمهويه في عدو رومية اكثوبه اسمعف سوكراتس على خلع ملكهم الذي رضيته مجلسها واستولى على محل كبيرة في حرر وبر التركة مع ان الرومانيين حصروا على جميع ملوك آسيا تملك قطعة ارض في اوربا ولو لم يكن ناويا العدر بمن يجاوره لم يجمع الجنود وهو يجهد في محالفة ملوك كثيرين حرنيراجابهم بلوبداس السفير الوطني ان هذا المقام ليس مقام محاكمة وخصام فالامر واضح لا يستوجب الجدل ثم استانف التماسه من من المعتمدين الرومانيين ان يامروا بكوميدس بكف القتال او يسعوا لمثريدات عنه فقالوا له انهم غير راضين بما جرى لان ذلك يضر الجمهورية الرومانية وانهم لا يسعون لاحد ان يعتدي على الآخر

ولما كان مثريدات موقناً ان الكبادوكيين هم المعتدون ارسل ابنه اريارانس بكتيبة الى بلادهم واستولى عليها بعد ثم بعث بلوبيداس سفيراً الى المعتمدين الرومانيين فقال لهم ان غدر ومكر الكبادوكيين قد حملاه على محاربتهم وان مولاه قد ارسل يشكوهم الى مجلس رومية فيلزمهم الذهاب الى هناك ليدافعوا عن انفسهم لديه فغضب المعتمدون من هذا الكلام وامروا مثريدات بالجلاء عن كبادوكية وان يكف كل اعتداء على بكوميدس ثم صرفوا السفير واوعزوا اليه الا يعود اليهم مرة اخرى اذا كان الملك ظل مصرا على العصيان

ولم ينتظر المعتمدون لاشهار الحرب امر المجلس بل جهزوا سنة ٨٧ ق م من الولايات الاسيوية مائة وعشرين الف رجل قسموهم الى ثلث فرق وفرقوهم في البلاد ليحتلوا المراكز الحسنة ويهجموا على الاعداء وامدهم

بيكوميدس بخمسين الف راجل وستة الاف فارس . اما عدد جنود متريدات فكان مائتين وخمسين الف راجل واربعين الف فارس وكان له مائة وثلاثون مركبة مسلحة واربعمائة سفينة حربية وامده صهره تيغرانس ملك ارمينيا وملوك بارثيا خورسان اوسوربا وميد ربعدد عديد من الابطال والفرسان

وهاجم قائدا ملك بونتس بيكوميدس بعشرة الاف فارس ارمني وبضع مركبات فكسراه وشتتا شمل عساكره وعامل متريدات بعد هذه الوقعة الاسرآء بالرفق والاحسان وارجعهم الى بلادهم بلا فدآء . ثم زحف بجنوده الجرارة وقهر فرقة رومانية والجأ الفرقتين الباقيتين الى الفرار فخضعت له البلاد صاغرة واستتب له الامر في جميع تلك الانحاء وبعد ان الانتصار لم يبطره ولم يهيج بصدره حب الانتقام بل صفح عن الاهلين كافة واعفاهم من الديون التي عليهم للحكومة وسمح لهم بجزية خمس سنوات واستولى بعد ذلك على كل مدائن وجزائر اسيا الصغرى ما خلا رودس وقبض على القائد أبيوس الروماني وأكرمه اما القائد اكوليوس فعامله بقساوة عظيمة واركبه على حمار في مقدمة الجيش واجبره ان ينادي وهو سائر انا مانيوس كوبليوس الدروقنصل الروماني وامانه اخيرًا في اراضي برغامه بان صب ذهبًا مصهورًا في حلقه وذلك توبيخ للرومانيين على طمعهم الاشعبي

وعزم المجلس في هذه السنة على محاربة متريدات وناديه تجهز جيشًا جرارًا ولى القنصل سيلا قيادته فهاج ذلك في فؤاد ماريوس حاسات الحسد والغضب لانه كان عدوه وكان يرغب من زمان طويل قتال ملوك آسيا طمعًا بثروة تلك البلاد فسعى مع صديقه سيلبيسيوس احد وكلاء الشعب في عزل سيلا عن منصبه فتم له ما اراده لان المجلس أكره على اصدار امر بهذا الشان لكن سيلا كان وقتئذ بعيدًا عن رومية يحارب او يحاصر

مدينة نولا فلم يصدع بامر المجلس وقتلت عساكره الرسولين المرسلين لابلاغه ما حدث ولما علم ذلك ماريوس قتل كثيرين من اصدقائه وحجر املاكهم وهو يريد بهذا الامر ان يشفي غليله وينتقم من عدوه الالد حينئذٍ زحف سيلاً بجنوده الى رومية ودخلها بعد ان قهر اعداءه وجمع المجلس في الكابيتوليوس واوعز اليه ان يصدر امراً بنفي ماريوس وابنه وسلبيسيوس ونسعة اخرين فلم يجسر الاعضاء ان يفوهوا ببنت شفة بل صدقوا جميعهم على ما طلبه

ولم يكتف سيلاً بنفي عدوه بل أهدر دمه ووعد من يقتله جزاء فغرّ ماريوس من رومية هارباً وهام على وجهه في المدن والبحار وما زال محفوفاً بالمشقات والاخطار حتى التقى اعداؤه القبض عليه في مرج منتورني وقادوه اسيراً روى المورخون انه قال لجندي سمبري هم بقتله اتجسر يارجل ان تقتل ماريوس فجزع السمبري وهرب واجد يعدو حتى وصل الى المكان المجتمع فيه شعب تلك المدينة فطرح سيفه وصرخ لا يمكني اداء هذا القتل ويظهر ان المنتورنيين اشفقوا عليه وحاولوا نجاته فجهزوا له مركباً واعطوه زاداً وسمحوا له بالرحيل عن ديارهم

وظل هذا القائد الشهير تائهاً حائراً حتى وصل الى افريقيا فنزل بين اطلال قرطجنة فرسول والي تلك الولاية وامره ان يرجع من حيث اتى فاجابه اذهب وقل لمن ارسلك انك نظرت ماريوس بين اطلال قرطجنة ومعنى هذا الكلام ان ما حدث له ولتلك المدينة العظيمة مثال صريح لغدر الدهر يعلم الوالي الحذر من صروف الزمان

ولما كان سيلاً قد غادر رومية ورحل لقتال متريداتس قدر ماريوس ان يرجع اليها سنة ٨٦ ق م آمناً سالماً لان شدنه سنا الذي قيم فصلاً اعانه على ذلك فدخلها مع اربعة الاف عبد قوي شجاع واوعد واحد بقتل الاعلين شاوراً فتشعر سما الادن فمنية فمل رجل رري

قد استولى على مدينة عنوة ووجهها صارماً ومشهراً سيف الانتقام لا يعرف سوى سفك الدماء ونهب المهج

وكان اعداؤه واصدقاؤه يرتعدون خوفاً لان حيوتهم كانت متوقفة على اشارة او التفاتة منه وكثيراً ما كان عواقة الاشرار يتكون بالاولى لا يرد عليهم التحية والسلام وبينما كان الدم جارياً في شوارع رومية كالانهار نهض ذلك الوحش البربري وقص على الشعب الخشع ما عاناه من المشقات والاخطار ثم قال انه بعوده الى المدينة قد عاد اليوما حسرة حين نفيو منها

وبعد ان داس هذا الظالم الفاجر نواميس بلاده وشرائع الانسانية اراد ان يستر اعماله القبيحة برقع العدل فصح برائحة الدم بروم قتلهم فمات عدد عديد من الكبراء والعوام بسبب جوره وجور عدلو وفر كثيرون من العظماء الى بلاد اليونان يستجيرون سيلاً واخبروه ان عدوه قد حرق بيته وخرب اراضيه واهلك اصدقاءه واستبد بالسلطة يفعل ما يشاء ويشاء ما لا يجمل فعله ومع كل هذا لم يكن ماريوس يعرف لذة الراحة او راحة الضمير بل كان قلقاً تتقاذفه امواج الهموم لانه كان خائفاً سيلاً وما زال كذلك الى ان قضى في ١٣ كانون الثاني سنة ٨٦ ق م وله من العمر واحد وسبعون عاماً

ولما استتب الامر لمتريدات بقهره الجنود الرومانية اصدر منشوراً الى سكان البلاد بامرهم به ان يقتلوا في يوم عينه لهم جميع الايطاليين الموجودين في مدائنهم رجالاً ونساء واولاداً وعبيداً ومعتقين وان يستولوا على املاك اولئك التعساء وجعل جزاء من يرحم ايضاً الموت الزؤام فمات في هذه المجزرة مائة الف روماني ويشهر ان الآسيويين كانوا اشد عداوة وبعض هؤلاء الغرباء من مساكنهم حتى يرغموا على احد خوف من مجرى دت ل شيء لحيموه الانعام

ولكي يمنع الرومانيين من الدخول الى آسيا عزم على جعل اوربا ساحة القتال فارسل اصغر اولاده المدعو اريارتس مع جيش جرار الى ثراكة ومكدونية وبعث ارخلاوس اعظم واشهر قواده بعمارة الى بلاد اليونان ليغري الشعب بمحاربته بالقوة او الكلام فحالفه الآثينيون وعولوا على مساعدته

وفي سنة ٨٧ ق.م وصل سيلاّ الى بلاد اليونان واسرع لمحاربة الآثينيين فحاصر مدينتهم واخذ يستعد للهجوم لان اسوارها كانت منيعة جداً وارسل يسال الامفكتيون او مجلس الولايات اليونانية المجتمع في دلفي ان يبعث اليه الاموال المدخورة في هيكل الاله ابولو ليجعلها عنده فاذعن المجلس لاوامره واعطاه الاموال المطلوبة وسلم اليه ايضا اهالي اولمبيا وابيدورس اموال هيكل جوبيتر واسكلابيوس

وكان ارخلاوس قائد مثرداتس قد دخل بيرايوس ميناء آثينا فحارب سيلاّ مراراً وردّ هجماته على الاسوار وحدث لذلك وقائع كثيرة اظهر فيها الفريقان شجاعة عجيبة الا ان القائد الروماني تغلب على اعدائه وفتح المدينة عنوة سنة ٨٦ ق م واكره ارخلاوس على الفرار الى سفنه ثم قتل كثيرين من كبراء الآثينيين والعوام وحرمهم حق انتخاب حكام وسن شرائع وسلبهم الحرية التي طالما جهدوا في الدفاع عنها مخاطرين بالارواح ولقي بعد ذلك ارخلاوس في خرونيا وكسره وافنى جيشه الذي كان يكثر عدداً عن جيش الروماني باربع مرار ثم قهر قائداً اسيوياً آخر في سهل اورخومينس وقهره واردى من عساكره خمسة عشر الف نفس قيل ان الرومانيين خافوا جداً حين دنوا من جيش مثرداتس ورأوا كثرة عدده فارادوا الهرب فاخذ سيلاّ راية وتقدم وحده نحو الاعداء وهو يخاطب رجاله دعوني اموت مجيداً في هذا المكان واذهبوا وقولوا لمن يسالكم اين تركتم قائدكم انا تركناه في ارخومنس فثارت فيهم الحمية واحتدمت قلوبهم

نار الشجاعة وبادروا الى الضرب والطعن فدحروا هولاء البرابرة وشتتوا شملهم وبقي ارخلاوس يومين متواريًا في المروج الموجودة هناك الى ان تمكن من الفرار والنجاة

ولما كانت احوال متريدات في آسيا على غير ما رام لضعفه وفجوره ورأى انتصار الرومانيين المبين على جنوده في البلاد اليونانية ارسل يامر ارخلاوس ان يهادن سيلا بالشروط التي يراها موافقة فاسرع ارخلاوس بمحادثة القائد الروماني الذي كان يرغب السلام كرغبة الملك فيه لانه كان يود الرجوع الى ايطاليا لسفك دماء اعدائه محازبي الشام

وكان القائد الآسيوي عالمًا بما هو جار في رومية فقال لسيلا اذا كنت ترضى ان يمسك متريدات على آسيا وبونتس وترجع الى ايطاليا لتخمد نار الفتن الاهلية فامسك يعينك بالمال والرجال اجابه سيلا اذا كنت تخون متريدات وتسلم سفنه الحربية للرومانيين يمكنك ان تحفظ ملك عوضه ويكون المجلس راضيًا عنك ويمنحك لقب صديق وحليف شعب رومية فاشمأز ارخلاوس وظهرت على وجهه سمات الكدر فقال له سيلا انت عبد او صديق ملك بربري ترفض سرأة الملك بالخيانة فكيف تجسر ان تسأل قائد رومانيًا هو سيلا خيانة وطنه لعلك نسيت انك انت ارخلاوس الذي ترك بعد نفسه ام جيشه ... بهلى حروسا وارخومنس رزق لطيور السماء ووحوش الفلا

ولا ريب ان كلام القائد الروماني النصر قد اخاف ارخلاوس واذهله حتى انه رضي حالًا بالشروط التي اقترحها سيلا وهي

اولًا يترك الملك آسيا وبافلاغونيا ويسلم بيتينيا لنيكوميدس وكبادوكيا لاريوبارزن ويسدد الرومانيين لى ... تعويضًا لهم من حدث الحرب ويعطيهم سبعين سفينة حربية

ثانيًا يمسك سيلا متريدات على الاراضي الباقية و ...

صديق وحليف الامة الرومانية

وكان الملك متردداً في التصديق على العهدة فارسل رسلاً يخبرون سيلا انه يرضى بالشروط المقترحة الا انه لا يمكنه تسليم بافلاغونيا والسبعين سفينة عطار الشراس عبي القائد الروماني واجاب الرسل قائلاً أيرفض مثريدات ان يعطي ما مرة ماعطاءه ام يكن واجباً عليه ان يخرّ ساجداً عند قدميَّ ويشكر لي لاني تركت له يده اليمنى التي ذبح بها الرومانيين لذلك سأؤدبه حتما احضر لي اسيا اما لان فدعوهُ يحدث نفسهُ بحرب لم يرها بعد مخالف مثريدات وصدع بامر الظافر الشجاع

وبعد ان اصلح سيلا شؤون البلاد عاد سنة ٨٢ ق.م الى ايطاليا بعوده الحرارة واحتل برندزيوم واسرع بالمسير الى رومية

الفصل الخامس

في استيلاء سيلا على رومية
واقامته دكتاتوراً طول حياته
الى حين موته سنة ٧٨ ق.م

ولما علم اصدقاء ماريوس والقاصدون على زمام الاحكام بوصول سيلا الى يطاليا نهضوا يداً واحدة وجمعوا الابطال والفرسان ورحلوا لقتاله وقتله ان امكن فانتشبت الحرب بين الفريقين مراراً وكان الظفر في جميع الوقائع خاصماً لسيلا ومعقوداً بلوائه لان عساكره كانوا شجعاناً قد اعتادوا الضرب والطعان ورجالاً اماء يحتقرون ارواحهم في ساحات القتال حباً به وحاربه بومبايس وكراسس الشهيران واعاناه على محاربة الاعداء وقهرهم

وبينما كان سيلا راتعاً في بحبوحة النصر المبين وسائرًا في سبل النجاح حدث حادث كاد يوقعة في مهاوي الذل والفشل وذلك ان بونتيوس تليزينوس القائد السمنيتي كان زاحفاً لاعانة مدينة برينستي فبلغة ان سيلا وبومبايس آتيان لمحاربتو فنهض على الفور ومشى الى رومية واراد محاصرتها فخاف الاهلون منة خوفاً لم يروا مثلة منذ ايام انيبال القرطجي غير انهم استعدوا لقتالو وخرجوا عليو ليدافعوا عن مدينتهم فلم يثبتوا امامة ولم يطيقوا كرَّهُ وكفاحة ورجعوا حالاً الى رومية مدحورين

وعلم سيلا بما فعل الاعداء . فاتى بعساكره مسرعاً وهجم عليهم هجمة الاسد الرئبال وحملت الرجال على الرجال وسالت الدماء انهارًا وكان تليزينوس قائد السمنيتيين يجول بين الصفوف يشجع الابطال ويحث الشجعان وهو يقول . هذا آخر يوم من حياة رومية تهدم بهِ المدينة وتدك اسوارها لانها لا تنجو من تلك الذئاب الخاطفة السالبة حرية الايطاليين الا بخراب وجارها ولما كان الرومانيون قد اتعبهم مسيرهم السريع وكانوا قد بادروا الى الحرب قبل ان يستريحوا خارت قواهم وابتدأت جنود الميسرة في الرجوع الى الوراء والهزيمة ولما راى ذلك سيلا ارتبك في امره واخذ صورة الاله ابولو التي كان معلقها في عنقهِ وقبلها وقال ترى بعد ما انتصرت مرارًا عديدة في جميع الاقطار قد اتيت الى وطني لاقهر عند ابوابه واهلك لابسًا لباس الذل والعار

ودام الفوز للسمنيتيين الى ان خيم الظلام وخرَّ تليزينوس قائدهم جريحاً فانكسروا واستولى الرومانيون على معسكرهم واردوهم جميعاً

وكان ماريوس بن ماريوس الشهير قد لجأ الى مدينة برينستي وتحصن فيها فحينما بلغهُ خبر انكسار القائد السمنيتي يئس من الفوز وامر ففتحت المدينة ابوابها لسيلا وخضعت لهُ صاغرة حينئذ لقب ذلك البطل نفسهُ بالسعيد ودخل رومية ظافرًا واخذ في سفك الدماء وقتل الابرياء

ومحرمين بلا فحص ولا شفقة فجرى من المهجات بحرٌ زاخر واصبحت عاصمة العالم والبلاد الايطالية محررًا تذبح بهِ الناس كالاغنام

وتم هذا الصنم اعالهُ الوحشية بان جمع غاية الاف اسير في محل عمومي وامر المجلس بالالتئام في هيكل بلونا القريب من ذلك المكان وبينما كان يخطب كانت عساكرهُ كما اوعز اليها تقتل اولئك الاسرآء التعسآء الذين ملأ صراخهم ونواحهم الفضآء ورعب اعضآء المجلس وتغيرت الوانهم فقال لهم سيلا انتبهوا ايها الآبآء لما انا قائله ولا تبالوا بصراخ بعض اشقيآء امرت بقصاصهم

بعد ذلك شرع في القتل والنهب فلم يصفح عن احد من اعدائهِ ولا اعدآء اصدقائهِ وكثيرًا ما كان اعوانهُ يقتلون اناسًا ابريآء لسبب رفعة شانهم او طمعًا بمالهم وفي ذات يوم قال له كاتيلوس احد اصدقائهِ مع من يلزم ان نعيش اذا كنا نقتل في الحرب الرجال المتسلحين وفي السلم الذين نرام عزلا وسالهُ صديق آخر متى تكون نهاية هذه البلايا ومن هم الذين عزمت على ارداهم والذين ترغب خلاصهم اجابهُ سيلا لست اعلم بعد من سأترك حيًا وطلب اليهِ آخران يعلمهم اسمآء الاولى يريد اهلاكهم فوعدهم بذلك وفي الغد اصدر منشورًا كتب فيهِ اسمآء ثمانين شخصًا حكم عليهم بالموت وامر ان كل من يخلص احدًا منهم يُقتل ومن يقتل احدهم ياخذ جزآء الفي زنة وان املاكهم واموالهم تحجز ولا يجوز لاولادهم ولحفدتهم ان يتولوا منصبًا في حكومة وصريقة القتل هذه هي اهدار الدم واول من اجراها هو سيلا قال سنست المؤرخ انهُ اول من فرض قصاصًا لاناس لم يولدوا بعد واعد ضررًا للاولى حياتهم غير موكدة

وفي اليوم التالي اهدر دم مائتين وعشرين نفسًا وفي اليوم الذي بعده مثلهُ وقال للشعب وهو مجتمع انني قتلت من فطنت بهِ والذين نسيتهم الان سأهلكهم فيما بعد وبالجملة انني لا اعفو عن احد من اعدآئي ثم اصدر

مشهوراً اهدر بو دم ار بعين الفاً من اعضاء المجلس والف وستمائة فارس قبل ان مثريدات لم يذبح من الايطاليين بمقدار ما ذبح منهم سيلا لان جلاديه كانوا يطوفون في البلاد يبحثون عن الذين حاربوا ماريوس ويقتلونهم ولم يكن الذنب فقط محاربة سيلا بل بمساعدة اعدائه او مصادقتهم او اقراضهم دراهم او السفر معهم ولو اتفاقاً وكانت ابصاره طامحة الى الاغنياء ليستولى على اموالهم ويعطيها لاعوانه وقد والى الناس اشقياء لئام. كان اولى بهم الصارم البتار من جملتهم اوبيانيكس وكاتيليينا فالاول فارس روماني من لاريوم قتل امرأة اخيه ليرث اسمه اموال جدته وعصب عصلة اقربائه وارادوا املاكه فهربت الى معسكر مبتلوس وحدث ان سيلا ارسل بعد ذلك سرقة من العساكر الى مدينة لاريوم لقضاء بعض حاجات فذبح جميع الذين قصدوا اضراره والثاني قتل اخاه وطلب الى البروقنصل ان يدرج اسم اخيه بين الذين حكم عليهم بالموت وقبض على رجل اسمه ماريوس غراتيديانوس وجلده في المدينة امام الناس ثم سحبه الى ضريح كسر عليه رجليه وذراعيه وقلع عينيه وقطع يديه واذنيه وبعدما اذاقه من العذاب الوان ضرب عنقه واحضر راسه الى سيلا في الفورم وذهب وغسل يديه في بركة هيكل الاله ابولو المقدسة

وكان يوليوس قيصر في خطر عظيم لان ماريوس الكبير تزوج عمته واقترن هو بابنة سنا فصله سيلا عن الكهنة ارفاقه وحجز املاكه وكاد يقتله لولم يأته كبراء رومية والمتبتلات خادمات الالهة فيستا يلحون عليه بالعفو عنه اجابهم قد تغلبتم عليّ في هذا الامر ولكن اعلموا ان الذي تودون خلاصه سيقهر جميع الاحزاب واذا كنتم لا ترون في هذا الغلام رجلاً يفوق ماريوس يكون الجهل قد اعمى ابصاركم وبصائركم وجعلكم لا تدركون من العالم شيئاً

ويلوح ان قتل الناس وتنكيلهم لم يكفيا ذلك الظالم الطاغي بل امر

يهدم ويخرب مدائن كثيرة كبيرة وذبح قسماً عظيماً من سكانها وقتل جميع
السمنيتيين او ساميوم من ايطاليا مصرحاً ان هذه الامة عدوة الرومانيين فلا
تدعهم ابداً يذوقون لذة الراحة والسلام

ولما رأى اول اصحاب قنصلين تولياه الاحكام حربا على العادة غادر
سيلا المدينة وعاد الى معسكره وكتب منه الى المجلس او الى رئيس لجنة
الاقتراع كتاباً يأمره فيه ان يسأل الشعب اقامة ديكتاتور يقبض على
زمام الاحكام الى اجل غير مسمى لتصلح الاحوال في سائر الاقطار وختم
رسالته بقوله انه يود تقديم هذه الخدمة للجمهور اذا كانت الامة ترضى
بذلك حينئذٍ جمع فالريوس رئيس لجنة الاقتراع الشعب ووضع قانوناً
مفاده اقامة سيلا ديكتاتوراً الى اجل غير مسمى وصدق على جميع اعماله
الماضية واعطاه سلطة مطلقة على حياة واموال الوطنيين

وفي اول كانون الثاني سنة ٨١ ق م احتفل الديكتاتور بنصراته
في الشرق واقيمت الافراح يومين وكان الآباء اعضاء المجلس والوطنيون
الذين نجاهم من غضب ماريوس وسنا ماشين خلفه وهم يدعونه ابا
الوطن وحامي الذمار غير ان بعضاً من عسكره دعاه ملكاً سكران اما التاريخ
فلا يتردد بتسميته ظالماً طاغياً مستبداً

وبعد انتهاء الاحتفال رقي سيلا المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر
فيها اعماله العظيمة ونسب نجاحه الى الهة الحظ ودعا نفسه ملكاً سعيداً واقام
المجلس له تمثالاً كتب عليه اسمه مع هذا اللقب

وكان كثيرون ممن حاربوا ماريوس وسنا قد لجأوا الى سيسيليا
وافريقيا وجاهروا بالعصيان فارسل الدكتاتور بومبايوس ليقاتلهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

على الذين لم يفتصوا قط على زمام الاحكام اجابة بومبايس ان الساجدين للشمس عند اشراقها اكثر جدًا من الاولى يحدقون لها وقت المغيب ولم يسمع سيلا هذه العبارة ولكنه راى سمات الدهشة والانذهال على جميع الوجوه فسال الحاضرين عما يسرون فاخبروه عما قال بومبايس فعجب جدًا من جسارته ورضي بانالته ما طلب

ومعلوم ان سيلا كان مطلق السلطة وقويًا فلو اراد ابطال الحكومة الجمهورية وارتقاء عرش الملك لم يعترضه احدٌ في العالم ولكنه كان يرغب في الاعتزال عن الاعمال السياسية بعد ان يهلك اعداءه كلهم ليمكنه ان يعيش بالراحة والهناء وبناء عليه لم يبق في المجلس الا من كان مديونًا له بحياته وشرفه وماله وحط سلطة وكلاء الشعب وقوى شوكة الشرفاء وقسم بين عساكره البالغ عددهم مائة وعشرين الفًا من الاراضي التي اخذها من رجال الدين ستاهم سيف ظلمه كاس المنون ليظلوا يدافعون عنه وعن شرائعه متى مست الحاجة ولما تم له ما اراده وادرك من العظمة درجة لم يدركها احد قبله استعفى من منصبه وسلم زمام الاحكام لقنصلين جديدين ومضى يتذوق في العزلة لذة الراحة والسلام ولكن ان تلك الراحة ارجل اضنى جسمه التعب واوهنه الرذائل فاعتراهُ مرض رديء جدًا افسد احشاءهُ وكسى جسمه دودًا ولم تكن الاغسال والنظافة تجديانه نفعًا فمات سنة ٧٨ ق م بحالة تعيسة جدًّا وقد امر ان يكتب على ضريحه ما معناه لم يبق احد سيلا في الاحسان الى اصدقائه والانتقام من اعدائه

وقبل الابتداء بحرب مترادات النانية بلغ الى عال واحبار سرتوريوس وهو من اعظم رجال الرومانيين العصاميين ولد في قرية صابينية واشتهر في الحرب التيتونية مع ماريوس وتقلد عدة مناصب عالية وحينما ثارت الحرب الاهلية سنة ٨٨ ق.م حارب العوام ولكنه لم يعادِ ماريوس رئيسه القديم وفي سنة ٨٢ ق.م اقيم واليًا على الديار الاسبانية

مجمع العسكر وذهب الى موريتانيا وكسر فيها باكسياوس احد قواد سيلا وحمئة الاسبانيون لا سيما قبيلة الموريتانيين والقوا اليه مقاليد الامور فعظم منهم حوده فقدر ان يلتقي بها الجيوش الرومانية ويقهرها مرارًا ولما كان اولئك البرابرة جهلاء يعتقدون بالخرافات اراد التسلط على عقولهم الاوهام فربى ظبيًا وكثر الاعتناء به حتى دجن واصبح لا يفارقه فادعى حينئذٍ ان الظبي رسول الآلهة يعلمه اسرار المستقبل فصدق ذلك الاسبانيون وادعنوا لكل اوامره نظرًا عنه عميًا. وبعد ان استولى سيلا على ايطاليا لجأ اليه كثيرون من كبراء تلك البلاد الذين حكم عليهم الدكتاتور بالموت واباه اعاند ورناسه وجمعهم فرقة رومانيه تقويت سوكته وانشأ مجلسًا عاليًا مثل مجلس رومية ووضع مدرسة في مدينة هوسكا (الان أسكا) ليعلم اولاد الاهلين العلوم والاداب وكانت الحرب اذ ذاك ثائرة بينه وبين الرومانيين الذين ارسلوا اليه القائدين متلوس وبومبايس ودامت الحال هكذا الى سنة ٧٢ ق م حين قتله برربا وقواد آخرون في وليمة دعاهم اليها

اما سبرتاكس فولد في تركية وكان اولاً راعيًا فصار جنديًا ثم رئيس لصوص ووقع في ايدي الرومانيين الذين اسروه وباعوه لمدرب السيافة اي اللاتينية غلاديانور وهي لفظة مشتقة من غلاديوس اي السيف وهم جماعة من الاسراء او المذنبين يمرنون على ضرب السيف ويبرزون في اوقات معينة وفي الاعياد العظيمة بميادين الملاعب ويتناوشون امام الجمهور ويسفكون دماءهم ليسر المتفرجون برؤية تلك المناظر القبيحة التي تنفر منها القلوب وتقشعر الابدان ولا اعلم كيف كان الرومانيون يتهافتون عليها ويعدونها من احسن واجمل الملاهي وعندي ان لعب السيف والترس المالوف في بلادنا بالاعياد والافراح ماخوذ عنها . واظن ان لفظة السيافة التي استعملها تدل تمامًا على المعنى المقصود لانه فضلاً عن

كونها ترجمة حرفية لعلاديا تور . نسان اللاتيني قد ورد بالقاموس ان السيوفة هم الذين سيوفهم حصونهم فتأمل) ففرّ من المدرسة مع سبعين رجلاً من ارفاقه ولجأوا جميعهم الى بركان فزوفيوس فانام عبيدٌ كثيرون واتحدوا معهم وتعاهدوا ان يموتوا وهم يحاربون الحصول . حرية واقاموا سبارتكس رئيساً عليهم وقائداً وجاروا يخوضون اروماية زماناً طويلاً وقهروها مراراً فاستفحل امرهم واخذوا يجرسون ايطاليا طولاً وعرضاً ولم يقمعهم سوى كراسوس الذي قتل الرئيس وبدد جموعه

الفصل السادس

في حرب مترِدات الثانية والثالثة

قد طبع ملك البونتس على الطمع وحب الفخار واعتاد وهو صغير خوض عجاج الحروب والصبر على الاهوال فندوق في ساحات القتال ونزال الابطال لذة لا يشعر بها احسث احشاء قصور الامراء بين ربات الخدور وفي خدور ربات الحجال ولذلك حالما ابرم الصلح مع الرومانيين ورأى سيلا قد غادر البلاد شرع في الاستعداد لبسكر والكفاح وبث العدة على الكوخيين فقهرهم وملك عليهم ابنه مترِدات الذي قتله بعد ذلك حسداً وعدواناً وما كان لا يفتر عن تجهيز الاسطول وحشد الجنود ظن الرومانيون انه ينوي الانتقام منهم والبطش بهم فتقدم مورينا وهو القائد الروماني الذي تركه سيلا في آسيا ودخل بلاد كبدوكية واستولى على مدينة كومانا ونهب هيكلها ولما شبت الحرب ونشبت اظفار روحة المريخ زحف مترِدات بجنوده حالاً واضطرمت الحرب ودامت ثلث سنوات الى ان ارسل سيلا سنة ٨١ ق . م رسلاً يامرون الفريقين بكف القتال فاذعنا

لاوامر الديكتاتور وانصرف كل الى مركزه غير ان مثريدات لم يصرف جنوده بل زحف بهم لمحاربة القوقاسيين والساكنين بالقرب من نهر فاريس ليدربهم ويجعلهم ابطالاً قادرين على لقاء الرومانيين في كل آن ومكان

وفي هذه الاثناء كانت الفتن الاهلية وحرب سبارتاكس وسرتوريس قائمة على قدم وساق في ايطاليا واسبانيا فحسب مثريدات انه بمكنة الانتصار على الرومانيين فاغرى تيغرانس ان يجاهر بالعداوة فدخل هذا الملك بلاد كبادوكية واستولى عليها وخرب اثنتي عشرة مدينة منها ونقل سكانها البالغ عددهم ثلثمائة الف نفس الى تيغرانوسرتا مدينته المحبوبة

وفي سنة ٧٥ ق . م مات نيكوميدس ملك بثينيا الذي اوصى بمملكته الى رومانيين فاغضب هذا الامر مثريدات لانه كان يود من زمان طويل الاستيلاء على تلك البلاد فرح اذ ذاك برقع الصداقة واشهر حربه الثالثة مع الشعب الروماني املاً ان ينتصر عليه وينال الوطر لانه جمع في هذه المرة مئة وعشرين الف جندي خاضوا غمار الحروب مراراً واصبحوا خبيرين بالضرب والطعن غير مبالين بالاهوال في ساحات القتال لا يبالون بشرب كاس حمام وعنده ثلثماية مركب مسلحة المناجل تدفع بين صفوف الاعداء فعقد الامارة لجنديه وجهز اسطولاً سفينة كبيرة وتقدم لمحاربة البلاد البنطية براً وبحراً وفتح قسماً منها وزحف لمحاصرة مدينة كيزيكوس وبينما كانت جنوده محيطة بها والقتال منتشب بينه وبين الاهلين جاء ليكولوس القنصل الروماني فهجم عليه هجمة الرئبال فدحره وقتل عدداً عديداً من عساكره فاكرهه على الفرار بحراً الى مدينة باريوم ثم تأثر من بقي من رجاله وهجم عليهم عند نهر غرانيكس فقتل منهم عشرين الفاً واسر كثيرين وشتت شمل الباقين وحينما رجع الى كيزيكوس استقبله شعبها بالترحاب والاكرام وعين له عيداً دعوه لكوليا

وجرت بعد ذلك وقائع كثيرة بين الفريقين كان النصر فيها

للرومانيين الذين استولوا على بلاد البونتس فنجي مثريدات الى صهره ملك ارمينيا وبينما كان منهزماً وعساكر لكولوس تتابعهُ لتأسره ترك في الطريق بردوناً محملاً ذهباً فاشتغل الصار الجنود الرومانية وسهل له الفرار والوصول سالماً الى تيغرانس سنة ٧٠ ق.م

وكان تيغرانس وقتئذٍ اعظم واقدر ملك في آسيا قد الف الحروب من صغره فشب بطلاً مغواراً وقهر امراء كثيرين واستولى على بلادهم ودعا ذاته ملك الملوك وافتتح مزوبوتاميا اي الان الجزيرة ونقل اليها قواماً يونانيين من كيلكية وكبادوكية وكره بعض قبائل عربية ان تاتي بلادهُ وتستوطنها وتتعاطى التجارة فيها ولما مل السوريون من الحروب والفتن الاهلية التي اثارها السلوقيون مولوكهم خضعوا له اختياراً وطلبوا حمايتهُ ليعيشوا بالراحة والهناء تحت ظل رايتهِ الظليل غير انهُ كان متكبراً مجوزاً يحتقر البشر ويظلمهم حتى صغوا لخدمتهِ وعاداته وعليهِ فالملوك الذين عليهم كانوا يمشون امامهُ او وراءهُ متى ركب ويقفون عند قدميهِ صاغرين حينما يجلس على سرير الملك وذلك اشارة الى انهم عبيد عبيدهم القادر ان يفعل بهم ما يشاء ويريد

وكان تيغرانس يستعد لقتال الرومانيين لانهُ ابى ان يسلم اليهم حماهُ مثريدات فجمع الابطال والفرسان وماجت الارض باقدام المحاربين وملأ الفضاء اصوات الجنود وصهيل الجياد وبوح ان لكولوس قد احتقر اعداءهُ ولم يبال بهم فتقدم بجسارة الى البلاد الارمينية ودخلها باثني عشر الف راجل وثلثمائة فارس غير خائف بأس عدوه امير المشرق وملك الملوك الذي اعمى بصيرتهُ وبصره انتصاره القديم على امراء الولايات الصغيرة التي تجاور مملكتهُ فلم يكترث للرومانيين ولم يباشر الحرب بهمة ونشاط بل كل غارقاً في بحار الملذات بين ربات الحسن والجمال وجماعة من المكرآء المغنين الذين يتزلفون اليهِ بالثناء على اعمالهِ التي تستوجب احيانا

الشتم والاهانة وساءه عليهم بعد ان لم يرد ان يعلم بتقدم اعدائه في بلاده لان الرجل التعيس الذي ساقه سوء الحظ الى اخباره بوصول الرومانيين كان جزاؤه شرب كاس الحمام في الحال وما زال لكولوس سائرًا بامان يفتح المدائن ويستولي على الاقاليم حتى وصل الى مدينة تيغرانوسرتا وحاصرها فتنبه اذ ذاك الملك الارمني من رقدة الاهمال وزحف بجنوده لمحاربة قوم نووا على ما زعم ليخرج لموت الزؤام بعيدًا عن الاوطان وحين اشرف ورأى قلة عددهم استغرب وقال اذا كان هؤلاء سفراء فكثيرون واذا كانوا اعداء فقليلون وهكذا قضى نهاره وليلة في المزاح والسخر منهم

وفي صبح الصباح زحف الجيشان للقتال وكان جدول فاصلاً بينهم فوجد الرومانيون يتقدمون الى جهة من النهر راوها احسن مركز في ذلك المكان فظن تيغرانس انهم عازمون على الهزيمة فقال لاحد قواده انظر الى اعدائنا كيف يستعدون للهرب اجابه القائد اود ان يتم هذا الامر الذي احاله مستحيلاً لاني ارى زينة سلاحهم ومغافرهم واعلم علم اليقين انهم ان جردوا الصوارم لا يغمدوها الا بعد الظفر

وبينما كان لكولوس اخذًا في اجتياز الجدول قال له احد اعوانه ان هذا النهار وهو ٦ تشرين اول يتشاءم به الرومانيون اجابه ونحن سنجعله فالاً ثم داوم السير حتى وصل الى قمة رابية ومن هناك هجم على الاعداء في مقدمة جنوده وهو يناديهم دونكم الانتصار فبادروا اليهم كالصواعق وما زالوا يضربونهم ويطعنونهم الى ان قتلوا منهم مائة وخمسين الف رجل وشتتوا شمل الباقين ولم يمت من الرومانيين حسبما روى المؤرخون وافرط في الرواية مبالغة سوى خمسة انفس وجرح البعض وذلك سنة ٦٩ ق . م

ثم رجع الرومانيون بالطريق التي اتوا منها وجمعوا اسلابًا واموالاً لا تحصى وكان تيغرانس قد هرب في ابتداء المعركة واعطى تاجه وهو يبكي

لابيهِ وحرصهُ ان يذهب بطريق اخرى ويطلب النجاة لنفسهِ فلم يجسر الامير البتي ان يضع التاج على راسهِ بل سلمهُ الى احد اعوانهِ الذي اسرهُ الرومانيون واخذوا منهُ التاج المذكور

وذكر الدماء . هذه المعركة وعجزوا جدًّا من انتصار ليكولوس السريع وانكسار تيغرانس العظيم فقال احدهم ان الشمس لم تشاهد قط يوماً كهذا وقال آخران القادرين قد خجلوا من انهم قد استلوا سيوفهم لمحاربة عبيد جبناء محتقرين

ومن الامور التي يجدر بنا الالتفات اليها والتنبه عليها هو امتهان الاوربيين للشرقيين في الزمان القديم والحديث فلك فلا ترى كتاباً من كتبهم يذكرون فيهِ حرباً او فتنة حدثت بين الفريقين الا ويسبون لاعدائهم الاسيويين جبن وخساسة الاخلاق ولعمري انهم يرتكبون في ذلك متن الشطط لانهُ من ينكر شجاعة العرب الكرماء الذين دانت لهم امم الارض صاغرة ومن لا يقرُّ بالشجاعة والبراسة للاقوام الاسيويين الذين رحلوا من بلادهم في اوقات مختلفة واستولوا على المدن والاقاليم واحيوا مدى قرون عديدة الرعب في قلوب الغربيين ولكن لكل زمان دولة ورجال ومعلوم ان الثروة واعتياد بورات النعم والاهمال سبب الخراب لا سيما في الامم المدنية حيث سعد كل متوقف على الجسارة اكثر من الرأي ومع هذا كلهِ لا نرى ان رومانيين في ايام سلاطينهم اقلّ جبناً وخساسة من الارمنيين الذين يعيّرون منهم في هذا المقام ويشركون معهم جميع القاطنين بقارة آسيا الواسعة الارجاء .

وكان حاكم تيغرانوسرتا يائساً من نسبتها الى الرومانيين ويرغب في مداومة الدفاع عنها حادث غير منتظر باتيهِ بالفتح لان اليونانيين الموجودين في المدينة نهضوا يداً واحدة وقتلوا الاهلين المحاربين الحكم واستولوا على حدى القلاع وفتحوا ابوابها للاعداء فدخلها ليكولوس وجنوده وقبض على

خزائن الملك فوجد فيها ما خلا الامتعة الثمينة والجواهر ثمانية آلاف وزنة ذهب وفضة اي نحو مليون واحد وخمسمائة وخمسين الف ليرة انكليزية فمنح كل واحد من عسكره ثمانمائة درهم اي نحو ست وعشرين ليرة انكليزية وسمح للرومانيين ان يرجعوا الى بلادهم واعطاهم ما يلزمهم من النفقات لاجل مشقات السفر وعامل الناقين الذين نفاهم تيغرانس الى هذه المدينة بالرفق والاحسان واذن لهم بالانصراف الى الاوطان فاصبحت تيغرانوسرتا بعد تلك العظمة قرية صغيرة لا ذكر لها بين مدائن الشرق

ولا يخفى ان الزمان خير مؤدب للانسان يكسبه خبرة بالحروب ويكسوه من التجارب ثوب حكمة وفطنة وعليه فتيغرانس بعد ما قهره الرومانيون ذل وعرف ضعفه وجهله فدعى حماه متريدات وفوض اليه صلاح احواله وقيادة جنوده فجمع ملك البونتس في الحال الفرسان والابطال وتقدم لقتال الاعداء فجاء غير منهج الاول وذلك انه كان يجتنب المعامع العظيمة ويرقب حركات الرومانيين ليفتك بهم اغتيالاً ومع وصول القوت اليهم فضاق ليكولوس ذرعا واراد محاربة متريدات بالقوة وسنة كانت ساق عسكره الى جهة ارتاكراتا عاصمة ارمينيا حيث ادخر تيغرانس امواله وابقى نساءه فاغتر الملكان بشجاعة الرومان واسرعا لدفع عن تلك المدينة ولما علم ليكولوس مراد عدوه فرح واستبشر وانقض عليهما انقضاض الصواعق واعمل بجيوشهما السيوف البواتر فقتل منهم عدداً عديداً وشتت شمل الاولى نقوا في قيد الحيوة ولا ريب ان خوف الرومانيين قد دخل في قلب متريدات واساه شجاعته القديمة لانه اول من بادر الى الهزيمة في ذلك النهار واصبحت مدائن ارمينيا بعد هذه الوقعة مفتحة الابواب يمكن الرومانيين دخولها متى ارادوا الا ان العساكر عصت وامر قائدها ليكولوس فكرهوا الانقياد له لان الاموال التي جمعتها من تلك الاقاليم الاسيوية قد غرتهم وشوقتهم الى ايطاليا فطلبت الرجوع الى الاوطان لتتمتع بالراحة والسلام بعد

المثقات والاتعاب وهكذا أكره ذلك اسطل ان يعود الى رومية حينما ذلل المصاعب وانتصر على اعدائه مصارًا مجب فرحل سنة ٦٧ ق م من ارمينيا وخلف قواداً جهلاء اضاعوا بجهلهم ثمر اعماله العظيمة وتركا متريدات ونيغراس يرجعان الى البلاد و يتولى كل منهم مملكته كأنه لم يحدث شيئاً قبلاً

وبلغ مجلس وشعب رومية ما جرى فقلقا جداً وارسلا الى آسيا بومبايس القائد الفتى واصحباه بالجنود والفرسان آملين انه يقمع الاعداء بسالته وتدبيره ويصلح الاحوال المختلة في تلك الارجاء بعظمته واصابة رأيه ولانه كان بطلاً مغوارًا وقائداً حكيماً قد خاض غمار الحروب مرارًا وعاد من ساحاتها مكللاً بالنجاح ومرتديا بالظفر

وحدث ان ابن ملك ارمينيا عصى اباه وفرّ هارباً الى بارثيا واقام في بلاط حمو ملك تلك البلاد فوقعت الوحشة بذلك بين الفريقين وطال النفار ولما كان نيغراس موقناً ان متريدات قد حرض ابنه على العصيان ابغضه ورفض مساعدته في حربه مع الرومانيين فاصبح حينئذ ملك البونتس منفرداً في القتال لا حليف له ولا صديق يعتمد عليه بين الامراء المجاورين

وكان دأب متريدات في هذه المرة ان يتجنب قتال الطامي ما امكن و يفتك باعدائه اغتيالاً متى سمحت له الفرصة فادرك ذلك بومبايس وقدر لمحاربته بلعوبة حربية ان يدهمه ويحبط بمعسكره احاطة الاسورة بالمعاصم غير ان ملك البونتس تخلص من الشرك والاحتيال بخداعه وذلك انه لما خيم الظلام وادلهم الليل ترك النيران والانوار في خيامه ومشى بجنوده سرًا ولم يستطع القائد الروماني ان يحاربه لانه كان يتحصن في النهار بعسكره و يسير في الليل تحت حجب الظلام يصاحب اعداءه

وحينما دنا الملك من الفرات ابصر واذا بومبايس قد ظهر بغتة بجنوده

واحتل ذلك المكان وحال بينه وبين النهر بسبعة من عورو ودخول مملكة تيغراس شهره. ولما كان وصوله حرى على العدة تحت جنح الظلام لم يشعر بالاعداء حتى احتطت عساكره بهم فامر روماييس اولئك الموقين ان يوقفوا والرجال ان ينهضوا ويهجموا على الوشيين الاولى كانوا غير مستعدين لقتال فرعوا وولوا هاربين برون الشجاعة بالفرار والفرار الحساء في كل حال حصن منيع

وتقدم متريدات بسبعة فارس وهجم على صفوف الروماسيين فاخترقها وخرج منها سالماً الا ان هولاء الفرسان تركوه بعد ذلك وساروا وذهبوا الى حيث يرجون المكسب والعيشة فلم يبق معه سوى ثلثة نفس من حشمهم جارية اسمها اسيكراتيا كانت قوية باسلة ترافقه في جميع غزواته ورحلاته وتركب بجانبه وهي لابسة عدة احلاد كالفرسان والابطال

وقدر ملك البونتس وهو هارب هذا على وجهه ان يجمع ثلثة الاف راجل وبعض فرسان عرباء فتقدم بهم الى قلعة اسمها سنوريا على حدود ارمينيا الصغرى حيث كان مدخراً امواله وجد منها ستة الاف وزنة ووزع بين اصدقائه الثياب النفيسة والجواهر واعطى كل منهم سماً كي يسقيه ولا يقع حياً في ايدي الروماسيين وكان راجياً من تيغراس يستقبله بالترحاب ويسمح له بالاقامة في بلاده فخاب امله لان الملك الارمني لم يأذن فقط حالته لكي يسأل له عن حراً من نابيه رابيه ثانورة ونكد حينئذ ذلك الملك التعيس من كثرة اصدقاء واعداء موقفة على سعادته وتعاسته وان رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل فارتد راجعاً واختار بلاده محفوفاً بالاخطار وومضى بعد المشقات والاتعاب الى بلاد البوسفور السميرية حيث كان مالكها ابنه ماخرس. وبنى القائد الروماني في المكان الذي انتصر فيه على متريدات مدينة دعاها نيكوبولس اي مدينة النصر ثم زحف لمحاربة تيغراس فدخل ارمينيا واخذ يفتح المدائن

و بهر الجنود فرعب الملك واتى مسرعاً الى معسكر الرومانيين وجثا عند قدمي بومبايس واعلن خضوعهُ له صاغراً فاشفق عليهِ ورضي بكف القتال وارام الصلح معهُ بشروط منها انه يسلم الى الرومانيين كل البلاد الواقعة وراء نهر الفرات ويقدم ستة آلاف وزنة ويملك على ارمينيا الكبرى ويكون صديق وحليف الامة الرومانية

وزحف بومبايس بعد ذلك واخضع الالبانيين وغيرهم الساكنين في الجهات الشمالية ثم تقدم الى الجنوب واستولى على بلاد ماديا وكوماجن وارسل قائدهُ سكوروس ليفتح اقطار سورية التي خضعت له سنة ٦٤ ق م فجعلها ولاية رومانية وهكذا سقطت الدولة السلوقية بعد ما ملكت مائتين وثمانيا وخمسين سنة

وبينما كان بومبايس في سوريا منهمكاً في اصلاح احوالها وترتيب حكامها اتاهُ سنة ٦٣ ق م رسولٌ من بونتس بخبر وفاة موت متريدات وتولي ابنهِ فارناسس سرير الملك معترفاً جهراً بسيادة الرومانيين ومعلناً بسرور خضوعهُ لهم وسبب ذلك ان متريدات جهز جيشاً جراراً ونوى الذهاب الى ايطاليا لمحاربة الرومانيين في بلادهم كما فعل انيبال القرطجني قبلاً فجزعت جنودهُ من هذه الحملة وادركت الاخطار والمشقات التي تحول دون النجاح فجاهرت بالعصيان واستغنت فارناسس ان يرتقي العرش ويقبض على زمام الاحكام فمر متريدات اذ ذاك هارباً والتجأ الى قلعة واقام بها ينتظر فرجاً ثم ارسل يسأل العصاة عما يرغبون فيهِ وما يطلبون اجابوهُ انهم يريدون تمليك فارناسس لكونهِ شاباً لا يملك قيادة ممالك لتمام ولا يروم توطيد سلطتهِ عليها بغير قوادهِ واصدقائهِ وبنيهِ كما هو دابك

وعلم متريدات ان لا نجاة له الا الموت فخرّ ساجداً ورفع عينيهِ الى السماء وقال ايتها الآلهة الآخذة بثار الآباء ان كنت موجودة حقيقة ارغب اليك ان تجعلي موت فارناسس على يد بنيهِ ثم نهض على قدميهِ واعطى نساءه

وجواربه وسائهِ سماً بجرعة وقضين نحبهن في الحال ولما كان السم لا يؤثر بولانهِ اعتاد شربهُ وهو صغير احترط حسامهُ ليسمر بجرح جسدهُ جرحاً خفيفاً حينئذٍ التفت الى حديّ عاليٌ وقال له ايها البطل قد اختبرت شجاعتك في ساحات القتال واني شاكر لك على ما فعلتهُ لي قبلا فاطلب اليك الآن ان تنعم عليّ وتقتلني لئلا اقع حيًّا في ايدي الرومانيين فصدع الحدي بامره واستل سيفهُ وضربهُ ضربة سقاه بها كاس المنون

ولا يخفى ان مثريدات كان من اعظم الملوك الذين اشتهروا بالشجاعة واصابة الراي لا توقفهُ صعوبة في طريق النجاح ولا تخيفهُ الاخطار ان حالت دون المرام ولقد حكى أسيان الفرنجي في بغضهِ للرومانيين واجتهادهِ في احباط اعمالهم واذلالهم غير ان اجتهادهُ عاد عليهِ كما عاد على ذلك القائد الشهير هانيبال والحرب ومات مينهُ مقهوراً ذليلاً

وبعد ما اصلح بومبايس حالة الممالك التي استولى عليها في الشرق وجاري حدودهُ كما يستحقون عاد راجعاً الى رومة واحتفل بظفرهِ احتفالاً لم يرَ الناس قط نظيره

الفصل السابع

ملخص ترجمة حياة سيسرون

وبورسيوس كاتو وجوليوس قيصر

وسرجيوس كاتيلينا قبل نشوب نار

الفتنة التي اضرمها الاخير

سيسرون — هو ماركس طليوس سيسرون ولد في ٣ كانون الثاني سنة ١٠٦ ق.م قرأ العلوم والآداب على العلماء والفلاسفة المنهورين

في ذلك الزمان مبرع في جميع الفنون لا سيما في الفقه والخطابة ولما بلغ السنة الخامسة والعشرين من عمره رحل الى بلاد اليونان واقام فيها عامين صرفهما في الدرس والمطالعة وبعد عودته الى رومية انتخب باتفاق الآراء خازناً لولاية ليلبيوم في جزيرة سيسيليا فقام بحسب الاعمال التي فوضت اليه واكتسب ثقة الرومانيين ومحبة الاهلين ثم تقلب بعد ذلك في عدة مناصب عالية كان بها عنوان الفضل والشهامة وفي سنة ٦٣ ق.م انتخب قنصلاً وقدر ان يعرف مكيدة كاتليا ويرد كيده في نحره كما هو مذكور في الفصل التالي

بورسيوس كاتو — هو المعروف بكاتو الصغير او كاتو الأُتيكي كان من صغره نشيطاً عنيداً لا يثنيه تعب او خطر عن السعي لادراك ما ينبغيه فشب رجلاً ثابتاً في اعماله غزير الحقائق مهمة عالية وبعض التملق والسفه وكان قبيل المزاح بطيء الغضب ولكنه شديد العداوة لمن يضره او يناويه

ولما كان عمره اربع عشرة سنة كان يتردد على سلاّ لكونه صديق ابيه فرأى مراراً اعوان ذلك الظالم يأتونه برؤوس الكبراء من مية وسمع تنهدات الحاضرين فسأل دات يوم استاذه قائلاً لماذا لا يقتل احدٌ هذا الرجل اجابه الاستاذ لان خوف الناس منه اعظم من بغضهم له فقال له كاتو على الفور لماذا اذاً لم تعطني حساماً حتى اذهب اليه لاهلكه به وارجع البلاد من مظالمه

وكان مولعاً بالفلسفة الرواقية وهي من تعاليم زينو اليوناني ومفادها احتمال المصائب التي تلحق المرء بصبر عظيم تحكيماً واسي الجبال ولكي يقوي جسده ويمكنه ان يطيق الحر والبرد صيفاً وشتاءً كان يذهب في كل الفصول من مكان الى آخر حافياً حاسراً وكان اذا مرض يمتنع عن الاكل ويلزم منزله الى ان يشفى

وبعد ان خدم مدة في خدمة حرب سارتاكس وفي مكدونية ذهب
الى البلاد الاسيوية ليشاهد مدنها ويدرس عوائد اهلها وطباعهم فوصل
الى انطاكية واراد الدخول اليها والاقامة فيها قليلاً لانها كانت من اجمل
المدن الشرقية ولما دنا منها راى عن بعد اناساً لابسين ثياباً بيضاء . ومصطفين
على جانبي الطريق فظن انهم خرجوا لملاقاته ومع ان هذا الامر ساءهُ جداً
لانهُ لا يحب الاحتفال والاكرام امر اصحابه ان يترجلوا اجلالاً لهم حينئذ
تقدم اليهِ الرجل الذي صف الجمع وكان لابساً تاجاً وماسكاً عصا وقال
له اين تركت ديمتريوس (وهو عبد لبومبايس) ومتى يصل ومتى يأتي فضحك
رفاقه حين سمعوا هذا الكلام حتى سقطوا .. ولم يجب الرجل بل
شتمه بل التفت وقال انك من مدينة تعسة

واقيم بعد ذلك حاكماً فصنع اموراً كثيرة وكره الذين احدثوا
في عهد سيلا من حروب حكومته لاجل ذلك الاولى هدر دم
الديكتاتور دمهم ان يردوا ما اخذوه والغنيمة التي كانوا رجالاً بسببه
اعماله وصديقاً صدوقاً لمن يحفظ ذمامه ويسعى الذي لن يعصمه او يقدره
وكان مع هذا كلهِ رفيق القلب حسن الطباع حكيماً يحب العفة والعدل ويبذل
الجهد في محاماة الضعفاء . ورد كيد الظالمين في نحرهم

كايس جوليوس قيصر ولد هذا الفضل سنة ٩٩ ق م من عائلة
شريفة يتصل نسبها بايلوس بن اياس الترواذي وهو من الرجال العظام
او من اعظم الرجال الذين يجود الزمان بهم في كل آن ومكان قد برع في
جميع الفنون وفاق معاصريه بالذكاء واصابة الراي ولا ريب ان سمات
الفطنة والشجاعة كانت ظاهرة على محياه وهو غلام حدث حتى ان سيلا خشي
سنه واهدر دمه كما ذكرنا في محله ولما اشتد ساعدهُ هاجر الى رودس ليقرأ
علم البلاغة على ابولونيوس مولو استاذ شيشرون فاسره القرصان بالقرب
من جزيرة فارماكوسا الواقعة تجاه مدينة ميليتوس في آسيا وسألوهُ ان

يفدي بسبة نعشر بن ورية قنخر منهم ووعدهم ان يعطيهم خمسين ثم ارسل اعوانهُ الى المدن المجاورة ليجمعوا الدراهم المطلوبة وبقي هو مع طبيبهِ وخادمين ثمانية وثلثين يوماً في سجن هولاء الاشقياء . وكان يمضي ساعاتهِ في نظم الاشعار وتاليف الخطب وقراءة ما يكتبهُ للقرصان الذين كان يهددهم بالصلب وهو يمازحهم ولما نقد الدراهم التي طلبوها اطلقوا سبيلهُ فذهب الى ميليتوس وجهز بسرعة عجيبة جميع السفن الصغيرة التي وجدها في تلك المدينة وتاثر القرصان وقاتلهم فاغرق بعضهم واسر الباقين وصلبهم على رغم البر وقنصل الذي كان يرغب بهم طمعاً بالمال

وحين رجوعهِ الى رومية اخذ يتزلف من الكبراء ويجهد في مصادقة الجميع وكان كريماً مسرفاً حتى ان اعداءهُ ظنوا سقوطهُ قريباً لكثرة الديون التي عليهِ ولكونهِ زير نساء ميالاً للهو والمسرات

وكان يحب ان ياخذ دائماً ناصر الشعب ويرد عليهِ الحقوق والامتيازات التي حرمهُ اياها سيلا وحينما توفيت عمتهُ جوليا زوجة ماريوس ارتقى المنبر في الفورم وابنها وأمر بعمل صور بعلها في الجنار وكان سيلا قد ابطل هذه العادة فسرَّ الجمهور جداً بما فعل وانصرف وهو يثني عليهِ ويعجب من شجاعتهِ وجسارتهِ ولأن امرأتهُ كورنيليا سنة سنّاً وذلك ايضاً مخالف للعوائد لان النساء الشابات لا يجوز تابينهنَّ

وبعد ان تقلد عدة مناصب عالية اقيم اديلاً (انظر معنى هذا اللفظ صفحة ٩٠) فاحتفل بعيد لابيو واتى بستمائة وار بعين سيافاً تقاتلوا وتصارعوا امام الشعب وعمل اعمالاً اخرى كثيرة لاشهار اسمهِ وارضاء . العوام واغرائهم بمحاربتهِ وفي سنة ٦٣ ق م انتخب حبراً اعظم بكثرية الاصوات مع ان انتخابهُ لهذا المنصب كان مخالفاً للقوانين الرومانية لانهُ كان فتياً لم يتول بعد القضاء .

وخلاصة الكلام عن هذا البطل انهُ كان من احسن العائلات الشريفة

ربي في حجر التمدن والتهذيب فشب شهماً شجاعاً اديباً لبقاً كريماً يحب الشعب ولا يبالي بالاخطار في عمل ما يرضيه

لوسيوس سرجيوس كاتليبا — هو سليل عائلة شهيرة كان غريب الاطوار فاسد الاخلاق ولقد اجاد بعضهم وصفه اذ قال كان هذا الرجل ذا عقل ثاقب ولسان طلق ويد قادرة على اجراء اعظم الاعمال واصعبها وكان دأبه مذ شب القتل والنهب واثارة الحروب والفتن الاهلية لا يبالي بالمشقات وعنده سفك الدماء الذ من معاقرة الراح ومنادمة الخلان الا ان اطاعة اهوائه كانت تدفعه الى مهاوي الاخطار فيقدم على اعمال دون اجرائها خرط القتاد

واحب سيدة شريفة فض بكارتها واغتصب ابنة مشتبة وقتل ابنه ارضاء لامرأة علق بها قال سلست واظن ان فعلة هذا قد مهد له سبيل العصيان لان نفسه الشريرة المكروهة من الآلهة والناس كانت في عذاب دائم تطلب الراحة ولا تجدها لذلك كان اصفر الوجه وهيئته هيئة رجل ذي جنة

الفصل الثامن

في مؤامرة كاتليبا

لا يخفى ان نجاح الممالك في العالم اسباباً جديرة بالاعتبار اهمها الاتحاد وحب الوطن فلو لم توجد تلك الصفات الحسنة في قلوب الرومانيين منذ تأسيس مدينتهم لم يصلوا الى هذه الدرجة العالية من سلم المجد والفخار لكانت ايدي الخراب قد اغتالتهم وجعلتهم يبيدون من الارض — ولو كان القابضون على زمام احكام الجمهورية قبل هدم قرطجنة مثل ماريوس

وسلّا وكاتيلينا وغيرهم ممن تعرق جبهة الانسانية عند ذكرهم خجلاً لسلطة
رومية وخضعت الشعوب المجاورة

ويظن بعض الجهلاء ان حب الوطن هو من الامور الوهمية التي
لا تتعدى حيز التصور لان الانسان يحب ذاته بالطبع فلا يمكنه ان يجعل
مصلحته الشخصية ظهرياً ويجتهد في نفع غيره فنقول ان ما زعمه هؤلاء جهل
مركب لان حب الوطن هو بالحقيقة حب العاقل لذاته لان الامة اذا تعاونت
وتعاهدت في احياء السلام الداخلي وتوسيع نطاق الاعمال وتوفير اسباب
النجاح عاد ذلك بالربح والصلاح على كل من افرادها واي فخر يفخر الانسان
ان كان نظير كاتيلينا الشرير الذي جمع حوله ضعفاء عقولهم الفساق وسفك
الدماء واعدهم للحرق وهدم مدينة رومية وذبح اعضاء المجلس ونهب
الاغنياء وكان يشجعهم ويستميلهم على تلك الاعمال بخطبه الحماسية وكلامه
البديع من ذلك قوله قد ساءت بقوم احوالنا واصبح زمام الاحكام بيد
بعض اناس ظالمين يتسلطون على الارض ويتمتعون بالاموال التي
يسلبونها ملوك والامراء غير مبالين بالشعب كأن الشعب عبد خاضع
طوع [illegible] هلموا بنا نخلع ثوب الذل ونموت شرفاء
في ساحة القتال او نفوز بالمنى واعلموا ان [illegible] فرصة وأكيد وان الحرية
والاموال والفخار هي ثمن الانتصار فبادروا الى [illegible] ما طالما تمنيتموه

وبما كان هؤلاء الفتيان قد قنطوا من الحياة لانهم فقراء اثقلت الديون
كاهلهم واوغلوا في النهب والقتل جهراً وتوسموا في الانقلاب السياسي حياة
جديدة وعيشاً رغداً الى الممات فبادروا الى رئيسهم متطوعين واستعدوا
لركوب متن الاخطار غير مبالين وكان من جملتهم شخص شريف اسمه
كوريوس قد طرد من المجلس لسبب خسته واعماله القبيحة وكان هذا الرجل
مهذاراً لا يحفظ سراً ويخبر اعداءه واصدقاءه بكل ما يعمله حتى انه لم يكن
يستطيع ان يكتم من الناس ذنوبه التي اقترفها والتي يود ارتكابها فاسرّ الى

حينئذٍ ما بورسيه معلة مع اردقو فاخبرت عن اصدقائها واخبر هولاء اصدقاءهم ولم تمض مدة الا وداع الخبر فارحس الاهلون خوفاً واخذوا يتحدثون بما كان وما يكون واقاموا سيسرون قنصلاً ليتلافى الخطب ويصلح الاحوال

وكان كاتليا يسعى ان يكون قنصلاً ليمكنه ان يجري ما يروم اجراءه بسهولة فعلم ذلك سيسرون واتخذ الوسائل اللازمة لمنعه فقصد اذ ذاك كاتيليا الى قتله مع بعض رؤساء المجلس يوم الانتخاب الا ان القنصل بلغه ما دبر عدوهُ فاخر زمن الانتخاب وفي اليوم التالي بينما كان المجلس مجتمعاً شكاهُ الى اعضائه وامرهُ ان يبرئ نفسه امام الجمع فتقدم كاتليا الشرير وعوضاً عن ان ينكر او يجهد في تبرئة نفسه قال لهم ان الجمهورية مؤلفة من شخصين (يعني المجلس والشعب) احدهما مريض ورأسه ضعيف والآخر ثابت لا رأس له ولا يحتاج الى رأس ما دام حيّاً واجاب كاتون قبل ذلك ببضعة ايام ان النار اذا اضطرمت وحرقت امواله لا يطفئها بالماء بل بخراب عمومي

ومن ذلك الوقت زاد همة ونشاطاً في انفاذ ما نواه فارسل كثيرين من اعوانه الى المدائن الايطالية لاثارة الفتن واستمالة الاهلين واقام هو في رومية يستعد لقتل القنصل وحرق المدينة وامر رجاله ان يتسلحوا ويكمنوا في جميع الاحياء وكان يقضي نهارهُ وليله بلا نوم منهمكاً في تحقيق امانيه وتتميم اغراضهِ الشريرة وكانت الرسائل ترد تترى الى سيسرون والكبراء تحذرهم من كاتيليا وتحرضهم على الخروج من المدينة والفرار فاجتمع المجلس حينئذٍ وفوّض الى القنصلين امر صيانة الجمهورية من الاخطار ومنحهما الحرية باجراء كل ما يريان اجراءهُ لازماً

وجمع كاتليا رجاله في ذلك الليل واخبرهم انه ذاهب الى بلاد أتروريا ليتولى قيادة الجنود التي جهزها هناك وامرهم ان يحرقوا المدينة ويقتلوا

الاهلين في يوم عينهُ لهم وارسل اثنين من عوانهِ ليذبحا سيسرون باكرًا في
الصباح وهو نائم في فراشه فعلم سيسرون ما دبر عدوهُ الالد فاحاط
منزله بالحرس الذين منعوا الاثنين من الدخول عليهِ وارجعوهما من
حيث اتيا

وفي الغد جمع الشيوخ في الكابيتول وهو مكان التئامهِ
ايام الخوف والخطر وعرض للاعضاء ما حدث وما سيحدث وبينما كانوا
يتذاكرون في الامر دخل عليهم كاتيلينا كأنهُ لا علم لهُ بما جرى فابتعد
الاعضاء عنهُ ولم يردوا عليهِ السلام فنهض سيسرون وقد احتدم غيظًا
وقال لهُ

حتى م تصبر يا كاتيلينا وتحمل الاهانة وانت لا تنثني عن غيك أتحسبنا
جاهلين ما فعلته وما تفعله وتنكر ذلك من غدر [illegible] وحيل خبيث يعيش
فهو المدعو [illegible] لان تدخل مجلس [illegible] بوقاحة وترقب عمالهُ وتعلم من بين
اعضائهِ [illegible] سماحة وشجاعة الوطن كيف لا
وبوبليوس سيبيو وهو خارج عن دائرة الحكومة قدر ان يقتل فلانًا
تيبريوس غراكس لانهُ اراد ان [illegible] الشعب بين الشعب وبين القنصلين
رئيس الجمهورية [illegible] ترك الان كاتيلينا [illegible]
وهو رجل خائن يريد [illegible] والحرب

انها الآن [illegible] على شفقة ولكن صبري [illegible] على الوالي
والاهل وقت [illegible] محوطة بالاخطار [illegible] فاعلموا ان
عدو الالد الذي هو مقيم داخل اسوار المدينة [illegible] جيشًا جرارًا
يزداد كل يوم عددًا وعدةً وهو [illegible] الامبراطورية ومستعد للقتال

والان يا كاتيلينا [illegible] شرط [illegible] عليك ودعك حالًا لا
اكون [illegible] طالمًا [illegible] العدل اما
ما يمنعني ويعفيني عن قتالك فهو وجود اناس لئام طغام نظيرك يودون

خلاصك وبذلوا الجهد سبيلك فعش كما كنت محاطاً بحراس وارقباء الذين قمتهم ليعلموا عملك ويذيعوا فكرك وما تنوي فهيهات ان يستر ظلام الليل اجتماعاتك السرية مع رجالك واعوانك وان يمنع جدران منزلك صوت خيانتك من الوصول الى اذني

ثم نصح له ان يترك المدينة ويعرض عن حوادث السرية وحذره من عاقبة الظلم والاعتداء بعبارات هي في منتهى البلاغة وحد الاعجاز (اه ملخصاً)

ولما كان كاتيلينا مروع من تغلب واحتل من غضب نهض على قدميه وهو مطرق وقال للحاضرين بصوت ضعيف الا يصدقوا تلك التهم الكاذبة لان شرف عائلته وسيرته الحسنة منذ شب يوعظان ولان يرتقي ذرى العظمة والمجد وهل يمكن رجلاً شريفاً مثله خدم هو واباؤه الحكومة وجهد في توفير اسباب تقدم البلاد ان يحاول [illegible] مواطنيه وعرضة الاعتداء وشتموه ولم يدعوه ان يتم كلامه فحنق وازبد وقال لهم وهو خارج ما قوله فلأنكم وانتم اسعى النار التي [illegible] عن [illegible] في خراب عمومي

وعلم كاتيلينا ضرورة السرعة في العمل لسوء ما [illegible] فرحل ناسيلاً سراً الى اتروريا بعد ما حرض رؤساء اعوانه الا يهملوا الوسائل اللازمة لزيادة عدد جنوده وقتل شيشرون والاستعداد لحرق المدينة وتدمير اهلها فحكم مجلس الشيوخ بأنه عدو للبلاد وصرح بالعفو عن رجاله الذين يثوبون الى الطاعة وامر القنصلين بتجهيز العساكر والمبادرة الى قتله حالاً قبل ان تقوى شوكته ويستفحل امره

ولكي يغش هذا الشرير المكار ارسل الى كل منهم كتاباً يقول فيه لقد تفاقم الخطب واصبحت شديد الاتهام بالاثم والوقيعة فيا ان راحل الى مرسيليا فراراً من كيد اعدائي وخوفاً من حدوث فتن يثيرها اصدقائي انتصاراً لي

وارسل الى احد خلانه كتاباً آخر يعد له فيه ان يعتني بخطيبته اوريستلا

ويخبره بالاسباب التي حملته على ركوب هذه الخطة قال

من كاتلينا الى كاتلس سلام

ايها الحبيب ان صداقتك الصادقة التي اختبرتها من زمان طويل تشجعني على التذكر انك غير مرتاب بسرآتي ومحبتي للوطن الا ان نهم الحاسدين ووقيعة المبغضين قد الجأتني ان انهض لآخذ بيد الفقرآء والمظلومين ولا تظني عاجزًا عن تادية ما استقرضته لان اموالي كما تعلم وافرة وكافية لوفآء تلك الديون ولما كنت لا استطيع ان اصبر على الخسف والذل وارى اناسًا طغامًا يرتقون درى المجد والعظمة قد بادرت الى صيانة شرفي بالتي هي احسن فاطلب اليك الآن ايها العزيز ان تعتني باور يستلا وتصونها من كل ضرر

وجآء الى رومية في هذا الاوان سفرآء الوبروجيون (هم قبائل عالية قاطنة في اقليمي سفوا ودوفيني من اعمال فرنسا) يستجيرون بالمجلس من ظلم وطمع حكامهم الرومانيين ويرغبون اليه بالاشفاق عليهم واصلاح حالتهم التعيسة فلم يصغ الاعضآء الى شكواهم وردوهم خائبين ولما علم ذلك لنتلوس احد زعمآء العصاة في المدينة ارسل اليهم رجلاً اسمهُ اومبر يوس ليستميلهم الى حزب كاتلينا ويكونوا لهُ نصرآء متى ثارت الحرب واحتدمت نارها فاقبل اليهم كانسان يهمهُ امرهم واستخبرهم عن احوالهم وعما نالوهُ اجابوهُ ان الموت نصب اعيننا اذ لا نجاة لنا نعيره فحكامنا ظالمون قساة والمجلس قد اعارنا اذنًا صمآء

— قال لهم ان حالتكم تعيسة جدًّا ولا يمكنكم اصلاحها الا اذا كنتم شجعانًا تعملون ما اشير عليكم به

— اجابوهُ خذ بيدنا ايها الرجل واشفق علينا واعلم انا مستعدون ان نركب متن الاخطار لننقذ امتنا من الديون والمظالم التي اثقلت كاهلها

فاحصرهم اومبريوس اذ ذاك الى اصحابو وكاشفهم بسرّ مؤامرتهم ووعدهم خيرًا فرضوا بالاشتراك معهم ومساعدتهم بفرقة عظيمة من الفرسان الا انهم حينما حلّوا في منازلهم وفكروا في الاخطار والاهوال التي تكون بلا ريب عاقبة العصيان ندموا على ما فعلوه وذهبوا توًّا الى فابيوس سنغا وليّ امنهم واخبروهُ بالامر فاعلم هذا سيسرون الذي دعا حالاً السفرآء وامرهم ان يتظاهروا للعصاة برغبتهم في محاربتهم وياخذوا منهم عهدة يوقعها زعماؤهم لتكون دليلاً بيّنًا على خيانتهم وسعيهم في ضرار الوطن وسوء فعل السفرآء ما امر به القنصل وابرموا عهدة مع الثائرين واخذوا كتابا الى كاتليا وخرجوا مع بعض اعوانه من المدينة الا ان فرقة من جنود الحكومة كانت كامنة في المكان الذي يجب ان يمروا به كما جرى الاتفاق فلاقت ما قبضت عليهم واسرتهم وقبضت على الاوراق التي معهم

حينئذٍ التأم المجلس حالاً للمذاكرة في الامر والنظر في دعوى روسآء الثائرين الذين القي القبض عليهم والذين افروا جهرًا بذنبهم وخيانتهم فحكم عليهم بالسجن وانصرف الاعضاء وهم يشكرون لسيسرون ويثنون على اعمالهِ وهمتهِ

وفي اليوم الثاني بعد جدال طويل وخصام عظيم في المجلس حكم على المسجونين بالموت فشنقوا في الفوروم امام الشعب وزينت المنازل والشوارع ابدانًا بفرح الجمهور بنجاتهِ من تلك البلايا التي اوشكت ان تفاجئهُ وكانت النسآء والاولاد والرجال تزدحم في الاسواق لترى سيسرون حينما كان راجعًا الى بيتهِ والاشرآء والفرسان تحيط بهِ كأنهُ عائدٌ من ساحات القتال يحتفل بنصرتهِ داخل المدينة وكان الشعب يناديه يا حامي البلاد ومؤسس رومية الثاني

وظن المجلس انهُ بالقبض على روسآء الثائرين وقتلهم قد سقط كاتليا ولعبت بحزبهِ ايدي سبا لذلك استعفى سيسرون ورفيقهُ من منصبهما

واتخذت الامة قنصلين جديدين وراح كل فرحاً آمناً حدثان الدهر كأن الدهر قد سالمهُ غير ان ذلك البطل المغوار عدو وطنهِ كان لا يفتر عن حشد الجنود والاستعداد لشن الغارة على مواطنيهِ فارسلت الحكومة لمحاربته فرقاً من العساكر فالتقى الجيشان بالقرب من جبال الابين واشتب القتال وكان مهولاً لان الفريقين ثبتا في ذلك النهار ثبات من لا يرعهُ الحمام او كيف يرعهم الحمام وارواحهم مرهونة للنصر او الممات فقضى كاتيليما وعدد عديد من جنوده وانتهت بموتهِ تلك المؤامرة الشهيرة التي كادت تمحو اسم الجمهورية الرومانية من العالم

وفي سنة ٦٠ ق م عاد جوليوس قيصر من الديار الاسبانية مكللاً بالظفر لانهُ اخضع تلك القبائل المتوحشة بسيفهِ البتار وهدَّنهم بقوانينهِ حكيمة وتعاهد مع كراسس وبومبايس على الصداقة الصادقة والتعاون ودعي اتفاقهم هذا بالحكومة الثلاثية

الباب السابع

من حين اقامة الحكومة الثلاثية

الاولى سنة ٦٠

الى حين تسلط اوكتافيانوس سنة ٢٩ ق م

الفصل الاول

اعمال قيصر في رومية

وحروبهُ في البلاد الغالية

مع ذكر حرب كراسس ببارثيا

اعمال قيصر في رومية — لما كان الاتحاد آية الفلاح وعنوان النجاح

قدر قيصر ان يتقلد سنة ٥٩ ق . م بمساعدة صديقيهِ منصب القنصلية و يستبد بالاحكام لانهُ على رغم كاتو والقنصل الآخر وجميع اعضاء المجلس اجرى القانون الزراعي وقسم بين الوطنيين الفقراء اراضي كامبانيا وجعل الشعب يصدق على اعمال بومبايس في آسيا وحينما انتهت السنة عين واليًا لمدة خمس سنوات على ايلريا وغاليا السيزالبينة وقائدًا لاربع كتائب (لجيون) وزوج بومبايس بابنتهِ جوليا لتدوم صداقتهُ ويكون لهُ نصيرًا متى مست الحاجة

حروب قيصر في البلاد الغالية — ان غاليا ما خلا الولاية الرومانية كانت مقسومة في ذلك الحين الى ثلثة اقسام هم اكيتانيا وغاليا السلتية وغاليا البلجيكية فالقسم الاول يحدهُ شمالاً نهر غارون وجنوبًا جبال البيرنه وغربًا الاوقيانس وشرقًا الولاية الرومانية وهو الان اقليم الدروغس ولانغدوك من اعمال فرنسا والثاني يحدهُ نهرا السين والمارن وجنوبًا نهر الغارون وغربًا الاوقيانس وشرقًا نهر الرين وهو يشمل تقريبًا على الاقاليم الفرنسوية الباقية ولا حاجة الى تحديد القسم الثالث لان اسمهُ خير دليل عليهِ

وكان اولئك الشعوب الثلثة مختلفي العوائد واللغات الا ان الهلفيتيين والألفتيين وهم ساكنو القسم الغربي من سويسرا كانوا اشجع من الجميع لقتالهم الدائم مع الجرمانيين القاطنين وراء نهر الرين

وحدث ان الألفتيين ملوا الاقامة في بلادهم لانها ضاقت بهم فعزموا على الرحيل منها واستيطان مكان اخر فحرقوا مدائنهم وقراهم وقدموا الى جهة الولاية الرومانية ليجتازوا بها ويحتلوا البلاد التي تربتها خصبة وصالحة لسكناهم وكان ذلك في ٢٨ اذار سنة ٥٨ ق . م

وعلم قيصر بما جرى وكان وقتئذٍ معسكرًا بالقرب من رومية فاسرع الى غاليا واخذ يجهز الجنود ويجند الابطال وخرب جسر مدينة جنيفا

ليمنع الالتيين من عبور نهر الرون ويظهر ان هولاء البرابرة لم يقصدوا مساواة الرومانيين بل ارسلوا رسلاً الى قيصر يعرضون له سبب رحيلهم من الاوطان ويطلبون اليه ان يسمح لهم باجتياز الولاية الرومانية ليمكنهم الذهاب الى بلاد اخرى فابى قيصر اجابتهم الى ما سالوهُ وردَّ رسلهم خائبين

ولما رأى الألتيون استحالة او صعوبة المرور بذلك المكان رجعوا على اعقابهم وتقدموا الى جهة اخرى ليجاوزوا في بلاد امير غالي تجاور ارضهُ الولاية الرومانية فزحف قيصر اذ ذاك بجنوده ولقيهم عند نهر أرار (الآن السون) ودهم فرقة من معسكرهم فكسرها وشتت شملها في تلك البطاح واستعد لقتال الآخرين فارسلوا اليه سفراء يسترضونهُ فلم يكترث لهم واخذ بآثارهم ليوقع بهم وبعد مسير بضعة ايام فاجأهم بالقرب من مدينة بيبركته (الآن اوتون وهي على بعد ثلثمائة وواحد وأربعين كيلومتراً من باريس) وهجم عليهم بعساكره فدام القتال الى الليل ولم ينج منهم سوى مائة وعشرين الفاً كرههم على العود الى اوطانهم ليعمروها و يردوا هجمات الجرمانيين على الشعوب الخاضعة للرومانيين

وكان ملك جرماني اسمهُ اربوفيستس قد اعتدى على بعض قبائل غالية فسالهُ قيصر ان يكف العدوان والاعتداء على اناس خضعوا للرومانيين او استجاروا بهم فابى ذلك الملك الاذعان لاوامره حينئذٍ زحف قيصر بجنوده واستعد لقتاله ومن عوائد الجرمانيين الغريبة هو انهم لا يباشرون حرباً الا بامر الساحرات اللواتي اعلنَّ في هذه المرة لاقوامهنَّ انهم يغلبون اعداءهم اذا قاتلوهم في هلة القمر غير ان قيصر هجم عليهم حالاً و بادرت اليهم جنودهُ كالصواعق فانتشب الحروب وكانت عوانا وبعد ان جرت وقائع يشيب هولها الاطفال وسالت على اديم ذلك الصحصحان دماء الفرسان والابطال انكسر الجرمانيون وولوا فارين فتبعهم الرومانيون وما زالوا

يطعمونهم ويبصرونهم دراكاً حتى عدوا نهر الرين وعولوا بانفسهم

وفي السنة الثانية تحدت القبائل البلجكية وعولت على محاربة الرومانيين لتضعف شوكتهم وتامن شرهم فعلم ذلك قيصر واتاها بعساكره كالبرق الخاطف وكسر جنودها في مواقع كثيرة فخضعت له جميعها صاغرة واقرت بسيادة الشعب الروماني نادمة على عصيانها وما فعلت

ولم تكن الوقائع التي حدثت كافية لاخضاع الغاليين تماماً لانهم كانوا اقواماً شجعاناً يحبون الحرية ويفدونها بالارواح لذلك كانوا دائماً مجاهرين بالعصيان يشنون الغارة على الرومانيين ويشن الرومانيون الغارة عليهم فبقي قيصر يحاربهم تسع سنوات حتى استطاع ان يملك قيادهم ويجعل بلادهم الواسعة ولايات رومانية . قيل انه استولى عنوة في هذه المدة على ثمانيمائة مدينة واخضع ثلثمائة شعب وقهر في ساحات القتال ثلثة ملايين رجل قتل منهم واسر اكثر من مليونين وفي اثناء ذلك ذهب مرتين الى بريطانيا وحارب اهلها وقهرهم الا انه لم يستول على تلك البلاد التي كانت وقتئذٍ خاضعة لسلطان التوحش والهمجية وقد كتب قيصر بنفسه رسالة مسهبة في الحروب التي اثارها في غاليا وهي رسالة حسنة الوضع وجليلة النفع لذوي الرغبة في التدقيق في درس تاريخ فرنسا القديمة اما نحن فقد اخذنا منها ما ذكرناه وهو خلاصة الخلاصة وبهذا القدر كما لا يخفى كفاية للمطالعين ومتطلبي الاخبار التاريخية في هذه الديار

كراسس وحربه في الشرق كان كراسس يروم ان يجاري صديقيه في ميدان الفخار ويدركهما في السيادة والفتوح الا انه كان يفوقهما في الطمع وحب المال ولما عين واليًا لسوريه حسب طلبه سرّ جدًا وذهب الى ذلك القطر مصمماً على نهب ما يمكنه نهبه

روى يوسيفوس المؤرخ اليهودي انه سلب حين وصوله امتعة هيكل اورشليم النفيسة واخذ اموالاً المدعية عشرة آلاف وزنة اي نحو مليونين ليرة

انكليزية) وشرع يستعد لقتال البارثيين ليستولي على مدائنهم وينهب ما تحوي وساء عليه زحف بجوده سنة ٥٣ ق . م بمحاربة شعب صديق وحليف الرومانيين فارسل اليه اوروديس ملك بارثيا رسلاً يسألونه عن الاسباب التي حملته على حربه ونقض العهود فاجابهم قولوا له اني اعلمه الاسباب حينما ادخل سلوقية عاصمة مملكته

ولو كان طمع كراسس مقروناً بالفطنة واصالة الراي او الخبرة بالفنون الحربية لهان البلاء واصبح نجاحه مأمولاً لكنه كان جاهلاً مغروراً ودليل ذلك الخطأ الذي ارتكبه في هذه الحملة لانه عوضاً عن ان يسير في بلاد ارمينيا كما نصح له ملكها او يمشي بالقرب من ضفات الفرات تبع مشورة شيخ قبيلة عربية اراد غشه وايقاعه بالمهالك فتوغل في بر ما بين النهرين ظاناً انه يستولي على بارثيا غنيمة باردة فلقي بعد ما انهكه التعب جنود الاعداء وفرسانهم يتقدمون لقتاله

ولما كان البارثيون يفوقون الرومانيين عدداً وعُدداً وكانت فرسانهم صعبة المراس بقصي بارها هجمت على كراسس وعساكره هجمة الرئبال فنهبت المعجات وحدلت الابطال فرأى الرومانيون ان لا نجاة لهم الا بالفرار وحينما ادلهم الليل رحلوا سراً وتركوا في المعسكر الجرحى ومن لا يستطيع ان يتبعهم فجاءت هولاء التعساء في اليوم التالي فئة سيف اعدائهم الذين لم يشفقوا على احد

واعتمد الرومانيون في هزيمتهم على بعض الوطنيين الخائنين الذين قادوهم في مسالك صعبة حرجة واوقعوهم مرة ثانية في ايدي الاعداء . فادعى سيرينا قائد البارثيين ان مولاه يود ابرام الصلح مع الرومانيين ومقابلة رئيسهم فلم يعبأ كراسس بكلامه وعلم ان ذلك دسيسة لكن عسكره الحوا عليه الا يرفض تلك المقابلة وحينما وصل كراسس واعوانه الى معسكر الاعداء ورأى عين الغدر بادرت رجاله الى حمايته فاحاط بهم البارثيون

وبكلوا بهم تنكيلاً واتوا براس كراسس الى ملكهم فصب في فيهِ ذهباً مصهوراً وهو يقول اشبع ايها الطمع من معدن قضيت حياتك في طلبهِ وجمعهِ

الفصل الثاني
في حرب قيصر مع بومبايس
وموت الاخير
مع ذكر اعمال قيصر في الشرق

قد مات الان كراسس وانحلت بموتهِ عرى الاتحاد الثلاثي واصبحت الحكومة هدفاً لسهام اطماع صديقيهِ الآخرين لان كلاً منهما كان يروم التسلط وحدهُ على العالم الروماني ورغب في هلاك خصمهِ ليتسنى له ارتقاء اوج الفخار ولم يكن ذلك فيهما راياً جديداً ولكنهما خضعا اولاً لاحكام الضرورة والاحوال وستر اهواءهم برقع الصداقة والتعاون ولما خلا لهما الجو وقويت شوكتهما ولم يبق مانع يمنعهما من اعلان العداوة اضرما نار الفتنة الاهلية التي امتد سعيرها الى كل الاقطار

وفي ذلك الحين كانت احوال الحكومة واحكام محاكمها فاسدة وكان بومبايس قادراً ان يصلح هذا الخلل ويريح الشعب من المظالم والبلايا لولا اطماعهُ ومحبتهُ للرئاسة لانهُ ترك الامور تجري مجراها ليتسع الخرق ويلجئ الشعب ان يقلدهُ حق قدره فينصبهُ رئيساً للجمهورية ويخولهُ سلطة مطلقة وعليهِ ففي سنة ٥٢ ق م تولى وحدهُ منصب القنصلية مع ان العوائد والقوانين تقضي بوجوب تعيين قنصلين في كل عام كما علمت قبلاً

ولما سمع ذلك قيصر وهو في البلاد الغالية هاجت بصدره حاسات

الحسد وطلب الى المجلس والشعب تعيينهُ قنصلاً في السنة التالية فلبي الجميع طلبهُ ومحوهُ هذا الامتياز الا ان بومبايس قدر بدسائسهِ ومكرهِ ان يبطل ذلك الامر او يجعلهُ مهملاً لا يعبأ بهِ فاحتدم قيصر غيظاً وقبض عند علمهِ ما جرى على مرند سيفهِ وقال ان هذا الحسام البتار سيبيلني بعدل ما يمنعني طمع اعدائي اللئام من الحصول عليهِ وفي الحال جمع عساكرهُ واجتاز جبال الالب سنة ٤٩ ق . م ووصل الى نهر الروبيكون وهو المكان الذي لا يسوغ للجيوش الرومانية ان تعبرهُ وتتقدم في ايطاليا فبعد ان تردد قليلاً وهو يقول اذا كنت اعبر هذا النهر ساجلب على وطني مصائب عظيمة واذا توقفت في معبري ساهلك لا محالة زحف بجنوده ووصل الى ريميني واستولى عليها وجال في البلاد طولاً وعرضاً بسرعة عجيبة واتى وحاصر بومبايس في بريندزيوم ففرَّ بومبايس هارباً الى دراخيوم في ابلريا وترك ايطاليا غنيمة باردة لعدوهِ القادر النشيط

وكان الشرفاء خائفين من قيصر يظنون انهُ سيفتك بهم فتكاً ذريعاً لمحاربتهم بومبايس الا ان ذلك البطل كان يسير وجيشا الرعب والحلم يتقدمانهِ و يتحاربان لهُ بلا حرب ولا عناء المدائن والقلوب حتى وصل الى رومية فدخلها ظافراً واقام فيها بضعة ايام صرفها في تأمين الخائف وتشجيعهِ وارضاء اعدائهِ واستمالتهم فاحبهُ الجميع وفرحوا بانتصاره بعد ان كانوا يلحون بالدعاء للآلهة ان تقهرهُ وتردهُ محرباً ولما استتب لهُ الامر مشى الى اسبانيا وحارب افرانيوس و بتريوس قائدي جيوش خصمهِ في تلك الديار فقهرهم وارتد راجعاً الى رومية

وحدث ان احدى الكتائب عصت اوامرهُ لانهُ لم يسمح للجنود ان ينهبوا المدن التي استولى عليها وطلبت اليهِ ان يأذن لها بالانصراف للاوطان فاحضرها ووبخها على صنيعها بكلام لطيف يجلب العقول ويجرح القلوب الى ان قال انهُ غير محتاج لخدمتها ولا يفتقر ابداً الى جنود

بقاسموئة النجاح ومجد الانتصار وبناء عليه يرغب في صرفها ولكنه يريد معاقبتها بقتل عشر رجالها فرغب الثائرون والتوا باشبهم عند قدميه وسألوه الصفح عن ذنبهم فعفا عنهم الا انه امرهم ان يسلموا اليه مائة وعشرين نفساً من المذنبين قتل منهم عشرين وصفح عن الباقين

وجمع بومبايوس من بلاد اليونان والمشرق جيوشاً جرارة واستعد لقتال قيصر الذي بعد ان تقلد منصب الدكتاتورية مدة احد عشر يوماً واصلح الاحوال عين قنصلاً باتفاق الآراء فاسرع اذ ذاك بالرحيل الى ايطاليا لمحاربة عدوه وقهره فجرت بينهما وبين قوادهما وقائع كثيرة كان النصر فيها تارة لهذا وتارة لذاك اخيراً التقى الفريقان في سهل فارساليا في تساليا سنة ٤٨ ق م واشتبت الحرب وكانت سجالاً وعلم قيصر ان فرسان الاعداء وهم عدد عديد ينوون الهجوم على فرسانه دفعة واحدة حتى اذا ما كسروهم وشتتوا شملهم في مجاهل تلك الارض كرّوا على رجالته وينكلوا بهم تنكيلاً فامر ست فرق من جيشه ان تكمن وراء الميمنة وتهجم على فرسان بومبايوس بغتة اذا نسي لهم الانتصار كما املوا وعادوا الى ساحة الضرب والطعان ثم ردم الخنادق التي حول المعسكر وقال لجنوده دونكم الكر والكفاح لانه لا نجاة لنا الا بالنصر او الموت حينئذٍ حمت الرجال على الرجال وسالت دماء الابطال في ذلك النهار كالانهار وكانت فرسان بومبايوس قد كسرت فرسان قيصر واستعدت لقتال رجالته فانتنها الفرق الست الكامنة وراء الميمنة وكرهها على الفرار ثم ارتدت لمساعدة رفاقها وهجمت معهم على رجالة الاعداء وهي تطعنهم وتضربهم دركاً فدعروا وولوا منهزمين وفي اليوم التالي سلموا سلاحهم الى قيصر واسلموا اليه فعاد بالامان اما بومبايوس فعبر تيانة وفرّ هارباً مع بعض اعوانه يطلب النجاة فاتى اولاً امفيبوليس واصدر فيها منشوراً يامر به الشبان الرومانيين واليونانيين ان يتقلدوا السلاح ويحضروا اليه ولما كان عدوه قيصر متأثره وقد قرب

من ذلك المكان بادر الى الرحيل حالاً فذهب الى قبرص وعلم هناك ان السوريين لا يسمحون له بالدخول الى بلادهم فجهز الفي جندي من تلك الجزيرة ورحل بهم الى مصر ليستجير ببطلماوس ملكها فدعاه هذا الامير الخائن الى بلاطهِ وامر بعض رجالهِ ان يقتلوهُ حينما يصل في قصبة يدعم وارسل الى سفينتهِ قارباً يحضرهُ بهِ ولما خرج بومبايس من السفينة التفت الى امرأتهِ وقال لها بيتي شعر لسوفكلس اليوناني معناهما ان الذي يذهب الى بلاط ملك يصبح عبد ذلك الملك وحين وصولهِ الى البر اخترط احد المصريين حسامهُ وضربهُ بهِ ثم قطع راسهُ وترك جثتهُ مطروحة على الشاطىء فاحرقها احد عبيده وحرقها واتى كورنيليا امرأتهُ برمادها غير ان المصريين سوالهُ بعد ذلك ضريحاً وزينوهُ بالتماثيل الحماسية

وما زال قيصر متاثراً بومبايس ليأسره او يفتك بهِ حتى وصل الى مدينة الاسكندرية فعلم هناك بموت عدوهِ الالد قبل انه لما نظر راس وخاتم ذلك الرجل التعيس اغرورقت عيناه وامر ان يدفن حالاً بالحفلة والاكرام

وكانت الحرب وقتئذٍ قائمة على قدم وساق بين بطلماوس وكليوبترا اختهِ وسببها ان اباهما حين موتهِ اوصى لهما بالملك حسب عوائد وشرائع البلاد وامر ان يقترن الاخ باختهِ لتدوم محبتهما ويعيشا بالصفو والهناء وكان عمر كليوبترا سبع عشرة سنة وعمر بطلماوس ثلث عشرة فقط فبقيا متحدين حيناً من الزمان ثم تعاديا واقدم كل منهما على قتال الآخر ليقتلهُ ويستبد بعده بامتلاك المملكة

واراد قيصر نزع النزاع واقتفاء التدبير على قدمهِ لان كليوبترا لجئت اليهِ وطلبت مساعدتهُ فاغضب ذلك بطلماوس وجمع عساكره واتى يحارب البطل الروماني الذي لم يكن معهُ اكثر من اربعة الاف جندي فتحصن في القصر وحرق كل السفن الموجودة في المياه لئلا يستولي عليها الاعداء

ويمنعوا المدد من الوصول اليه الا ان اللهيب امتد الى المكتبة وحرقها وكانت هذه المكتبة شهيرة تحوي اربعمائة الف مجلد حسب رواية ليبوس وقيل كثر

ولكي لا يبقى مانع من وصول المدد اليه ارسل شرذمة من عساكره الى جزيرة فاروس (الان راس التين وكانت هذه البقعة جزيرة صغيرة في الايام القديمة الا ان اسكندر الكبير امر ان توصل بالبر لتجعل لمدينة ميناوين) ثم بنى منارتين حول قصر الملك واسعب الذي غربه وعمل كل ما يلزم لنماس شر الاعداء وبمكنة القتال او الدفاع بسهولة ودامت الحال هكذا الى ان جاءت جنود رومانية جديدة فبادر قيصر الى محاربة المصريين ومنكهم فكسرهم في عدة وقائع ومات ذلك الامير الخائن سنة ٤٧ ق م غرقاً في نهر النيل فنال بلا ريب جزاء خيانته ومكره لانه قتل بومبايس صديقه وولي نعمته وغدر بقيصر بعد ان اسره وخلى سبيله

وم تات حرب قيصر الديار المصرية عائدة للرومانيين لانه لم يخضع ذلك القطر لسلطتهم بل تركه مستقلاً كما كان قبلاً ويظهر انه فعل ما فعله حباً بكليوبترا التي اقام معها تسعة اشهر فحبلت منه وولدت غلاماً دعته قيصريو ومن المؤكد ان هذا البطل قد غادر الاسكندرية كرهاً لان الضرورة قد احوجته الى ذلك

ولما رأى فرناسس بن متريدت وقد بلغه ان نار الحرب بين بومبايس وقيصر قد تاججت ظن الاول قد آن لجمع يد تسلط الرومانيين على وطنه فجاهر بالعصيان واخذ يحارب الامم المجاورة ليوسع نطاق مملكته وقهر حاكم البلاد الاسيوية الروماني وشتت شمل عسكره فارحل لذلك قيصر من القطر المصري وتقدم في الديار السورية وما زال سائراً حتى لقي فرناسس وجنوده فهجم عليهم برجاله ونكل بهم تنكيلاً وكان انتصاره على البونتسيين سريعاً جداً حتى انه قال يا بومبايس السعيد ان

اعداءك الذين قهرتهم وكسرت شوكتهم لقب الكبير مثل هؤلاء ولكي يظهر لاحد اصدقائهِ سرعة انتصاره في هذه الوقعة لم يجد وجهاً للتعبير ابلغ من قولهِ جئت ونظرت وغلبت

ثم عاد الى ايطاليا وحينما وصل الى برندز يوم لقية سيسرون ماشياً لانهُ كان محارباً لبومبايس فاراد بذلك استرضاءهُ فتلقاه قيصر بالبشاشة والاكرام وسمح لهُ بالرجوع معهُ الى رومية وحدث ان عساكرهُ جاهروا بالعصيان لكونهِ لم يعطهم الاجرآء الذي وعدهم بهِ فاخمد نار تلك الفتنة بكلامهِ فقط وتهديدهِ اياهم انهُ يصرفهم ولا يأذن لهم بالذهاب معهُ الى افريقيا لمحاربة اعدائهِ هناك

الفصل الثالث

في حروب قيصر بافريقيا واسبانيا واعمالهِ في رومية وموتهِ سنة ٤٤ ق. م

لقد اصبح قيصر بقهره بومبايس واعوانهِ في الشرق الرجل الوحيد الذي تسلط حقيقة على العالم الروماني والحاكم المطلق الذي يرتجى منهُ اصلاح الاحوال وتوفير اسباب الراحة العمومية والسلام ولو كان هذا البطل حقوداً لطير من مقدمهِ لخصب ارض ايطاليا وعصمتها بدماء اعدائهِ الشرفاء ولكنهُ كان محباً يحب العدل ويانف من القتل لذلك لم يرد قط عدواً استسلم لهُ او قدر على اخضاعهِ فاحبهُ الجميع واقامهُ الشعب ديكتاتوراً لمدة عشر سنوات ولما استتب لهُ الامر جمع جنودهُ وذهب الى افريقيا لمحاربة هناك لابيوس وكاتو وغيرهم ممن نجي من حرب بومبايس فحدثت

بين الفريقين وقائع كثيرة شهرها وقعة تبسس حيث انتصر قيصر انتصاراً مبيناً وشتت شمل اعدائهِ الاولى هرب بعض منهم الى اسبانيا وجمع له البعض الآخر اما كاتو الشجاع محبها راى تضعضع احوال قومهِ وانكسارهم يئس من الحيوة وانف من الذل والخضوع لعدوهِ الالد فدخل غرفتهُ وبعد ان قرأ مراراً الفدو وهو كتاب لافلاطون الفيلسوف وموضوعهُ خلود النفس اخترط سيفهُ وضرب بهِ صدرهُ ووقع على الارض مغشياً عليهِ فاتتهُ اصدقاؤهُ واتوهُ مسرعين وضمدوا جرحهُ ولما افاق وابصر ما فعلوه حنق وفتح الجرح وسحب احشاءَهُ بيدهِ ومات سنة ٤٦ ق.م

وقدر انا بومبايس ورفاقهما الذين هربوا من افريقيا ان يستميلوا السواد الاعظم من الاسبانيين وان يجمعوا جنوداً كافية للقاء عدوهم وقتالهِ فارسل قيصر لمحاربتهم بعضاً من قوادهِ وعاد هو الى رومية ودخلها ظافراً ءاتياً واحتفل بنصراتهِ العديدة ثم جد في اصلاح الاحكام واجراء العدل غير مبالٍ بالصعوبات ولا خاشٍ في جانب الحق لومة لائم

ومن اعمالهِ الحسنة التي تذكر فتشكر هو اصلاح حساب السنة لان نوما ملك رومية الثاني قد جعل العام ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوماً اي زاد يوماً واحداً على السنة القمرية المستعملة اذ ذاك في بلاد اليونان واضاف اليها كل عامين شهراً واحداً عدد ايامهِ اثنين وعشرين ولما كانت سنة هذه تزيد يوماً واحداً او ستة ارباع اليوم على السنة الشمسية وكان الموكلون بذلك يهملون احياناً زيادة الشهر المذكور اصبح الخلل على مرّ الزمان عظيماً فانتبه قيصر لهذا الامر وجعل السنة الرومانية شمسية اي ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً واضاف كل اربعة اعوام يوماً واحداً الى شهر شباط كما هو جارٍ الان في سائر الممالك المسيحية

واستفحل امر ابني بومبايس باسبانيا لان القواد المرسلين لمحاربتهما لم يستطيعوا ان يقمعوها فزحف ذلك البطل الى تلك الديار سنة ٤٥ ق م

ولكنها ما قربت من مدينة موندا و[illegible] القتال وكان مهولاً و بظهران
عساكر الديكتاتور قد نسيت نصراتها السابقة والظفر الذي حازته في
حروبها الماضية فلم تثبت [illegible] بل رجعت الى الوراء وعولت على
الفرار فوقف قيصر وقتئذٍ [illegible] لا يعلم ما يعمل ولا يدري كيف
يكون الخلاص من الصعوبة حتى انه [illegible] في ذلك النهار اخيراً
جرّد حسامه واحد مجنه وهجم وحده على صفوف الاعداء مؤثراً الموت
[illegible] على محبوبه بالذل و[illegible] فتبع [illegible] القواد والجنود ونهوضه [illegible]
[illegible] الى حومة الوغى وساحة الاخطار وحدث ان [illegible] احد قواد
الاعداء ارسل [illegible] بعد ملك موريتانيا فاغتنم قيصر هذه
الفرصة واذاع ان عساكر [illegible] احدث في [illegible] هذا الخبر
في الجيشين وكان من نتيجة [illegible] الاعداء [illegible] فمات منهم في هذه
الوقعة ثلثون الف رجل وقواد كثيرون من جملتهم [illegible] واحد اي
ومبايس وهكذا [illegible] هذه الحرب الاهلية التي [illegible] الى جميع اقطار
العالم الروماني ولما رجع قيصر [illegible] حسن [illegible] واعلن العفو عن
ناواه وحارب خصمه [illegible] الرحمة ونصب [illegible] بالقرب من
تمثال هذه المعبودة

[illegible] في [illegible] كل [illegible] وعينه
امبراطوراً اي قائداً عاماً لجميع جيوش الرومانية [illegible] ومدبراً لاعمال
الحكومة طول حياته [illegible] هيكلاً للحرية لان
الرومانيين قد نالوها على يده وان [illegible] وكلاء الشعب
[illegible] الشهر السابع من [illegible] ولد فيه وسمح له ان يضع دائماً على
راسه اكليلاً من الغار وان [illegible] الاعياد ثوب الانتصار وان يكون
له محل مخصوص في الملاعب وان [illegible] على كرسي ذهبي
وان ينصب [illegible] في جميع [illegible] كل [illegible] وان [illegible] على

بعض ذلك الميل الى الامة الذي لا يعيب

ومعلوم ان قيصر قد طبع على محبة العظمة والرئاسة ودليل ذلك الحروب المهولة التي خاض [illegible] غير مبال وقولة دائماً لاصدقائه اني اود ان اكون الاول في قرية ولا الثاني في رومية غير ان الطاعة التي عهدت اليه [illegible] هذه كلها لانه لم يرض بالالقاب الشريفة التي [illegible] نفس الروماني [illegible] المناصب العالية التي تقلدها بل [illegible] ان يكون ملكاً ويرتقي عرش الملك قبل ذهابه الى بارثيا ليحارب اهلها [illegible] فهاج سعيه هذا بغضة في قلوب كثيرين من جملتهم بروتس وكاسيوس وسواهم آخرون من عظماء وشرفاء رومية فتآمروا على قتله وعقدوا على هذا الامر [illegible] وفي اليوم المعين لتنصيبه ملكاً اتاه هؤلاء [illegible] وبينما كان جالساً في دار الندوة تقدم احدهم المدعو سمبر وجثا عند قدميه [illegible] ثم مسك بذيل ثوبه وهي العلامة [illegible] السلاح [illegible] عليه [illegible] الصواعق [illegible] كاسيوس وذلك عام ٤٤ ق م في السنة السادسة والخمسين من عمره

الفصل [illegible]

في حكومة [illegible]

وما جرى بعده

الى حين موت [illegible]

واستبداد [illegible] بالاحكام

هيهات ان يخلو الوطن [illegible] من الاستعداد وان تصح

الجمهورية وطيدة الاركان والشعب حرًّا كما كان قبل امتداد سلطتهِ على اقطار العالم المعروف وفساد اخلاقهِ بسبب ذلك لان العظماء ورجال السياسة حينما راوا نعم ملوك الشرق وذاقوا لذة الاستبداد وعلموا ان لا عدو لهم في الدنيا يستطيع قتالهم فقدوا تلك الشجاعة التي اسسوا بها عظمة بلادهم ونسوا محبة الوطن حتى رومية الوحيد لدى الزوارل الجلى واقبلوا على الدسائس والمكر يحيطون اعمال بعضهم ويسعون في املاك مواطنيهم لادراك ما تربية لهم الاطماع فلا يسوون عن غيهم ولو ادركوا المنية بدلاً من المنى وساء عيوبهد الرومانيين بعد وفاة حاكمهم قيصر النشيط هدفًا لسهام البلايا ورزايا الحروب لان الاطماع قد عصفت رؤوس الرؤساء وعدت المدائن والاقاليم ساحات قتال تجري فيها دماء البشر انهارًا

وكان في بلاد اليونان فتى رومي بجاور بعد السنة التاسعة عشرة من عمره قد عرك الدهر من صغره فشب شجاعًا طمعًا حكيمًا فلما علم بموت قيصر جاء مسرعًا الى رومية لان الدكتاتور قد تبناهُ وهو ابن بنت اختهِ المسمى اوكتافيوس الذي دعاهُ الحسن اوكتافيانوس وجد يستميل القلوب ويسعى في تمهيد سبيل ارتقائهِ اوج الفخار فاتحد لذلك مع انطونيوس قائد الفرسان وقائم مقام قيصر والمولي وقتئذٍ منصب القنصلية ورجلاً آخر حاملاً اسمهُ ليبدوس ودعي اتحادهم هذا بالحكومة الثلاثية الثانية

وحينما استتب لهم الامر وبانوا ما كانوا يبتغونه احيوا في رومية والمدائن الخاضعة لها اعمال ماريوس وسيلا الوحشية لانهم اهدروا دماء كثيرين اعداء واصدقاء من جملتهم شيشرون خطيب اللاتينيين الفريد الذي تحامل عليهِ انطونيوس لانهُ نشأ في الخطب التي القاها في ذلك العام دفاعًا عن حرية الجمهورية وبينما كان ذلك العالم العلامة سائرًا في البلاد هاربًا لقية رجال الحكومة المرسلين لقتلهِ فاراد خدامهُ ان يقاتلوهم ويموتوا فداء

سيدهم الآن سيصيرون معهم من هذا الامر ومدّ عنقه لينال نصرة هؤلاء الرجال ونال انطونيوس رأسه فعلّقه بالمنبر في ساحة الفوروم مضمار مجده

وبعد ان خضّب اعضاء الحكومة الثلاثية ارض رومية بدماء ابنائها جهّزوا الجنود وذهبوا سنة ٤٢ ق م الى مكدونية لمحاربة بروتس وكاسيوس اللذين حشدا الفرسان والابطال وكانا مستعدين للحروب انتقاماً من عدائهم ودفاعاً عن حرية الرومانيين والتقى الجيشان بالقرب من مدينة فيليبي وانتشب القتال وكان بروتس ضد اوكتافيانس فهجم على رجاله وصدمه صدمة الرئبال فقهر جنوده وما زال يطردهم ويقتلهم حتى شتت شملهم في تلك البطاح ودخل معسكرهم واستولى عليه اما انطونيوس فقاتل كاسيوس وقهره وطرده فظنّ ان رفيقه قد قهر ايضاً فشق درعه واخترط حسامه وانتحر وكانت نتيجة هذا الامر القاء الرعب واثارة اليأس في قلوب عساكر الجمهوريين وبعد ايام قليلة انكسر بروتس فاقتفى اثر صديقه وسلب مهجته بيده ولقد اصاب مؤرخ يسوعي غيور في عرض الكلام على معركة فيليبي هذه ان الانتحار دأب الكافرين الذين يرون في قتل النفس دواء شافياً لادواء الحيوة وينكر الدين والعقل وفطرة الانسان ذلك منه ووثنيون كثيرون قد نسبوه الى جبن المرء الذي لا يستطيع الصبر على حدثان الدهر غير ان المؤرخ المذكور لم يخبرنا ماذا كان واجباً على بروتس ان يعمل لو صبر ليخلص من اعدائه الراغبين في قتله وتعذيبه لانهم لم يشهروا الحرب الا لاهلاكه

واقتسم اوكتافيانوس وانطونيوس بعد وقعة فيليبي املاك الجمهورية الرومانية فنال الاول بلاد الغرب واخذ الثاني بلاد الشرق ولما كان انطونيوس ربيب نساء تيّمه هوى كليوبترا ملكة مصر واصبح اسير جمالها ينقاد لها طوعاً بأزمّة حبها ومكرها وكان يقضي لذلك اوقاته بالولائم

والمسرات باسمَ محدهُ ومحرهُ ومهملاً واجباتهِ لتوطيد سلطتهِ وصيانة شرفهِ حتى انهُ طلق امرأتهُ اوكتافيا اخت صديقهِ وحليفهِ وتزوج حبيبتهُ كليوبترا التي وسع نطاق مملكتها بمحوِ اباها ليبيا وقبرص وسهل كيليكيا (القفاع) وفي هذه الاثناء زحف بجنوده لمحاربة ملك بارثيا فقاتله مرارًا وعاد من تلك الديار بالذل والفشل الا انهُ قهر سكستس بن بومبايس الكبير الذي استقل امرهُ في سيسيليا وجمع جيشًا عرمرمًا ليستولي به على ايطاليا. اما اوكتافيانوس فكان باذلاً جهدهُ في توطيد سلطتهِ واتخاذ الوسائل اللازمة لارداء رقيبهِ والاستبداد بالاحكام وحدهُ وعليهِ في سنة ٣١ ق م حين رأى ضعف انطونيوس وانهماكهُ في الملذات اضرم نار العداوة وسود سيرته لدى المجلس والشعب وجهز عمارة مؤلفة من ثلثمئة سفينة واتى لمحاربتهِ في البلاد الشرقية ويظهر ان الخطر قد نبه انطونيوس من رقدة الاهمال فجمع جيشهُ وسفنهُ وتقدم لقتال صديقهِ القديم وشريكهِ في السلطة والمجد فالتقت العمارتان بالقرب من رأس اكتيوم واشتبت الحرب وكانت عوانًا وثمت امر يظن معها ثبات الانطال الى ان ولت كليوبترا هاربة الى مصر فلحق بها انطونيوس لانهُ كان يؤثر التمتع بجمالها على مجد الانتصار وملك العالم باسره فظفر حينئذٍ اوكتافيانوس على من بقي من جيوشهِ وسفنهِ وسار مسرعًا الى الديار المصرية لمحاربتهِ هناك ويقتله

ومعلوم ان اصدقاء المرء يكثرون او يقلون حسب نجاحهِ وتأخره في العالم لان الصديق الصدوق نادر وجودهُ والاخلاص في سائر الاحوال امر شبيه بالمستحيل وعليهِ فحساد انطونيوس حينما رأوهُ مقهورًا ذليلاً تركوه وشأنهُ وبادروا في مصادقة اوكتافيانوس والخضوع له حتى ان عمارتهُ وجنوده بعد ان نازلت اعداءهُ مرتين او ثلث خانته وأسلمت الى اوكتافيانوس فبادرت مئة بالامان

ودخلت كليوبترا الى قصرها واوصدت ابوابهُ واذاعت انها بنفسها

من الحيوة وقتلت نفسها ولما بلغ ذلك حبيبها ضاق ذرعا وقال الويل لك يا انطونيوس ماذا تأمل في هذا العالم وقد مضت التي كنت تحب الحيوة لاجلها ثم ذهب الى غرفته واحد في النحيب وهو يقول يا كليوبترا ليس فراقنا اعظم سبب لحزني لانا سنجتمع مرة اخرى ولكنني اموت اسى حيث اراك قد فقتني بالشجاعة اما الذنب تسلط على الابطال ودبت له ساداة الناس صاغرة وفي الحال دعا اروس اصدق خدامه وامره ان يقتل نفسه ويقتله فلم يصدع اروس بامره بل اخترط حسامه وضرب نفسه وخر قتيلاً عند قدميه ولما رآه يتخبط بدماه صرخ قائلاً يا صديقي اروس اني اشكرك على تعليمك اياي ان اعمل ما يجب نحو احرازه كرامة واجلالاً لي ثم جرد حسامه وضرب به صدره وسقط على فراشه فارسلت كليوبترا احد خدامها واحضرته الى قصرها فقضى نحبه بعد برهة مسروراً برؤياها قبل موته

وكانت كليوبترا آمنة انها ستفتن اوكتافيانس حتى ان الامر بخلاف املها لان ذلك القائد الذي كان لا يعرف سلطانا غير الاطماع ولا يحب شيئاً سوى التسلط على البشر وكان مراده ان يحضرها الى رومية لتمشي امام مركبته حيث يحتفل بنصرته فبذل جهده في ارضائها حتى يكون من القبض عليها ولما علمت هي بما نوت ذهبت الى ضريح انطونيوس وبدت منها عبارات تفتت الاكباد ثم عادت الى منزلها ولبست لباس الزينة وبعد ان اكلت دخلت مخدعها ووضعت على ذراعها حية اتوها بها في قرطل تين فلدغتها حية وماتت عام ٣٠ ق م في السنة التاسعة والثلثين من عمرها والعشرين من ملكها على الديار المصرية وانقرضت بموتها دولة البطالسة التي تسلطت مائتين واربعاً وتسعين سنة وخضعت مصر لذلك ولاية رومانية

وفي سنة ٢٩ ق م رجع اوكتافيانوس الى رومية واحتفل بنصرته واغلق ابواب هيكل جانس دلالة على السلام العام وتولى جميع مناصب العسكرية ودعي ابا الوطن وامير السلام ومصلح العدل وحكم بنفسه الحكومة

الجمهورية حقيقة واستبدلت بالحكومة الملكية وسمي المحسن اوكتافيانوس باوغسطوس اي المعظم وهو اول سلطان تسلط على العالم الروماني

قال مؤلفه نجيب ابرهيم طراد هذا ما اردت جمعه من اخبار امة سادت بشجاعتها وملكت بعد فقرها بفطنتها وحكمة ساستها وزالت ولم تزل كتبها واعمالها تبصرة لارباب السياسة والنهى بها ينتصح الجاهل ويهتدي العاقل في ليل حياته البهيم ولا بدع اذا رأينا علماء الغرب ينفقون سنوات عديدة في درس تعاليمها التي درست لانها مصدر لغاتهم واساس آدابهم وقد جهد اشهر كتبتهم مثل رولان ومونتسكيو وغيبون في وضع تاريخها وشرح اسباب تقدمها وسقوطها فشرحوا الصدور بكلامهم البليغ وجلوا جيد افهامها بدررهم الدرية فكسوها طلاوة جديدة وأكمل جديد طلاوة ولا يخفى عن القارئ اللبيب اني سلكت في هذا الموقف مسلك الاختصار كما بينت مرارًا في عرض الكلام على بعض الحوادث لا سيما في صفحة ١٦٥ فليراجع كل ذلك في موضعه وسأباشر قريبًا طبع تاريخ سلاطين رومية والدولة الرومانية الشرقية ايفاء بالوعد

فهرس

صحيفة

اصلاح غلط

تنبيه . قد وردت في بعض الصفحات لفظة العدوان بدلاً من العدوة ولفظة ربة بدلاً من وربة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤ و١١٥	١٦ و١٠	الرومانيين	الرومانيون
١٦	١٨	لم	لما
١٦	٢٢	التي	اللواتي
٢٤	١٦	ثلاث	ثلاثة
٢٦	١٦	ضعفا	ضعفنا
٢٩ و٤٠	٦ و٥	اعلال	علائل
٣٣	٩	(في بعض النسخ) مواداً	موادّ
٣٤	٩	اللذان تربّا	اللذين تربيا
٧٣	٦	خمس عشر	خمس عشرة
٨١	١٥	ناريها	ناريه
٨٨	١٩	بعدهم	بعودهم
٩٠	١٣	هذ الاسمآء	هذه الاسمآء
١٠٤	٩	الامرآء	الامرآء
١١٨	٤	استأجرها	استأجروها
١٣٣	٢	الواردة	والواردة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٨	١٢	ادلآة	ادلآء
١٣٩	٢	حاربو	حاربوه
١٤٠	١٦	الى كان	اذ ان كان
١٤١	٦	الدبن	لدن
١٨٣	٩	حجمند	حيشر
١٨٣	١٥	الرمار	الدمار
١٩٣	٢٣	بعسكره	بمعسكره
٢١١	١٢	اهواءهم	اهواءها
٢١٢	٢٠	فقهرهم	فقهرها

